الأعلام

بحث تاريخي في اللغة واللهجات

الدكتور ابراهيم السامرائى

لا اريد أن اعرض فى هذا البحث لموضوع الاعلام العربية وتطورها فى خلال العصور التأريخية ، ولا اريد أن اعرض ايضا للموضوع نفسه معتمدا على المقارنة والموازنة بين العربية واخواتها الساميات ، علما منى أن ما نشره المستشرق الالمانى أنو ليتمان[1] مفيد وكاف فى الموضوع • ولـكنى أريد أن اعرض للاعلام الحديثة فى العراق ودلالتها ومكانة هذه فى السلسلة التأريخية ، وقيمة هذه الاعلام من الناحية اللغوية •

ودراسة الاعلام فى العربية على هذه الصورة غير معروفة للدارسين والباحثين المشارقة ذلك أن هذا الموضوع لم تعرض له الا كتب النحو والصرف فى موضوع (العلم) وهذا الموضوع ، عندهم يدخل فى (باب المعارف) • غير أن المستشرقين قد عنوا بهذه الناحية تطبيقا لمذاهب البحث اللغوى الحديث ، فاللغات كافة فى العالم العربى قد حظيت بهذه الدراسات ، وموضوع الاعلام فيها من الدراسات اللغوية التأريخية التى تخضع للتطور عبر العصور •

وقد اشرت أن لهذه الدراسة قيمة من الناحية اللغوية ، ذلك ان فكرة اقتباس العلم تتعلق بالذهنيـة اللغوية من حيث اختيـار اللفظ ذى الدلالة والمرتبط بالظروف المحيطة • وربما كان لذلك اللفظ فائدة تاريخية مقيدة بالزمان والمـكان • كما أن للاعلام قيمة اجتماعية غير خافية فهى تعكس

---

(١) انو ليتمان ، مجلة كلية الآداب (جامعة فؤاد الاول) الجزء الثانى ١٩٤٨ ، والجزء الاول ١٩٤٩ •

لونا من ألوان التفكير الانسانى ، ثم انهـا تظهر شيئا من معـالم حضارة الامة ، ومن أجل هذا فقد اهتم بها علماء الاجتماع والباحثون فى الحضارات الانسانية .

ولما آلت العربية الفصيحة الى لهجات عاميـة دارجة ، تبتعد بنسب مختلفة عن الفصيح المعروف ، ظهر اثر ذلك فى الاعلام الحديثة فى كل جهة من دنيا العرب . ومن هنا كان لدراسة الاعلام الحديثة فى كل قطر من أقطار العربية فائدة لغوية قيمة ، وذلك لانها تكون جانبا لغويا لابد من الاضطلاع به والتبصر فيه ليكون ذلك معينا على فهم العربية الفصيحة ، وليكون حلقة من حلقات التاريخ اللغوى .

وسنتبين أن دراسة الاعلام تؤلف حلقة من حلقات اللهجات السائرة ، وأن فى الاعلام لصورة من صور الالسنة الدارجة فى عصرنا هذا الذى ابتعد اهله عن فصيح العربية ، وفى العصور التى خلت والتى كان فيها شىء من الـكلام الدارج الى جانب الفصيح المعروف . واريد أن اقول : ان الاعلام مصـدر من مصـادر اللغـة ، ولون يظهـر المألوف والدارج من أساليبها .

ولقد هدانا الاستقراء الى تقرير هذا كما سنبينه فى هـذه المقالة . ومعرفة اللهجات والاهتداء اليها من الامور العسيرة ذلك أن المادة اللغوية الضخمة التى بين ايدينا لا تعين على هذا . فالمعلوم أن الاسلام قـد جاء بحضارة جديدة وبمجتمع جديد ، ثم انه كان العامل الاكبر فى توحيد اللغـة ، والحدث القرآنى وما كان من جمـع القرآن وقراءاته ثم اطمئنان المسلمين الى المصحف العثمانى ، كل ذلك قد عمل على توحيد لهجات هذه اللغة فى شكل قويم درج عليه العرب وجرت به ألسنتهم فشاع فى لون جديد للعربية . ولا أريد أن اطيل فى هذا الموضوع ، ذلك أني لم أقصد اليه ، ولـكنى أريد أن أخلص الى أن العربية وان استقرت فى لغة التنزيل على النمط الذى انتهت اليه ، فانهـا احتفظت بالشىء الـكثير من عناصر

اللهجات المحلية ، ففى القراءات التى اجمع عليها الفقهاء والتى لم يجمعوا عليها ، مواد مهمة تدخل فى هذا الباب[٢] .

والمعلومات عن هذا الموضوع قليلة ولا نريد أن نعرض لاسباب ذلك ، وحسبك أن تعرف أن الاصمعى من علماء اللغة ومن رواة الاخبار والادب قال : « والعرب لا تروى شعر ابى دؤاد الايادى ، وعدى بن زيد ، وذلك لان الفاظهما ليست بنجدية »[٣] .

ولعل حرصهم على أن يسود الفصيح المشهور هو الذى حملهم على أن ينعتوا الشنشنة والكشكشة والكسكسة والطمطمانية والعجعجة وما الى ذلك من ألوان اللهجات باللغات المذمومة[٤] .

وفى كتب الادب ومعجمات اللغة ، اشارات للمألوف من الكلام الدارج جرى على السنة الناس فى مختلف الازمنة .

وسنعرض فيما يلى لموضوع الاعلام ، لنتبين الى أى حد نستطيع أن نفيد الفوائد اللغوية التى نروم الوصول اليها .

لابد لنا أن نصنف الاعلام الحديثة فى صنفين أساسيين ، وهما : الاعلام الحضرية ، والاعلام غير الحضرية ، ويدخل فى الصنف الثانى الاعلام القروية والبدوية ، وجميع الاعلام التى يستعملها غير المتعلمين من الناس .

الاعلام الحضرية

ويشتمل هذا الصنف الاول على الاعلام العربية المعروفة فى سائر

---

(٢) حسبك ان تعرف أن احدهم قرأ : (ولا تقربا هذه الشيرة) بكسر الشين وبالياء حكاه أبو زيد ، انظر : مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع (شواذ البقرة) .
ويحمل الجاحظ قراءتين للحسن على الخطأ ، احداهما : « وما تنزلت به الشياطون » سورة الشعراء ، ٢١٠ انظر البيان ٢/٤ .
(٣) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ١٢١ ، المرزبانى ، الموشح ٧٣ .
(٤) ابن فارس ، الصاحبى ٢٤ .

عصور العربية ، فهى بذلك أعلام تقليدية ، ونستطيع أن نصنف هذه فيما يأتى :

(١) الاعلام الدينية :

ويدخل فى هذه الاعلام (أحمد) و (محمد) وقد سمى بهذين العلمين المسلمون[٥] فى سائر العصور ، وما زال العراقيون يسمون بهما تيمناً بالنبى محمد (ص) .

ومن هذه الاعلام (عبدالله) وهو من الاعلام المركبة تركيبا اضافيا ، وذلك باضافة (عبد) الى (الله) . ومثل هذا (عطا الله) و (نصر الله) و (خير الله) و (سعد الله) و (جار الله) و (حسب الله) ، وكل هذا ما زال سائرا مستعملا . اما (عبدالله) فهو قديم جدا وقد كان معروفا فى الجاهلية الاولى ، وحسبك أن تعرف ابا النبى محمد (ص) هو (عبدالله) ، وربما كان مستعملا فى تلك الحقبة السحيقة الى جانب (عبد اللات) وليس عبدالله من ابتداعات الاسلام كما يظن بعضهم . وان (عبدالله) من الاعلام التى يسمى بها المسلمون فى العراق الآن عربا كانوا ام غير عرب ، وهو كذلك من الاعلام الشائعة بين اليهود والنصارى والصابئة وسائر الطوائف الاخرى ، ومثل (عبدالله) (عبدالاله) ولكنه اقل شيوعا منه .

ومن الاعلام المصدرة بـ (عبد) (عبدالنبى)[٦] وهو شائع بين

---

(٥) انصرف هذان العلمان للمسلمين دون غيرهم من الطوائف ، ولكنك ربما وجدت بين نصارى لبنان من سمى (محمد) و (أحمد) وتفسير ذلك أنه ربما التجأت الام التى لا ترزق أولاد الى أن تسميه بأسماء المسلمين رجاة أن يعيش لها ولدها . والاسم (أحمد) من الاعلام التى سمى بها الصابئة فى جنوبى العراق (العمارة) ابناءهم .

(٦) بكسر النون . ربما كانت الاعلام المصدرة بـ (عبد) عند غير المسلمين نتيجة تقليد هؤلاء للمسلمين فى عادات التسمية ، وربما كان (عبد الاحد) بتشديد الحاء عند النصارى فى أيامنا هذه نتيجة هذا الاتصال والتأثر بذلك . وذلك لعدم شيوع هذا العلم بين النصارى فى الاقطار العربية الاخرى ، أو قل بين النصارى فى العصور القديمة . ومثل هذا استعمال النصارى فى جميع الاقطار (عبد النور) و (عبد الاحد) عندهم يريدون به (عبد المسيح) وهو شائع أيضا .

المسلمين ولاسيما الشيعة منهم كما أنه معروف عند الصابئة واليهود فى أيامنا هذه .

ولا تضاف (عبد) الى لفظة الجلالة وحدها ، بل تضاف كذلك الى أسماء الله الاخرى أو صفاته مثـــل (عبدالعظيم) و (عبدالقادر)[٧] و (عبدالغفور) و (عبدالمجيـــد) و (عبدالملك) و (عبدالجبـــار) و (عبدالرحمن)[٨] و (عبدالرحيم) و (عبدالصمد) و (عبدالحميد) و (عبدالسميع) و (عبدالحكيم) و (عبدالجليل) و (عبدالازل) و (عبدالكريم) و (عبدالودود) و (عبدالكافى) . وهذه الاعلام وغيرها على شاكلتها شائعة فى العراق من شماليه الى جنوبيه ، وربما انفردت جهة من الجهات باعلام على هذه الشاكلة دون غيرها كشيوع (عبدالنافع) و (عبدالموجود) فى الموصل وما جاورها دون سائر الجهات العراقية .

ثم ان هذه الاعلام المركبة باضافة العبد الى أسماء الله شائعة فى الاقطار العربية وربما انفرد قطر بطائفة منهـــا دون غيره مثل (عبدالجواد) و (عبدالمعطى) و (عبدالمولى) و (عبدالصبور) فهـــذه الاعلام معروفة وشائعة فى مصر دون سائر أقطار العربية وربما تجد شيئاً منها فى سوريا . وقد شاع فى المغرب العربى تسميتهم بـ (عبدالمؤمن) و (عبد البر) وطبيعى أن العبد غير مضاف الى اسم من أسماء الله .

والتسمية بالعبد مضافا الى هذه الاسماء أو قل هذه الصفات مما جاء

---

(٧) من الاعلام المعروفة فى العراق اليوم وهو قديم أيضا ومعروف فى سائر أقطار العربية وأكثر الذين يسمون به هم السنّة من مسلمى العراق ، وربما كان ذلك لانه اسم الصوفى المعروف (بالجيلانى) أو (الجيلى) . وقد شاع هذا العلم شيوعا عجيبا فى المغرب الافريقى بهيئته التركيبية وبهيئته المصغرة (قدور) و (قدورى) تيمناً وتبركاً . كما انهم يسمون (جيلانى) للسبب نفسه .

(٨) من الاعلام المعروفة عنـد المسلمين عامة غير أن الشيعة منهـم يتحاشونه لانه ربما يذكرهم بعبدالرحمن بن ملجم قاتل الامام امير المؤمنين علي بن أبى طالب (رضى الله عنه) .

به الاسلام فقد شاعت فى صدر دولة بنى أمية ثم جرى عليه العرب المسلمون ثم شاعت بين غير العرب من المسلمين .

ولكن اضافة كلمة (العبد) لم تقتصر على لفظة الجلالة أو على أسماء الله وانما تعدت ذلك الى أسماء الائمة والاولياء الصالحين[٩] أو الى القابهم وما اشتهروا به نحو (عبدالامير)[١٠] و (عبدعلى) و (عبدالحسن) و (عبدالحسين) و (عبدالعباس) و (عبدالحمزة) و (عبدالكاظم) و (عبدالرضى) و (عبدالصاحب)[١١] و (عبدالزهرة) و (عبدالائمة)[١٢].

ولعلك تعجب اذا عرفت أن النصارى فى العراق يسمون باعلام انصرفت الى المسلمين فى سائر العصور التأريخية ، مثل عبدالعزيز ، وعبدالحكيم ، وعبدالفتاح ، وعبدالرحيم ، ولعل عجبك يزيد اذا عرفت أنهم يحشرون هذه الاعلام الى جوار أعلام مسيحية ، وربما كانت اعلاما اوربية كأن تجد أن احد الاطباء فى مدينة البصرة يدعى (جلبرت فرج عبدالرحيم) وليس من شك أن (جلبرت) هذا من الاعلام الاوربية . وكأن نجد بينهم (صبيح جورج) مثلا .

ولابد أن نعرض للون آخر من الاسماء المركبة تركيبا اضافيا ، وهى تلك التى تضاف الى (الدين) مثل : عزالدين ، ونجم‌الدين ، وصدرالدين ،

---

(٩) شاعت عادة التسمية باضافة (عبد) الى أسماء الائمة أو الى ما اشتهروا به كما مثلنا ، بين الشيعة من المسلمين فى العراق وايران ، على أنهم يسمون بالاعلام المركبة الاخرى والتى ذكرنا طائفة منها نحو (عبدالجبار وعبدالله وعبدالحميد) وما الى ذلك .

(١٠) والمقصود بـ (الامير) هو الامام علي (ر) . كما شاع بينهم أيضا أسماء الائمة مثل (جعفر) و (عمار) و (ياسر) وغير ذلك ، ولا تعدم أن تجد هذه الاسماء الاخيرة مستعملة عند السنّة أيضا .

(١١) والمقصود بـ (الصاحب) هو صاحب الزمان الامام المنتظر الذى يخرج عند قيام الساعة ، وهى العقيدة المعروفة عند الشيعة ، وهو المهدى المنتظر .

(١٢) والاستقراء يهدينا الى أن هذه الاعلام آخذة فى الزوال ، بين الاسر المتحضرة والتى أخذت من الثقافة بنصيب ، فقد أقلعت هذه الاسر عن هذه العادة فى التسمية .

وشمس‌الدين وغير ذلك • ولم تكن هـــذه المركبات الاضافية اعلاما فى العصور التى سبقت عصرنا هذا ، ذلك أنها كانت مركبات تصدر بها الاعلام الحقيقية على شاكلة الالقاب ، شأنها فى ذلك شأن الالقاب التى الصقت بخلفاء بنى العباس فغلبت عليهم ، مثل المتوكل على الله ، والمسترشد بالله ، وغير ذلك ، وشأنها فى ذلك أيضا شأن ركن الدولة ، وعضد الدولة ، ونظام الملك وغير ذلك •

فأبو البركات ابن الانبارى هو كمال‌الدين عبدالرحمن بن محمد ، والمؤرخ المعروف بابن الدبيثى هو جمال‌الدين محمد بن سعيد الواسطى • غير أن هذه المركبات جرت اعلاما فى أيامنا ، وربما استغنى عن المضاف اليه وهو (الدين) تخففا واختصارا فى المألوف الدارج من الاستعمال ، فقيل (شمسى) بالياء[١٣] فى (شمس‌الدين) ، وقيل (عزى) بالياء فى (عزالدين) وقيل (نجم) فى (نجم‌الدين) • كما حدث شىء من هذا عند الفرس فى الالقاب المركبة مثل (علاءالملك) و (مشيرالملك) ثم حذف المضاف اليه فصارت (نظامى) و (علائى) و (مشيرى) ثم غلبت هذه الالقاب فصارت كأنها اعلام ، كما غلب (سعدى) وهو لقب على اسم الشاعر المعروف •

---

(١٣) واضافة الياء فى هذه الاعلام مأخوذة من الطريقة التركية فى اعلامهم المستعارة من العربية وهى فى الـكثير الغالب مصادر ختمت بالياء ، مثل (صلحى) و (زهدى) و (حقى) و (فهمى) وغير ذلك على أن هذه الياء ليست من ياء النسبة فى شىء • وهذه الاعلام قد استعملها العرب فى العهود التركية المتأخرة وما زالت مستعملة حتى يومنا هذا • كما استعار الاتراك الفاظا عربية أخرى وأجروها مجرى الاعلام ولـكنهم اتبعوا فيها طريقة أخرى ، وذلك أنهم ختموها بتاء معجمة محققة وهى (رفعت) و (بهجت) و (شوكت) ، وهذه من غير شك من الرفعة والبهجة ، والشوكة ، غير ان وجه الخلاف يكون فى التاء فليست الـكلمة العربية وهى مختـــومة بالتاء كالـكلمة فى استعمالها الاعجمى وهى مختـــومة بالتاء ، ذلك أن التاء فى الطريقة التركية لازمة أبدا ولا يوقف عليها بالهاء كما فى العربية ، ومن أجل ذلك كانوا على حق فى رسمها بالتاء الطويلة • وقد سمى العراقيون بهذه الالفاظ تقليدا لهؤلاء الاعاجم • ولـكنهم آثروا رسم التاء بالمربوطة لمحا الى اصلها العربى • وقد استعمل الفرس هذا النوع من الاعلام فسموا بـ (هدايت) و (حكمت) و (نشأت) •

(٢) الاعلام التاريخية :

ويدخل فى هـــذا الصنف من الاعلام ما كان مستعملا فى العصور التأريخية السالفة ، وقد ظل مستعملا الى يومنا هذا ، ومن أمثلة هذا النوع من الاعلام ، أحمد ومحمد وعلي ، وهذه الاعلام ما زالت جارية عنـــد المسلمين كافة ، أما أبو بكر وعمر وعثمان[١٤] وعائشة ، فهى من الاعلام التى شـــاع استعمالها عند السنة منهم ، وبخاصة عنـــد الاكراد والاتراك المسلمين .

ومن هذه الاسماء الاعلام المنقولة وهى التى نقلت من النعوت والمصادر الى العلمية مثل الحسن ، والحسين ، والفضل ، والعباس وغير هذا ، وما زالت هذه الاعلام معروفة مستعملة ولـكنها مجردة عن هذه الالف واللام[١٥]

---

(١٤) قل أن تجد بين الشيعة من سمى بهذه الاعلام ، وهى ان وجدت بينهم فلفائدة ، وتلك عادة جرى عليها النساء اللواتى لم يرزقن فانهن يتشبثن بهذه الاسماء التى يعافها الـكثير رجاة أن يكتب لمولودهن الحياة والبقاء . ومثل هذه العادة معروف عند القرويين أيضا ، فالمرأة التى لا ترزق تتشبث بالاسماء التافهة والالفاظ الحقيرة رجاة أن يعيش لها مولودها ، كأن تسمى ابنها (زبالة) أو (زبانة) أو (خريبط) أو ما شابه هذا من الالفاظ التافهة . وقـد حصل مثل هـذا للمسلمين فى الموصل المجاورين للنصارى ، فقد تعمد الام الى تسمية طفلها باسم نصرانى للغرض نفسه ، فتسميه جرجيس والياس وغير ذلك من أسماء النصارى .

(١٥) لزمت الالف واللام هذه الاعلام ، ولـكنها جردت منها فى الاستعمال الحديث ، تخففا واختصارا ، ونستطيع أن نقول : ان جميع الاعلام التى لزمتها الالف واللام فى الاستعمال القديم ، سقطت عنها هذه الزيادة اللازمة فى الاستعمال الحديث . ومعلوم أن هذه الاداة زائدة اذ لا تقيد تعريفا ولا تخصيصا ، وقد عبر عنها الاقدمون بانها تزاد لمحـــاً للاصل . ولابد أن نسجل الى أن المغاربة فى أيامنا هذه يزيدون هذه الاداة فى الاعلام ومعنى ذلك أنهم ما زالوا يستعملون الاعلام على صورتها القديمة مثل الحسن والحسين والعباس والحمزة ، غير أنهم بالغوا فى هذه الطريقة فزادوا هذه الاداة فى الاعلام التى تكن لها هذه الاداة فى العصور القديمة فمن اعلامهم (البشير) وقد اشتهر مجردا عن هـذه الاداة فى العصور التاريخية ومثله الحبيب والطيب ، والهادى ، والصـافى ، والعـربى ، والمدنى ، والتهامى ، والمـكى ، والمهدى ، ولعل هذه الزيادة فى هذه الاعلام آتية من أن هذه الالفاظ كانت القاباً ثم استعملت استعمال العلم ، فصارت اعلاما عندهم والتزمت بالاداة ، ومن هذه ما يدخل فى باب المنسوب ، وقد غلبت العلمية عليه مثل المدنى ، والعربى ، والتهامى ، والجيلانى ،

التى كانت لازمة لها فى العصور التى سبقت عصرنا هذا فالشائع اليوم هو (حسن) و (حسين) بالامالة و (عباس) • وقد استعمل غير العرب من المسلمين كالاتراك والفرس هـــذه الاعلام مجردة عن هـــذه الزيادة فى عصرنا هذا •

واريد أن ادخل فى هذا الصنف نوعين من الاعلام :

(أ) الاعلام المستحدثة ولقد كانت هذه الالفاظ مصادر فاستعيدت اعلاما مذكرة أو مؤنثة وشيوع اللفظ المستعار للمذكر أو المؤنث هو الذى يقيده بالجنس مذكرا أو مؤنثا • وربما حدث تردد فى الصاق اللفظ بالمذكر أو المؤنث ، كأن نجد أن شابا من شبان هذا الزمان اسمه (ابتسام) وشابة مساوية له فى العمر اسمها (ابتسام) أيضا ، وليس ذلك راجعا الى المحلية أو الاقليمية فقد يكون الشاب أو الشابة من جهة واحدة • ومثل هذا نقول فى (رجاء) علما لمذكر أو مؤنث ، ومثله (نجاة) • ولابد أن نعرض لاصل هذا الاستحداث فى الاعلام فنقول ان الناس قد سئموا الاعلام السائرة والتى درج عليها الناس منذ أزمنة طويلة ، فراحوا يتصيدون هذه الاعلام ، وربما كان استعمال لفظ (التصيد) مصيبا فى هذا الموضوع ، ذلك أنهم يتوسمون أن يكون الاسم غريباً مما لم يجر على ألسنة الناس ، وأن يكون حلوا رقيقا فى أصواته ومجانسة هذه الاصوات بعضها ببعض ، ومن أجل هذا سموا (بان) علما لانثى ، والبان شجر معروف فى شبه الجزيرة ، دون أن يعرفوا حقيقة (البان) ، وربما كان فى أشجارهم الحضرية الانيقة ما يفوق هذا البان جمالا وبهاءً ، ولـكنهم لزموا البـــان لغرابته ولسهولته فى اللفظ ، ولجرسه وايقاعه •

ومثل هذه غلبة اللقب عند الفرس على العلم فى باب المنسوب مجردا من اداة التعريف نحو كربلائى (حسين) ومشهدى (جعفر) لمن زار مقام الحسين فى كربلاء ، ومن زار مشهد الامام علي الرضا ، ومثل هذا قد حدث عند القرويين فى جنوب العراق ، فقد غلبت كلمة (زاير) وهى لقب على العلم الاصلى فيقال (زاير) أو يقرن (الزاير) بالعلم ، فيقال (زاير ارحيمة) ، ويشير الزاير الى زائر احد المراقد الشريفة للائمة الاطهار •

وربما كان وقع الكلمة فى الاذن ومجانسة اصواتها ، هو السبب فى اختيارها دون غيرها ، ويتبين هذا مما نعرضه من الامثلة الآتية ، فقد اختاروا لفظ (هيام)[١٦] علما لانثى لما لهذا اللفظ من وقع حسن دون النظر فى معناه ، ذلك انهم لو اهتدوا الى المعنى لعزفوا عن هذا الاختيار ، فمن معانى الهيام أنه داء يصيب الابل فيكسبها العطش[١٧] ، والى هذا اشار الشاعر :

بى الحب او داء الهيام اصابنى فاياك عنى لا يكن بك ما بيا

ومثل هذا اختيارهم لفظ (سُهام) بضم السين علما لانثى ، فصوت اللفظ هو الذى حملهم على هذا الاختيار دون النظر الى المعنى[١٨] ، لان معنى السهام داء يصيب الابل .

ولعل من ذلك أيضا اختيارهم (سهاد) علما لانثى ، والسهاد الارق ، ولم يسموا (بالسُهد) مما هو داخل فى معناه .

ومن ذلك أيضا اختيارهم (عنان) علما لانثى ، والعِنان هو اللجام ، وهو السير الذى تمسك به الدابة والجمع أعنة ، ولعل صوت الكلمة دون

---

(١٦) واختيار هذه الالفاظ الرقيقة اعلاما ولاسيما للاناث مثل (هيام) و (نهاد) و (عنان) و (ناهدة) و (نهلة) و (رواء) وما اشبه ذلك ، يشبه الى حد كبير ما حدث فى الاعلام التى غلبت على الجوارى والقيان فى العصر العباسى نحو (ناعم) و (عريب) و (ماجن) و (تباريح الكوفية و (بنان) بضم الباء ، و (نشوان) و (شادن) و (زين) و (عارم) و (لاهى) و (مشتاق) و (شمسة الطنبورية) و (هاتف) و (خاشع) و (شمائل) و (عنان) ، انظر كتاب الموشى لابى الطيب محمد بن اسحق بن يحيى الوشاء ٢١٦ — ٢٢٩ ، ومن هذا (وحيد) للمغنية التى شبب بها ابن الرومى الشاعر :

يا خليلىّ تيمّتنى وحيد فقوآدى بها معنىً عميد

والذى نلاحظه ان أغلب هذه الاسماء مجردة من علامة التأنيث ، وربما كان ذلك تشبيها الجوارى والمغنيات بالغلمان ولاسيما فى هذا العصر الذى جد فيه هذا النوع من الهوى ، وقد نجد بين أسماء المغنيات والقنانات ما يشبه هذا فى أيامنا هذه مثل (فاتن) و (ملك) و (زهور) و (الهام) و (راقية) وغير هذا .

(١٧) انظر لسان العرب ، مادة (هيم) .

(١٨) انظر اللسان ، مادة (سهم) .

معناها هو الذى هداهم الى (العنان) دون (اللجام) مما هو فى معناه • ولا أرى أن احدا من الناس يرضى هـذه الالفاظ اعلاما اذا اهتدى الى معانيهـا •

وقد اختاروا (رند) علما لانثى وليس الرند بالشجر البهى الجميل وعندهم من الاشجار ما يفوق هذا النبات البدوى •

(ب) الاعـلام المستحدثة الاصلية وهى تلك التى كانت شـائعة فى العلمية ثم هجرت ثم عاد اليها الناس فى أيامنا هذه احياءً لاسماء الاولين الذاهبين من السلف ، وربما كان فى هذا الاحياء استجابة للنزعة القومية العربية • ومن ذلك أنهم بدءوا يسمون بـ (خالد) و (طارق) و (عدنان) و (قصى) و (لؤى) و (دريد)[١٩] و (مازن) و (رائد) و (ليث) و (عاصم) وغير هذا مما يدخل فى هذا الباب •

ومن اعلام الاناث (عائشة) وان كانت مستعملة بلفظ عيشة ولعل هذا اللفظ قد كان شائعا منذ القديم فقد كان وكيع بن الجراح يقول (عيشة) بدلا من (عائشة)[٢٠] وقد حمل الخفاجى لفظ (عيشة) على الخطأ[٢١] •

ومن هذه الاسلام (دعد) و (هند) و (اميمة) و (سلمى) و (ليلى) على أن اللفظ الدارج فى (سلمى) و (ليلى) و (سلمة) و (ليلة) وكأن الالف المقصورة للتأنيث مما لا يألفه الاستعمال الدارج الحديث وبخاصة فى العراق •

---

(١٩) ودريد من الاعلام العربية القديمة وقد جد التسمية فى أيامنا ، ولابد أن اذكر نكتة لطيفة فى الموضوع ، وذلك أن امرأة وضعت ولدا فأريد له أن يسمى باسم من هذه الاسماء الجديدة وهكذا اقترحت احداهن (دريد) فردت عليها الاخرى وهى امرأة جاهلة مالنا ولهذا (الدرد) ! ومعنى ذلك أن دريد وهو اسم عربى يذكر هذه المرأة الجاهلة (بالدرد) و (الدرد) كلمة دخيلة فارسية وتعنى الهم والالم وهى كثيرة الاستعمال فى العامية العراقية واستعمالها قديم فى هذه العامية ، وقد جاءت كثيرا فى شعر الحسين بن الحجاج الشاعر البغدادى •

(٢٠) الذهبى ، التذكرة ١/٢٨٣ ؛ ميزان الاعتدال ٣/٢٧٠ •

(٢١) الخفاجى ، شفاء الغليل ١٣٤ •

الاعلام غير الحضرية

ويدخل فى هذا الاعلام القروية والبدوية ونستطيع أن نصنف فى هذه الاعلام اصنافا عدة وهى كما يأتى :

(١) اعلام بأسماء النبات :

ومنها (نخيلان) و (حرفش) و (تمر) و (هوبر) و (حنظل) من اعلام الرجال و (تالة) و (ورده) و (شمامة) و (تفاحة) و (خيارة) و (رمانة) و (سعده) و (شيحة) و (قيصومة) من اعلام الاناث •

(٢) اعلام بأسماء الامكنة :

ومنها (غدير) و (وادى) و (نهر) و (جبل) و (بحر) و (شاطىء) من أسماء الرجال ، و (ثِنية) بكسر الثاء و (شمره) و (مظلمة) من اعلام الاناث •

(٣) اعلام بأسماء الحيوان :

ومنها (فهد) و (اسد) و (جرو) و (غزال) و (كليب) و (ذيب) و (ذيبان) و (بزون) و (عصفور) و (برهام) و (صكر) و (شبوط) من اعلام الرجال •

ومن اعلام الاناث (مهرة) و (كطاية) و (حمامة) و (طويرة) و (بنية) •

(٤) اعلام تدل على نماذج طبيعية :

ومنها (صلبوخ) و (صخريج) و (صخر) •

(٥) اعلام تدل على أدوات مستعملة :

ومنها (منجل) و (مجول) وهو الناعور اذا كان ذا صفين من الجرار فى جهات الحديثة وعنة وراوة ، و (دلة) و (سيف) و (خنجر) •

(٦) الاعلام المقرونة بدخول قائد أو جيش أو معركة وما دار فيها من أنواع السلاح :

ومنها (انكريزية) و (كوكس) وهو اسم المندوب السامى الانكليزى فى العراق (وليم كوكس) و (برنو) نوع من السلاح و (قنيبلة) تصغير فى القنبلة •

(٧) اعلام تدل على الصفات :

ومنها (ثجيل) وسببه أن الام كانت تشعر بثقله طوال مدة الحمل ، ومنه (متعب) بكسر الميم وسببه أن الام كانت قد تعبت عند وضعه ، ومنها (مظلوم) أو (امظيليم) أو (مظلومة) ومعناه أن ولادة الطفل اتفقت مع موت احد أبويه ، ومثله (العيبى) اشارة الى ابى الطفل الذى لم يحسن معاشرة زوجه .

وقد سمعت ممن اشترك فى تسجيل النفوس سنة ١٩٤٧ أن امرأة اسمها (غدا الشر) بكسر الغين ، ومعناه أن أمها وضعتها بعد جهد وتصبب حتى اذا وضعت ذهب عنها الشر .

ولهم فى الاعلام اساطير لا بأس أن نعرض لشىء منها ، وذلك ان احدهم فى ريف من أرياف العمارة فى مناطق الاهوار اسمه (صريوط) وهو (سيد) وللسيد عند هؤلاء الناس قدسية معروفة ينبنى عليها قيامه بالخوارق من الاعمال ، كأن رصاص البنادق لا يؤثر فيه ، وصاحبنا (صريوط) من هؤلاء أصحاب الخوارق فقد وضعته أمه واضطرت الى سرطه وبلعه فعاد ثانية مولودا جديدا ومن اجل هذا سموه (صريوط) والصاد ابدال من السين . ويدخل فى هذا الباب الاعلام التى تدل على الكفاية والتفضيل ، ومنها (بسعاد) و (بسنه) و (كافى) و (كفايه) و (تسواهن) و (علاهن) .

(٨) الاعلام الدالة على الزمان :

وفى هذه الاعلام يشترك اهل الحواضر مع غيرهم من سكان البوادى والارياف كالتسمية بالايام فالطفل الذى تضعه امه فى يوم الجمعة يسمى (جمعة) وهكذا قل فى (سبتى) لمن يولد فى أيام السبت ، و (خميس) لمن يولد فى أيام الخميس .

ومن هذه الاعلام (صفر) و (رجب) و (رمضان) و (شعبان) و (عيادة) لمن ولد فى العيد .

على أننا نستطيع أن نتبين أن هؤلاء القرويين يقلدون فى التسمية احيانا دون معرفة معانى الاسماء التى يطلقونها فى تقليدهم ، ومن ذلك ما حصل للقرويين

الذين هجروا الارياف ، واستوطنوا فى المدن وعاشوا الى جوار المتحضرين ، فقد رأيت أن طفلا من أطفال هؤلاء اسمه (احسان) وذلك تقليدا لاسم حضرى وهو اسم صاحب البيت المجاور لهم ، ولو سألت والد هذا الطفل عن معنى الاسم الجديد لما وجدت عنده جوابا ، واستقراء اعلام النشء بين هؤلاء يدل على تقليد هؤلاء للحضريين فى التسمية ، ومن ذلك أن احدهم حلاله أن يسمى وليدة له بـ (هيام) تقليدا لغيره وانسا بالكلمة ، ولكنه اقلع عن هذه التسمية بعد أن عرف مدلولها الشائع .

التصغير فى الاعلام

التصغير معروف فى العربية وأوزانه معروفة فى كتب الصرف ، وكتب الصرف تكتفى بالاوزان المعروفة ، وهى تصغير الثلاثى ، والرباعى ، والخماسى .

ولكن الاستقراء فى العربية فصيحها ولهجاتها الدارجة يدلنا على صيغ كثيرة من التصغير وقد اولع العرب بالتصغير منذ أقدم القصور ، وقد جاءت صيغة التصغير فى القرآن عدة مرات فى لفظ (قريش) و (شعيب) و (عزيز) و (حنين) و (سليمان) وتصغير الابن على (بنى) قد جاء فى ست آيات على لسان شيخ من شيوخ بنى اسرائيل ، أو على لسان نبى . وقد جاءت هذه الكلمة المصغرة فى ثلاثة فصول من امثال سليمان فى التوراة ، ولاشك ان استخدام هذه الصيغة المصغرة يؤدى غرضا معنويا .

والفائدة من التصغير معروفة فقد يفيد التحبيب ، وقد يفيد التحقير والتقليل ، ولعل هذا المعنى الاخير هو الذى جعل غير الحضريين من سكان القرى والبوادى يميلون الى التصغير فى اعلامهم وفى الالفاظ الاخرى . ذلك أن حياتهم قياسية ، وبيئتهم فقيرة مجدبة ، فهم فى فاقة وعوز وحاجة ابدا ، وليس لديهم الا التافه الحقير مما يأكلون ومما يستعملون ، ومن أجل ذلك يلصقون بهذا التافه الفاظا مصغرة ، فلا يزهى القروى بثوبه كما يزهى الحضرى المترف ، ولذا فالثوب عنده (ثويب) بالتصغير .

وللتصغير طرق غير الطرق المعروفة ، ومن ذلك أن يختم الاسم بالواو والنون ، كما فى (سعدون) ، و (خلدون) ، وهذه الطريقة فى الاعلام

شائعة فى المغرب العربى فمن اعلامهم (حمدون) و (وهبون) و (سحنون) و (جلون) و (فرحون) وغير هذا •

وهذه الطريقة فى التصغير معروفة فى العامية العراقية ، فتصغير (درب) (دربونة) والتاء تفيد المبالغة فى التصغير ، ومثل هذا لزوم التاء فى المصغر المؤنث اللفظى فى فصيح العربية ، فتصغير (ساق) (سويقة) ، وتصغير (عين) (عيينة) ، وتصغير (اذن) (اذينة) والتاء فى هذه الكلمات مؤكدة للتصغير ، كما هى مشيرة للتأنيث • ومنه فى الدارج العامى قولهم (بيتونة) مصغر (بيت) ، و (شىء) يصغر على (شويونه) بتشديد الياء ، و (حبّة) تصغر على (حبونة) •

وزيادة الواو والنون للتصغير تتفق مع ما هو معروف فى السريانية عن التصغير فكلمة (كتابا) تصغر على (كتابونا) ، وتتفق كذلك مع ما هو معروف فى العبرية عن التصغير ، فكلمة (ايشون) هو تصغير لكلمة (ايش)[٢٢] ومعناها (انسان) ، وربما كانت كلمة (ايسان) العربية قريبة من الكلمة العبرية •

وربما استطعنا حمل (عبدوس) على التصغير ، فالواو والسين اداة سريانية أخرى تذيل بها الكلمة لتصغر ، ولعل (حمديس) من هذا الباب أيضا •

ويكون التصغير بتذييل الاسم بالالف والنون كما فى (بنيّان) و (ثنيّان) بتشديد الياء فى كل منهما •

ولعل كلمة (حيزوم) لصدر السفينة ، صورة مصغرة أخرى ، فالحيز هو المكان ، فاذا ختم بهذه الاداة دل على مكان بعينه ، ونستطيع أن نحمل على ذلك (بلعوم) و (حلقوم) و (زردوم) •

والمتتبع لفرائد اللغة يجد ان طريقة التصغير تختلف بين جهة واخرى ، فالاعلام (رشيد) و (حسن) و (علي) تصغر على (رشّو) و (حسو) و (علو) بالتشديد فى جهات معينة من العراق •

وهناك من يصغر (خديجة) على (خجة) بادغام الدال بالجيم ، ومنهم

---

(٢٢) Gesenius' Hebrew Grammar, P. 240

يصغرها على (خدوج) ومنهم من يصغرها على (خديوج) ، ومنهم من يصغرها على (خديجة) باسكان الياء .

اما (فاطمة فتصغر على (فطوم) و (فطيم) و (فطومة) وهذا شائع معروف ، وقد تصغر على (فُطَيم) بفتحتين للتحبيب ، وقد صغرت فى مصر على (فطمطم)[٢٣] ، كما صغرت فى الموصل على (فطوش) وهذا التصغير فى (فاطمة) معروف فى التركية الحديثة .

اما (زينب) فقد صغرت على (زنوبة) وعلى (زمو) بتشديد الميم وقد صغرت على (زماوى) . واما (عائشه) فقد صغرت على (عيشة) و (عواشه) بتشديد الواو و (عويشة) .

وقد جاءت اعلام مصغرة وهى مختومة بالواو والشين لافادة التصغير كما فى (دعدوش) و (حمروش) و (بوكروش)[٢٤] وهذا شائع فى المغرب .

ولعل اداة التصغير الحقيقية هى الواو الاخيرة فى الكلمة كما فى (قدور) من عبدالقادر و (عصفور)[٢٥] من (صفر) و (شعرور) مصغر (شاعر) و (حبرور) فى ذكر الحبارى ، و (عزوز) بالتشديد مصغر (عزيز) .

كلمة اخيرة

ونستطيع ان نتبين أن للعبيد والمماليك أسماء خاصة ما زالت مستعملة حتى يومنا ، تدل عموما على تكريم هؤلاء باطلاقها عليهم مثل (ياقوت) و (مرجان) و (ماس) و (جوهر) ، وقديما كانت اعلام المماليك على هذه الشاكلة .

فالفقيه الشامى المتوفى سنة ١١٧هـ اسمه مكحول[٢٦] ، لانه كان من الاسرى الذين جيء بهم من كابل . واسم كافور الاخشيدى من المماليك على هذه الشاكلة .

---

(٢٣) انظر انو ليتمان ، مجلة كلية الآداب ١٩٤٨ الجزء الاول .

(٢٤) والعلم (بوكروش) هو من الكنى فى الاصل وقد اقيمت الكنى فى المغرب مقام الاسماء كما فى (بو القاسم) و (بو مدين) .

(٢٥) سمي (العصفور) من صوت الطائر وهو (صفر) ويدلنا على ذلك ما فى العبرية فالاسم فيها هو (صفور) بتشديد الفاء .

(٢٦) ابن خلكان ٢/٥٨٥ .

ابن الكوفى

٢٥٤ ـ ٣٤٨هـ/٨٦٨ ـ ٩٦٠م

الدكتور حسين علي محفوظ

تصـــدير

زُرْت دار الكتب الرضوية ، فى مدينة مشهد بخراسان أخيرا ؛ صيف سنة ١٩٥٧ ؛ فاستطلع خازن مخطوطاتها رأيى فى كتاب خطى فريد ، ما كان يعرف اسمه ، وكأن قد ظنه كتاب اخبار مكة ؛ لابى الوليد محمد بن عبدالله بن احمد الازرقى ؛ لانه لم يطلع عليه • فخبرته أنه ليس اياه •

استنسخت الكتاب بالتصوير ـ على كل حال ـ وتصفحته فشاقنى ، وأعجبت به ، وأكبرت نهجه ، ونزعت نفسى الى معرفة مصنفه ، وشوقتنى فوائده الى تحقيقه •

وعثرت ذات يوم على أوراق بخط الشيخ اقابزرگ الطهرانى نزيل النجف فيها بعض مقيداته • ومنها ؛ فقرة استخرجها من كتاب « المنقذ من التقليد والمرشد الى التوحيد ـ المسمى (التعليق العراقى) ـ لسديدالدين محمود بن على بن الحسن الحمصى الرازى ، المتكلم ؛ نزيل الحلة ؛ المتوفى سنة ٥٩٠هـ • وقد نقلها السديد الحمصى هذا ، من كتاب « غرر الادلة » لابى الحسين محمد بن على بن الطيب ؛ المتكلم ، المعتزلى ، البصرى ؛ المتوفى سنة ٤٣٦هـ ـ قال : « قرأت بخط ابن الكوفى فى كتاب (منازل مكة) »(*) •

من أجل ذلك نسب الشيخ اقابزرك كتاب « منازل مكة » الى ابن الكوفى •

(*) وقد تصفحت معظم نسخة كتاب « التعليق العراقى » المحفوظة بخزانة السيد الاستاذ صادق كمونة فى بغداد فلم تقع عينى على الكلمات التى نقلها من « غرر الادلة » •

فتذكرت النسخة الخطية ، وظننتها « منازل مكة » ولـكن نسبتها الى ابن الـكوفى أمر ما أزال أتظناه • فالرجل كثير الاستنساخ ، والنقل من منتسخاته شيء معروف •

ومهما يكن من شيء ؛ فان مصنف (منازل مكة) هذا ؟ رجل كوفى ، قريب من عهد ابن الـكوفى ـ ان لا يكنه ـ فأكثر الرواة الذين روى عنهم من طبقة مشايخه ، وممن يوافق زمانهم عصره •

وقد حثنى ذلك على تطلب ترجمة ابن الكوفى ، وتتبع سيرته ، والتماس مظانها ؛ فعجبت من هذا الرجل الانسانى العظيم ، الذى كان يعول الطلاب الفقراء ويكفلهم • وقد أنفق كل ما خلف له أبوه وهو (١٠٧ر٥٠٠) دينار عراقى ـ بحسب نقودنا اليوم ـ فى سبيل العلم ، وتحصيل الـكتب ، واعاشة الفقراء •

وقد اختار داره فى طاق الحرانى ببغداد ، قريبا من سوق الوراقين ـ وكان فيها اكثر من مائة حانوت لبياعى الـكتب • وظل ذلك الشيخ الهِمّ ؛ الذى ذرف على التسعين ؛ قائما بالتحقيق والرواية والتدريس حتى آخر يوم فارق فيه الحياة • ولو كان هذا العجوز موجودا اليوم ، لسارعت جميع الجامعات الى دعوته للتدريس فيها ، ولفخرت كافة المجامع العلمية برياسته ، ولاهرع العلماء من كل فج الى الاستفادة منه • فما ينقصه مما يطّلبه العالم المحقق فى القرن العشرين شيء •

وهنالك أسباب كثيرة تجعلنا نحترم ابن الـكوفى ، وتضطرنا الى الاهتمـام به • فلقد كان ـ رحمه الله ـ أول محقق عراقى اتبع الطريقة العلمية الصحيحة فى التأليف والـكتابة والنقل • ويكاد يُعَدّ الرائد الاول فى العالم لاحدث الطرائق العلمية المستعملة اليوم •

كان خطه معروفا بالصحة والجودة • وقد اسرف فى الاتقان والدقة والضبط ؛ وهو أوحد عصره فى هذا الباب •

ومما يزيدنا اعجابا به خزانة كتبه الجامعة الرائعة ؛ الحافلة بالكتب القيمة والاسفار الجليلة ، فى مختلف العلوم والفنون • وقد سبق أهل العصر الى الترتيب العلمى ؛ اذ رتب كتبه على العلوم •

ومن عجائب دقة هذا الرجل النابغة ، أنه سبق الاروبيين الى أحدث الطرائق العلمية فى فن التأليف والجمع • فقد ابتكر استعمال الجزاز ، وهى « الرقاع » التى نسميها اليوم « فيش » وقد بيعت أوراقه بعد وفاته كل بطاقة بدرهم ؛ أى ٢١٥ فلسا ـ بحسب نقودنا ؛ وفق تسعير هذا الاسبوع ـ بينما كان النساخون يكتبون كل خمس رقاع بدرهم •

وقد أثنى عليه ثمانية وعشرون مؤرخا ، واتكلوا على تتبعاته ووصفوه بأنه ثقة صادق منقر بحاث • واعتمدوا على كتبه ، واستفادوا من مجموعاته ، وكانوا يفخرون بالنقل من خطه ، ويباهون بدقته وضبطه • فكان أحدهم ، اذا قال نقلت من خط ابن الكوفى فكأنه أشهد ذوى عَدْل •

والمهم جدا ؛ هو ما وصل الينا بتوسطه من نتاج الثقافة والتأليف • لقد حسبت ما نقله ابن النديم فى الفهرست ؛ مثلا ـ وهو أساس الببلوغرافيا العربية الاسلامية حتى أواخر القرن الرابع الهجرى ـ فوجدت ان عشره تقريبا نقله ابن النديم من خط ابن الكوفى • ويكاد يكون عيالا عليه ؛ فقد نقل من خطه فصولا طوالا فى (٢٩) موضعا •

وقد روى بوساطته من التراث الذى دون طوال القرون الاربعة الاولى من تاريخ ثقافتنا علم جم ، وأدب دَثْر ؛ فان مقدار ما رواه عنه واحد من تلاميذه العشرة ، هو ٦٠٠ كتاب من كتب اللغة ، والطب ، والادب ، والتاريخ ، والانساب ، والكلام ، والفقه ، والخطب ، والتفسير ، والشعر •

وقد أوصل الينا نحوا من ٤٠٠ أصل من المجموعات الحديثيّة • كما أوصل الينا جميع تأليفات :

ابن فضال ، وهى خمسة وثلاثون كتابا •

والطاطرى ، وهى أكثر من ثلاثين كتابا •

وابى اسحق ابراهيم الثقفى الـكوفى ، وهى واحد وخمسون كتابا •

وأبان بن عثمان الاحمر البجلى •

والحسن بن سماعة الـكوفى ، وهى ثلاثون كتابا •

وصفوان بن يحيى ؛ بياع السابرى ، وهى كثيرة جاوزت ثلاثين كتابا •

وابن غراب الفزارى القاضى •

وكردين •

والحسن بن محبوب السراد •

وبكار بن أحمد •

وأحمد الاودى •

واحمد بن فضال •

ودست الواسطى •

والحسين بن المختار القلانسى •

ويحيى بن الحنفى •

وأبى داود المسترق •

وأبى زيد الرطاب •

وابراهيم بن سمال •

واسمعيل بن مهران السكونى •

وغيرهم •

وهأنذا أورد تفصيل سيرته ؛ احياءً لذكراه الالفية ، فى عامنا هذا ، سنة ١٩٦٠ •

ابن الـكوفى :

هو على بن محمـد بن عبيـد بن الزبير[١][٢] ، أبو الحسن[٣] ، الاسدى[٤] ، القرشى[٥] ، الـكوفى[٦] ـ البغـدادى[٧] ؛ المعـروف بابن الـكوفى[٨] ، وابن الزبير[٩][١٠] • من وُلد أسد بن عبـد العزى بن قصى ؛ رهط خديجة بنت خويلد[١١] •

---

(١) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٥٣ ، والوافى بالوفيات ج ٢٢ ورقة ٢٩ أ ، وهدية العارفين ج ١ ص ٦٨٠ ، والاعلام ج ٢ ص ٦٨٨ •

(٢) أسقط الخطيب فى تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٨١ ـ اسم « عبيد » • وكذلك الشيخ الطوسى ، فى الرجال ورقة ١١٥ ب • وراجع الفهرست للطوسى ـ أيضا ـ ص ٦ و ١١ و ١٨ و ٢٣ و ٣٩ و ٤٧ و ٦٥ و ٦٩ و ٩٢ و ١٢٩ • وسيرالنبلاء ج ١٠ ورقة ١٤٠ أ ، والعبر ج ١ ق ٢ ورقة ١٤٩ ب ، وعيون التواريخ ج ١٢ ورقة ١٠٤ ب • ولاحظ المنتظم ج ٦ ص ٣٩١ •

(٣) الفهرست ص ٧٩ ، وفهرست الطوسى ص ٣٩ ؛ ترجمة « بكار بن احمد » ، ومنهج المقال ص ٧٠ ترجمة بكار ـ أيضا ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٨١ ، والمنتظم ج ٦ ص ٣٩١ ، وسير النبلاء ج ١٠ ورقة ١٤٠ أ ، والعبر ج ١ ق ٢ ورقة ١٤٩ ب ، والوافى بالوفيات ج ٢٢ ورقة ٢٩ أ ، وعيون التواريخ ج ١٢ ورقة ١٠٤ ب ، وهدية العارفين ج ١ ص ٦٨٠ ، والاعلام ج ٢ ص ٦٨٨ •

(٤) الفهرست ص ٧٩ ، والوافى بالوفيات ج ٢٢ ورقة ٢٩ أ ، وهدية العارفين ج ١ ص ٦٨٠ ، والاعلام ج ٢ ص ٦٨٨ •

(٥) الرجال للطوسى ورقة ١١٥ ب ، والخرايج والجرائح ص ٢ ، والمنتظم ج ٦ ص ٣٩١ ، وسير النبلاء ج ١٠ ورقة ١٤٠ أ ، والعبر ج ١ ق ٢ ورقة ١٤٩ ب ، وعيون التواريخ ج ١٢ ورقة ١٠٤ ب •

(٦) الفهرست ص ٧٩ ، والرجال للطوسى ورقة ١١٥ ب ، والمنتظم ج ٦ ص ٣٩١ ، وسير النبلاء ج ١٠ ورقة ١٤٠ أ ، والعبر ج ١ ق ٢ ورقة ١٤٩ ب ، وعيون التواريخ ج ١٢ ورقة ١٠٤ ب •

(٧) الوافى بالوفيات ج ٢٢ ورقة ٢٩ أ •

(٨) الفهرست ص ٧٩ ، والوافى بالوفيات ج ٢٢ ورقة ٢٩ أ ، وهدية العارفين ج ١ ص ٦٨٠ ، والاعلام ج ٢ ص ٦٨٨ •

(٩) الفهرست للطوسى ص ٩ و ٨٤ و ١٧٨ و ١٨٤ و ١٨٩ ، ورجال النجاشى ص ٦٤ ترجمة « ابن عبدون » ، ومجمع الرجال ـ باب العين ـ •

(١٠) وعلى بن الزبير ـ أيضا ـ تراجع فهرست الطوسى ص ٦٥ • وعلى بن محمد بن الزبير ص ١٢٩ •

(١١) الفهرست للطوسى ص ٣٩ ، ترجمة « بكار بن أحمد » •

مولـــده :

ولد بالـكوفة (ظ) كما يفهم من ســياق ترجمتــه ، فى انبــاه الرواة[١٢] • فقــد كان والده من أهل الـكوفة[١٣] • وقــد ذكره ابن النجار[١٤] ، فى « كتاب الـكوفة »[١٥] • ونسبه الخطيب اليها[١٦] • وربما دل حمله اليها ـ بعد موته[١٧] ـ على أمور ؛ أحدها أنها مولده •

ميـــلاده :

أما ميلاده ؛ فقد كان سنة ٢٥٤هـ[١٨] (= ٨٦٨م)[١٩] •

وفـــاته :

وتوفى ببغداد ـ يوم الخميس ، لعشر خلون من ذى القعدة ، سنة ٣٤٨هـ[٢٠] (= ١٢ كانون الثانى ســنة ٩٦٠م[٢١]) ـ وحمــل الى

---

(١٢) انباه الرواه ج ٢ ص ٣٠٥ •

(١٣) انباه الرواه ج ٢ ص ٣٠٥ •

(١٤) هو أبو الحسين محمد بن جعفر بن محمد بن هرون بن فوقة ، التميمى ، النحوى ؛ ابن النجار ، الـكوفى • ولد سنة ٣٠٣هـ وتوفى سنة ٤٠٢هـ • تراجع تأسيس الشيعة ص ١٠٠ ـ ١٠١ و ٢٥٥ ، والـكنى والالقاب ج ١ ص ٤٢٣ وكشف الظنون ج ٢ ص ١٤٦٣ ، وبغية الوعاة ص ٢٨ •

(١٥) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٥٤ •

(١٦) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٨١ •

(١٧) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٨١ •

(١٨) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١ ٨، ومعجم الادباء ج ١٤ ص ١٥٣ ، والوافى بالوفيات ج ٢٢ ورقة ٢٩ أ ، وبغية الوعاة ص ٣٥٠ ، وهدية العارفين ج ١ ص ٦٨٠ •

(١٩) التوفيقات الالهامية ص ١٢٧ •

(٢٠) المراجع المذكورة آنفا « هامش/١٨ » ، والـكتب التى ذكرت ترجمته الا انباه الرواه •

(٢١) التوفيقات الالهامية ص ١٧٤ •

الـكوفة[٢٢] ، ودفن فى مشهد أمير المؤمنين[٢٣] ، بالنجف • وقد عُمّر أربعا وتسعين سنة[٢٤] •

سـيرته :

كان والد ابن الـكوفى من ذوى اليسار بالـكوفة ، ولما مات خلف له اكثر من خمسين ألف دينار[٢٥] • فصرفها كلهـا فى طلب العلم ، وتحصيل الـكتب ؛ اشتراء ، واستنساخا ، وكتابة[٢٦] •

ولم يكفه ذلك ؛ فقد صرف جزءا من ثروته لمساعدة فقراء طلبـة العلم • وكان منزله مغشيا منهـم ، حافلا بهم ؛ ينفق عليهم ، ويتعهـد معيشتهم[٢٧] •

دراسـته :

اشتغل ابن الـكوفى بطلب العلم ، فى عنفوان السن[٢٨] ـ وكان من خواص ثعلب[٢٩] ، ويُعَدّ أحد أعيان تلاميذه[٣٠] ، وأوصى اليه عند

---

(٢٢) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٨١ •
(٢٣) الرجال للطوسى ورقة ١١٥ ب •
(٢٤) سير النبلاء ج ١٠ ورقة ١٤٠ أ ، والعبر ج ١ ق ٢ ورقة ١٤٩ ب ، وعيون التواريخ ج ١٢ ورقة ١٠٤ ب •
(٢٥) وتساوى بحسب نقودنا ـ اليوم ١٢ كانون الثانى ١٩٦٠ ـ ١٠٧٥٠٠ دينار •
(٢٦) انباه الرواه ج ٢ ص ٣٠٥ •
(٢٧) قال القفطى : « وصرف من ذلك [تراث أبيه] جزءا صالحا لفقراء طلبة العلم • وكان منزله مغشيا منهم ، ونفقاته عليهم واسعة » تراجع انباه الرواه ج ٢ ص ٣٠٥ ـ ٦ •
(٢٨) انباه الرواه ج ٢ ص ٣٠٥ : « اشتغل ••• بطلب العلم من يومه » •
(٢٩) الوافى بالوفيات ج ٢٢ ورقة ٢٩ أ ، ومعجم الادباء ج ١٤ ص ١٥٤ ـ نقلا من كتاب الـكوفة لابن النجار • وفى انباه الرواه ج ٢ ص ٣٠٥ : « من أصحاب ابى العباس ثعلب المختصين به » •
(٣٠) معجم الادباء ج ٥ ص ١٢٧ ترجمـة « ثعلب » ، وطبقات النحويين ص ١٦٦ ترجمة « ثعلب » • وقال الذهبى : « كان من جلة تلامذة ثعلب » تراجع سير النبلاء ج ١٠ ورقة ١٤٠ أ •

وفاته[٣١] ـ وروى أكثر الاصول[٣٢][٣٣] • وحدث عن على بن الحسن بن فضال[٣٤][٣٥] ؛ الـكوفى ، جميع كتبه[٣٦][٣٧] •

---

(٣١) طبقات النحويين ص ١٦٦ ، ومعجم الادباء ج ٥ ص ١٢٧ ـ ترجمة « ثعلب » •

(٣٢) الاصول ـ هى المجموعات الحديثية الاربعمائة ، التى دونها علماء أهل البيت طوال القرون الاربعة الاولى من تاريخ الثقافة الفقهية فى الاسلام • راجع : الوجيزة للشيخ البهاء ص ١٨٣ ، والذريعة ج ٢ ص ١٢٥ ـ ٧٠ ، و ج ٦ ص ٣٠١ ـ ٣٧٤ « مادة كتاب الحديث » ، واعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٢ ـ ٣ ، وسيرة الـكلينى ص ٣ ـ ٤ •

وقد جمع الاصول وهذبها ورتبها طائفة من ثقات المحدثين ، فى مجموعات حديثية كبيرة ، ربما كان أجلها ؛ الـكافى ، للـكلينى (المتوفى سنة ٣٢٩هـ) ؛ فان عدة أحاديثه ١٦١٩٩ • ومن لا يحضره الفقيه لابن بابويه (المتوفى سنة ٣٨١هـ) ، وتهذيب الاحكام ، والاستبصار ؛ للشيخ الطوسى (المتوفى سنة ٤٦٠ هـ) راجع سيرة الـكلينى ص ٣ ـ ٤ ، و ٣٤ •

(٣٣) رجال الطوسى ورقة ١١٥ ب ، ونقد الرجال ص ٢٤٢ ، وجامع الرواة ج ١ ص ٥٩٨ ، والوجيزة ص ١٥٩ ، ومنتهى المقال ص ٢٢٢ ، ومنهج المقال ص ٢٣٧ ، وتنقيح المقال ج ٣ ص ٣٠٤ ، واتقان المقـــال ص ٢٠٩ •

(٣٤) له ترجمة فى فهرست الطوسى ص ٩٢ ـ ٣ ، ورجال النجاشى ص ٣٨١ ـ ٣ ، وخلاصة الاقوال ص ٤٥ ـ ٦ والـكنى والالقاب ج ١ ص ٣٦٦ ـ ٧ ، وتأسيس الشيعة ص ٢٥٨ و ٣٣٠ و ٣٣٥ •

(٣٥) فهرست الطوسى ص ٩٣ ، ورجال الطوسى ورقة ١١٥ ب ، ورجال النجاشى ص ٩ ترجمة « ابان بن تغلب » و ١٨٣ ترجمة « ابن فضال » ، ونقد الرجال ص ٢٤٢ ، واتقان المقال ص ٢٠٩ ، وتنقيح المقال ج ٣ ص ٣٠٤ •

(٣٦) وهى كثيرة نعرف منها ٣٥ كتابا • تراجع رجال النجاشى ص ١٨٢ ـ ٣ ، وفهرست الطوسى ص ٩٢ ـ ٣ •

(٣٧) رجال النجاشى ص ١٨٣ فى ترجمة « ابن فضال » ، وجامع الرواة ج ١ ص ٥٩٨ ، ونقد الرجال ص ٢٤٢ ، واتقان المقال ص ٢٠٩ • وراجع رجال الطوسى ورقة ١١٥ ب ، ولاحظ كافة كتب الرجال •

روايـــاته :

كما روى عن ابن فضال هذا ـ أيضا ـ اكثر ما أخبر به من الـكتب ، والروايات ، والتصانيف ، والاصول ؛ مما لا يكاد يضبط • ومنها :

كتاب الحسين بن المختار القلانسى[٣٨] •

وكتاب يحيى بن الحنفى[٣٩] •

وكتاب أبى داود المسترق[٤٠] •

وكتاب الدلائل ، لابى زيد الرطاب[٤١] •

وكتاب ابراهيم بن ابى بكر بن سمال[٤٢] •

وكتاب خطب أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ من مصنفات ابى يعقوب اسمعيل بن مهران بن محمد بن ابى نصر السكونى[٤٣] •

وكتاب النوادر للسكونى ـ كذلك[٤٤] •

وكتاب الصلاة لاحمد بن الحسن بن على بن محمد بن فضال ؛ المتوفى سنة ٢٦٠هـ[٤٥] •

وكتاب الوضوء ، له ـ أيضا[٤٦] •

وجميع كتب الحسن بن محمد بن سماعة الـكوفى ؛ المتوفى سنة ٢٦٣هـ • وهى ٣٠ كتابا ، وكذلك جميع رواياته[٤٧] •

وكتـــاب على بن عبدالعزيز ؛ المعـــروف بابن غراب ، الفزارى ، الـكوفى ، القاضى ؛ المتوفى سنة ١٨٤هـ[٤٨] •

---

(٣٨) فهرست الطوسى ص ٥٥ •
(٣٩) فهرست الطوسى ص ١٧٨ •
(٤٠) فهرست الطوسى ص ١٨٤ •
(٤١) فهرست الطوسى ص ١٨٩ •
(٤٢) فهرست الطوسى ص ٩ •
(٤٣) فهرست الطوسى ص ١١ •
(٤٤) فهرست الطوسى ص ١١ •
(٤٥) فهرست الطوسى ص ٢٤ •
(٤٦) فهرست الطوسى ص ٢٤ •
(٤٧) فهرست الطوسى ص ٥٢ •
(٤٨) فهرست الطوسى ص ٩٦ •

وكتاب ابى سيار كردين بن مسمع[٤٩] .

كما روى عنه ، وعن ابى الملك أحمد بن عمر بن كيسبة ، النهدى ـ كل كتب على بن الحسن الطاطرى ؛ الكوفى . وهى اكثر من ثلاثين كتابا[٥٠] .

وروى كتاب المشيخة ؛ لابى على بن محبوب السراد ، الكوفى ؛ عن الحسين بن عبدالملك الازدى[٥١][٥٢] .

وروى ـ كذلك ـ ٥١ كتابا مما صنف ابو اسحق ابراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود ؛ الثقفى ، الكوفى ، نزيل اصفهان ـ عن عبدالرحمن بن ابراهيم المستملى[٥٣] .

وروى ـ أيضا :

كتاب المبدأ والمبعث ، والمغازى ، والوفاة ، والسقيفة ، والردة ؛ لابى عبدالله ابان بن عثمان الاحمر ، البجلى ، الكوفى ؛ عن الحسن بن على بن فضال ، والحسين بن عبيدالله[٥٤] .

وكتاب المشيخة ، لابى جعفر ، أحمد بن الحسين بن عبدالملك ، الاودى ، الكوفى ـ عنه[٥٥] .

وكتاب درست بن ابى منصور الواسطى ، عن أحمد بن عمر بن كيسبة[٥٦] .

وكتب ابى محمد ، صفوان بن يحيى ؛ بيّاع السابرى ـ وهى كثيرة جاوزت ثلاثين كتابا ـ عن زكريا بن شيبان[٥٧] .

---

(٤٩) فهرست الطوسى ص ١٢٩ .
(٥٠) فهرست الطوسى ص ٩٢ .
(٥١) الاودى [خ ل] فهرست الطوسى/هامش ص ٤٧ . ولقبه فى ترجمته ص ٢٣ : الاودى ـ أيضا .
(٥٢) فهرست الطوسى ص ٤٧ .
(٥٣) فهرست الطوسى ص ٦ .
(٥٤) فهرست الطوسى ص ١٨ .
(٥٥) فهرست الطوسى ص ٢٣ ـ ٤ .
(٥٦) فهرست الطوسى ص ٦٩ .
(٥٧) فهرست الطوسى ص ٨٤ .

وكتاب الجنائز ، لبكار بن أحمد ، عن على بن العباس المقانعى[٥٨] .

وكتابا للنبى -ص- عن يحيى بن اسمعيل ، عن جعفر بن على ، عن سيف بن عميرة ؛ باسناده عن حنظلة الكاتب[٥٩] .

شيوخه :

ابن الكوفى محدث[٦٠] ، أديب[٦١] ، نحوى[٦٢] ، مقرىء[٦٣] . لاقى أمة من الاشياخ ، وحدث عن جماعة من الرواة .

عدّه الزبيدى « من تلاميذ [ثعلب] »[٦٤] .

وقال ابن النجار فى كتاب الكوفة : « من أصحاب ثعلب .. وأنفق على العلم ثلاثين ألف درهم ، على ثعلب وحده »[٦٥] .

وقال ياقوت الحموى : « صاحب ثعلب ، والخصيص به »[٦٦] .

وقال القفطى : « من أصحاب أبى العباس ثعلب ؛ المختصين به »[٦٧] .

وقال الذهبى : « كان من جلة تلامذة ثعلب »[٦٨] .

وقال الصفدى : « كان من خواص ثعلب . روى عنه كثيرا »[٦٩] .

---

(٥٨) فهرست الطوسى ص ٣٩ .
(٥٩) فهرست الطوسى ص ٦٥ .
(٦٠) العبر ج ١ ق ٢ ورقة ١٤٩ ب ، وعيون التواريخ ج ١٢ ورقة ١٠٤ ب .
(٦١) سير النبلاء ج ١ ورقة ١٤٠ أ ، وتأسيس الشيعة ص ٨٣ .
(٦٢) بغية الوعاة ص ٣٥٠ ، وتأسيس الشيعة ص ٨٢ .
(٦٣) تأسيس الشيعة ص ٣٤٥ .
(٦٤) طبقات النحويين واللغويين ص ١٦٦ ترجمة « ثعلب » .
(٦٥) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٥٤ .
(٦٦) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٥٣ . وقال فى « ترجمة ثعلب » ج ٥ ص ١٢٧ : « أحد أعيان تلاميذه » .
(٦٧) انباه الرواه ج ٢ ص ٣٠٥ .
(٦٨) سير النبلاء ج ١٠ ورقة ١٤٠ أ ، وتراجع بغية الوعاة ص ٣٥٠ .
(٦٩) الوافى بالوفيات ج ٢٢ ورقة ٢٩ أ .

وروى عن على بن الحسن بن فضال جميع كتبه ، ورواياته[٧٠] .

وروى ـ أيضا ـ عن :

أبى الملك أحمد بن عمر بن كيسبة النهدى[٧١] .

والحسين بن عبدالملك الاودى[٧٢] .

وعبدالرحمن بن ابراهيم المستملى[٧٣] .

والحسين بن عبيدالله[٧٤] .

والحسن بن على بن فضال[٧٥] .

وزكريا بن شيبان[٧٦] .

وعلى بن العباس المقانعى[٧٧] .

ويحيى بن اسمعيل[٧٨] .

وأحمد بن الحسين بن عبدالملك الاودى[٧٩] .

وعلى بن الحسين[٨٠] .

---

(٧٠) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٨١ ، ورجال الطوسى ورقة ١١٥ ب ، وفهرست الطوسى ص ٦ و ٩ و ١١ و ١٨ و ٢٣ و ٣٩ و ٤٧ و ٦٥ و ٦٩ و ٨٤ و ٩٢ و ١٢٩ و ١٧٨ و ١٨٤ و ١٨٩ . ورجال النجاشى ص ٩ و ٥٥ و ١٨٣ و ٢٥٥ الخ ـ وكتاب الاستبصار ج ١ ص ١٠ « باب استعمال فضل وضوء الحائض » ، وص ٤٩ « باب وجوب غسل الجنابة والحيض » ، و ص ٥٣ « باب ان المرأة اذا أنزلت وجب عليها الغسل فى النوم واليقظة وعلى كل حال » وكتاب تهذيب الاحكام ج ١ ورقة ٩ « باب آداب الاحداث الموجبة للطهارة » وورقة ٤٦ « باب حكم الحيض » .

(٧١) فهرست الطوسى ص ٦٩ و ٩٢ .
(٧٢) فهرست الطوسى ص ٤٧ .
(٧٣) فهرست الطوسى ص ٦ .
(٧٤) فهرست الطوسى ص ١٨ .
(٧٥) فهرست الطوسى ص ١٨ .
(٧٦) فهرست الطوسى ص ٨٤ .
(٧٧) فهرست الطوسى ص ٣٩ ، ومنهج المقال ص ٧٠ .
(٧٨) فهرست الطوسى ص ٦٥ .
(٧٩) فهرست الطوسى ص ٢٤ .
(٨٠) فهرست الطوسى ص ١٨٤ .

وحدّث ببغداد ، عن[٨١] :

ابراهيم بن ابى العنبس القاضى •

والحسن بن على بن عفان •

ومحمد بن على بن عفان •

وابراهيم بن عبدالله القصار •

ومحمد بن الحسين الحنينى •

وعلى بن الحسن بن فضال •

وابى العباس فضل بن محمد بن يحيى بن المبارك ، اليزيدى[٨٢] •

الرواة عنه :

وروى عنه[٨٣] :

ابن رزقويه •

وابو نصر احمد بن محمد بن حسنون ، النرسى •

واحمد بن عبدالله بن كثير ، البيع •

ومحمد بن عبيد الحنائى

وابو الحسن على بن احمد بن محمد بن داود بن موسى بن بيان ، المعروف بابن طيب ؛ الرزاز ، المتوفى سنة ٤١٩هـ[٨٤] •

وابو على بن شاذان •

والحسن بن ابى بكر[٨٥] •

وابو عبدالله أحمد بن عبدالواحد بن احمد البزاز ، المعروف بابن

---

(٨١) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٨١ ، وسير النبلاء ج ١٠ ورقة ١٤٠ أ •
(٨٢) الفهرست ص ١٤١ • وتراجع تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٧٠ •
(٨٣) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٨١ ، وسير النبلاء ج ١٠ ورقة ١٤٠ أ •
(٨٤) وتراجع ـ أيضا ـ تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٣٠ •
(٨٥) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٨١ •

عبدون[٨٦] ، وابن الحاشر[٨٧][٨٨] ـ المتوفى سنة ٤٢٣ .

وابو محمـــد هرون بن موسى بن احمـــد بن سعيد التلعكبرى ، الشيبانى[٨٩] .

والشيخ المفيـــد ؛ محمد بن محمد بن النعمـــان ؛ المتوفى ســـنة ٤١٣هـ[٩٠] .

توثيقـــه :

أجمع المؤرخون ، الذين ذكروا ابن الـكوفى على توثيقه ، والاعتماد عليه فى التحقيق ، والضبط ، والرواية ، والاسناد ، والنقل .

قال ابن النديم : « عالم صحيح الخط ، راوية .. صادق فى الحكاية ، منقر ، بحاث »[٩١] .

وقال النجاشى : « كان علوا فى الوقت »[٩٢][٩٣] .

---

(٨٦) له ترجمة فى رجال الطوسى ورقة ١٠٨ ب ، وراجع الـكنى والالقاب ج ١ ص ٣٤١ ، وتأسيس الشيعة ص ١٠٠ ، ومنهج المقال ص ٣٨ .

(٨٧) فهرست الطوسى ص ١٠٣ ترجمة « عبدالله بن أحمد بن ابى زيد الانبارى » ، و ص ١٣٣ ترجمة « محمـــد بن ابراهيم بن يوسف الـكاتب » .

(٨٨) منهج المقال ص ٣٦ « ترجمة ابن عبدون » و ص ٢٣٧ ، ومنتهى المقال ص ٣٦ ، ونقد الرجال ص ٢٤٢ ، وفهرست الطوسى ص ٦ و ٩ و ١١ و ١٨ و ٢٣ و ٣٩ و ٤٧ و ٦٥ و ٦٩ و ٨٤ و ٩٢ و ١٢٩ و ١٧٨ و ١٨٤ و ١٨٩ .

(٨٩) رجال الطوسى ورقة ١١٥ ب .

(٩٠) مستدرك الوسائل ج ٣ ص ٥٢١ .

(٩١) الفهرست ص ٧٩ . ونقل الجملة بعينها القفطى فى انباه الرواه ج ٢ ص ٣٠٦ .

(٩٢) رجال النجاشى ص ٦٤ ترجمة « ابن عبدون » .

(٩٣) فسر محمد باقر بن محمد اكمـــل البهبهانى [العلوّ] فى تعليقاته ص ٢٣٨ : « ان المراد به علو الشأن » وراجع منتهى المقـــال ص ٢٢٣ .

وقال السيد محمد باقر الداماد : « اى ؛ كان فى غاية الفضل ، والعلم ، والثقة ، والجلالة ، فى وقته واوانه » راجع منتهى المقال ص ٢٢٣ وتأسيس الشيعة ص ٣٤٥ . واسترجح السيد بحر العلوم فى ترجمة =

وقال الخطيب البغدادى : « كان ثقة »[٩٤] .

وقال ياقوت الحمـوى : « كان من أجل أصـحاب ثعلب .. وكان ثقة صادقا فى الرواية ، وحسن الدراية »[٩٥] .

وقال الذهبى : « الامام الثقة المتقن .. وكان اديبا عالما .. وكان من جلة تلامذة ثعلب . وثقه ابو بكر الخطيب[٩٦] »[٩٧] .

وقال السيوطى : « ثقة ، صادقا فى الرواية ، حسن الدراية »[٩٨] .

= « ابن عبدون » فى شرح الرجال المخطوط ص ٩٢ ـ أن : « المرجع فى الفعل الاخير [كان] .. هو ابن عبدون » قال : « ويحتمل رجوعه الى ابن الزبير [ابن الـكوفى = المترجم] . وقال فى ترجمة ابن الـكوفى ، هذا : « ويحتمل عود الضمير الى ابن الزبير ، كما مر هناك . واستظهره سبط الشهيد ، فى شرح الاستبصار ، وشيخنا [أى محمد باقر بن محمد اكمل] فى التعليقة . وحكم العلامة [الحلى] ، والمحقق الـكركى ، والشهيد الثانى ، وغيرهم على خبر عبيد بن زرارة فى تحديد الرضاع بالعدد ـ بانه موثق . وقد أورده الشيخ ... وهذا يقتضى الحسن أو التوثيق .

وكذلك فسرها الشيخ ميرزا حسين النورى ، فى الفائدة العاشرة ، من خاتمة المجلد الثالث ، من مستدرك الوسائل ص ٨٢٨ ، فقال : « قلت : بل فى قوله (كان قد لقى ابا الحسن الخ) اشارة الى ذلك ـ أيضا ـ فانه بحسب العادة ، لا يقال ذلك الا فى حق الجليل ... وهو أحد المشايخ الذين اكثروا من الاعتماد عليهم فى طرقهم الى ارباب المؤلفات . ومن جميع ذلك ؛ ظهر ان حكم البهائى و [الـ] سيد [صاحب] المدارك ، بصحة السند من جهته ، فى محله » .

وقال السيد حسن الصدر فى تأسيس الشيعة ص ٣٤٥ : « قلت : ولعله يريد أنه كان عالى الاسناد ، لقى الشيوخ الـكبار ، وروى عنهم ؛ فصار اسناده عال (كذا) لا مثله (كذا) فى وقته فى علو الاسانيد .. »

وراجع موضوع التوثيق فى مستدرك الوسائل ج ٣ ص ٧٥٤ « اواخر الفائدة السادسة » .

(٩٤) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٨١ . وكذلك قال ابن الجوزى فى المنتظم ج ٦ ص ٣٩١ .

(٩٥) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٥٣ .

(٩٦) راجع تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٨١ ـ كما تقدم .

(٩٧) سير النبلاء ج ١٠ ورقة ١٤٠ أ .

(٩٨) بغية الوعاة ص ٣٥٠ .

وعد السيد محمد الموسوى العاملى ، والشيخ البهاء الحارثى العاملى روايته فى الصحاح[٩٩] .

وقال السيد محمد باقر ، الميرالداماد : « المعروف عند الاصحاب ؛ شيخ الشيوخ ، وراوية الاصول »[١٠٠] .

وقال محمد باقر بن محمد تقى المجلسى : « من مشايخ الاجازة »[١٠١] .

وذكره الشيخ محمد طه نجف فى الحسان[١٠٢] .

وكذلك الشيخ ابراهيم بن الحسين الدنبلى الخوئى[١٠٣] .

ووثقه من المتأخرين الشيخ عبدالله المامقانى[١٠٤] .

والسيد حسن الصدر[١٠٥] .

خطه وضبطه :

قال ابن النديم : « صحيح الخط .. »[١٠٦]

وقال ياقوت الحموى : « هو صاحب الخط المعروف بالصحة ، المشهور باتقان الضبط ، وحسن الشكل .. فانه يجعل الاعراب على الحرف بمقدار الحرف احتياطا . ويكتب على الكلمة المشكوك فيها عدة مرار صح صح صح »[١٠٧] . ونقل من كتاب الكوفة ؛ ان « خطه اليوم يقتدى به »[١٠٨] .

---

(٩٩) منتهى المقال ص ٢٢٣ ، وتنقيح المقال ج ٣ ص ٣٠٤ . ومستدرك الوسائل ج ٣ ص ٨٢٨ .

(١٠٠) منتهى المقال ص ٢٢٣ ، وتنقيح المقال ج ٣ ص ٣٠٤ ، وراجع مستدرك الوسائل ج ٣ ص ٨٢٨ ، وتأسيس الشيعة ص ٣٤٥ .

(١٠١) الوجيزة ص ١٥٩ .

(١٠٢) اتقان المقال ص ٢٠٩ .

(١٠٣) تلخيص المقال/القسم الثالث « فى الحسان » باب العين .

(١٠٤) تنقيح المقال ج ٣ ص ٣٠٤ .

(١٠٥) تأسيس الشيعة ص ٣٤٥ .

(١٠٦) الفهرست ص ٧٩ .

(١٠٧) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٥٣ ـ ٤ .

(١٠٨) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٥٤ .

وقال القفطى : « فأما كتبه ؛ ففى غاية الجودة والاتقان • والموجود منها فى زماننا هذا ـ اذا تؤمل ـ يدل على تيقظ ، وبحث ، ورغبة »[١٠٩] •

وقال الذهبى : « مليح الكتابة ، بديع الوراقة »[١١٠] •

وقال السيوطى : « له الخط المشهور بالصحة والضبط »[١١١] •

ومما يدل على دقة تحقيقه ؛ حساب عمر ثعلب بالسنين والشهور والايام • قال : « وكان عمره احدى وثمانين سنة ، وأربعة أشهر ، وثلاثة ايام »[١١٢] •

وكان اذا ترجم الناس ، وصف خَلْقهم ، وذكر مولدهم وبلادهم ومدة عمرهم ، وعين منازلهم ومقابرهم •

قال فى صفة احمد بن الحارث الخزاز ـ مثلا : « بغدادى ، كبير الرأس ، طويل اللحية ، كبيرها ، حسن الوجه ، كبير الفم ، الثغ • خضب قبل موته بسنة خضابا قانيا •• وكان منزله بباب الكوفة ، ودفن فى مقابرها[١١٣] » •

تآليفه :

خلف ابن الكوفى جزازات كثيرة ، استمد منها العلماء من بعده • وقد ألهته الرواية ، والتدريس ، والتصحيح عن التأليف • فقد بقى معنيا بالاقراء ، والتحديث ، والتلقين ـ وان بلغ من الكبر عتيا ـ وظلت سيرته هذه مستمرة ، حتى السنة التى مات فيها ؛ وهو فى الرابعة والتسعين من عمره[١١٤] •

قال القفطى : « وشغله طلبه الفوائد عن التصنيف ؛ فلم يُرَ له

---

(١٠٩) انباه الرواه ج ٢ ص ٣٠٦ •
(١١٠) سير النبلاء ج ١٠ ورقة ١٤٠ أ •
(١١١) بغية الوعاة ص ٣٥٠ •
(١١٢) انباه الرواه ج ٣ ص ١٣١ ترجمة « ثعلب » •
(١١٣) الفهرست ص ١٠٤ ـ نقلا من خط ابن الكوفى •
(١١٤) رجال النجاشى ص ٩ •

الا تصنيف واحد فى معانى الشعر ، واختلاف العلماء فى ذلك[١١٥] »[١١٦][١١٧] • وقد ذكره ـ أيضا ـ ابن النديم ؛ قال : « رأيت منه شيئا يسيرا »[١١٨] •

وزاد عليه : كتاب القلائد والفرائد فى اللغة والشعر[١١٩] •

وزاد عليهما ياقوت : كتاب الهمز[١٢٠] • وقال : « رأيته أنا بخطه »[١٢١] •

جزازاته :

كان ابن الكوفى يقيد الفوائد التى يعثر عليها بالجزازات "FICHES" وفق أحدث الطرائق العلمية • وقد اعتز العلماء بجزازاته ، وكانوا يغالون بها ، ويفخرون بالنقل منها ؛ فاذا قال أحدهم : « نقلت من خط ابن الكوفى ؛ فقد بالغ فى الاحتياط »[١٢٢] •

وقال ياقوت : « بيع جزازات كتبه ، ورقال سؤالاته العلماء ؛ كل رقعة بدرهم »[١٢٣][١٢٤] •

---

(١١٥) فى ذلك : لا توجد فى الفهرست • وفى معجم الادباء : فيه •

(١١٦) انباه الرواه ج ٢ ص ٣٠٦ •

(١١٧) وتوهم ناشر كتاب الانباه فى تعليقاته على ترجمة [ابن الكوفى] هامش ص ٣٠٥ ج ٢ ـ فظن ان حاجى خليفه ذكر كتاب « معانى الشعر » فى كشف الظنون ص ١٧٢٩ والصواب ان الكتاب المذكور فى الكشف ؛ من مصنفات على بن محمد بن عبدوس الكوفى النحوى • وقد صرح بنسبته اليه ، ولم يذكر ابن الزبير ألبتة •

(١١٨) الفهرست ص ٧٩ • وراجع معجم الادباء ج ١٤ ص ١٥٣ •

(١١٩) الفهرست ص ٧٩ • ولا توجد كلمة [الشعر] فى معجم الادباء •

(١٢٠) وراجع ايضاح المكنون ج ٢ ص ٣٥١ •

(١٢١) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٥٣ ، والوافى بالوفيات ج ٢٢ ورقة ٢٩ أ ، وبغية الوعاة ص ٣٥٠ ، وهدية العارفين ج ١ ص ٦٨٠ •

(١٢٢) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٥٣ •

(١٢٣) الدرهم ـ حينئذ ـ يساوى ٢١٥ فلسا بحسب نقودنا ، وفق تسعير اليوم •

(١٢٤) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٥٤ •

الاعتماد عليه :

كان ابن الكوفى ـ كما مر ـ حجة ضابطا ؛ من أجل ذلك اتكل العلماء على مجموعاته ، واعتمدوا على جزازاته ؛ فنقلوا منها ، واعتمدوا عليها • ويكاد يكون ابن النديم عيالا عليه • فقد أخذ بعض مباحث الفهرست من أوراقه ، و نقل من خطه فصولا طوالا فى تسعة وعشرين موضعا من كتابه ؛ منها :

أخبار السكيت وابنه[١٢٥] •
وأخبار ثعلب[١٢٦] •
وأخبار السكرى[١٢٧] •
وأخبار محمد بن السايب الكلبى[١٢٨] •
وكتب هشام الكلبى[١٢٩] •
وكتب المدائنى[١٣٠] •
وأخبار أحمد بن الحارث الخزاز[١٣١] •
وتراجم نيف وعشرين رجلا من الاخباريين والنسابين[١٣٢] •
وتسمية من روى عنه الزبير بن بكار[١٣٣] •
وتأليف الزبير بن بكار[١٣٤] •
وترجمة الازرقى[١٣٥] •

---

(١٢٥) الفهرست ص ٧٢ ·
(١٢٦) الفهرست ص ٧٤ ·
(١٢٧) الفهرست ص ٧٨ ·
(١٢٨) الفهرست ص ٩٥ ·
(١٢٩) الفهرست ص ٩٦ ·
(١٣٠) الفهرست ص ١٠١ ·
(١٣١) الفهرست ص ١٠٤ ·
(١٣٢) الفهرست ص ١٠٨
(١٣٣) الفهرست ص ١١١ ·
(١٣٤) الفهرست ص ١١١ ·
(١٣٥) الفهرست ص ١١٢ ·

والذين عمل أبو سعيد السكرى أشعارهم[١٣٦] .

عَدِّ عن بقية الفوائد ، والفقر المقتضبة[١٣٧] .

ونقـــل من كتبه ـ أيضا ـ القفطى فى انبـــاه الرواه ترجمة ابن كناسة[١٣٨] ، وبعض فقر ترجمة ثعلب[١٣٩] .

خزانتـــه :

كان ابن الـكوفى يحب الـكتب حبـــا جما ؛ فاختار منزله بطـــاق الحرانى[١٤٠] ؛ قريبا من سوق الوراقين ، وكان فيها اكثر من مائة حانوت للوراقين[١٤١] ؛ فأنفق ماله فى جمع الـكتب ، واكتتاب الاسفار .

قال ابن النديم : « جماعة الـكتب »[١٤٢] .

وقال ياقوت : « كان من جماعى الـكتب ، وارباب الهوى فيها »[١٤٣] .

وقال القفطى : « جماعة للـكتب .. ولما مات أبوه خلف له ـ فيما يقـال ـ زائدا عن خمسين ألف دينـار ، فصرفها كلهـا فى طلب العلم ، وتحصيل الـكتب ؛ اشتراء ، واستنساخا ، وكتابة »[١٤٤] .

وقال الذهبى : « .. بديع الوراقة ، نسخ الـكثير »[١٤٥] .

وكانت كتبه ـ كما قال القفطى : « فى غاية الجودة والاتقان »[١٤٦] .

وقد اطلع ابن النديم على ذخائر خزانته ، وأفاد منها . ومن طرائف كتبهـــا :

---

(١٣٦) الفهرست ص ١٥٨ .

(١٣٧) الفهرست ص ٥٨ و ٦٦ و ٦٨ و ٧٠ و ٨٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٤١ و ٣٥٨ .

(١٣٨) انباه الرواه ج ٣ ص ١٦١ .

(١٣٩) انباه الرواه ج ٣ ص ١٣١ .

(١٤٠) أيام اقامته ببغداد ـ كما قال الخطيب فى تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٨١ .

(١٤١) راجع دليل خارطة بغداد المفصل ص ٨٦ .

(١٤٢) الفهرست ص ٧٩ .

(١٤٣) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٥٤ .

(١٤٤) انباه الرواه ج ٢ ص ٣٠٥ .

(١٤٥) سير النبلاء ج ١٠ ورقة ١٤٠ أ .

(١٤٦) انباه الرواه ج ٢ ص ٣٠٦ .

(١) كتاب الارضين والمياه والجبال والبحار ـ تأليف أبي عثمان سعدان بن المبارك المكفوف الكوفى • قال : « رأيت منه قطعة بخط ابن الكوفى »[١٤٧] •

(٢) كتاب المغازى ـ تأليف المدائنى « فى ثمانية أجزاء جلود ، بخط عباس الناسى »[١٤٨] •

(٣) كتاب المغازى ـ تأليف أحمد بن الحارث الخزاز ؛ المتوفى سنة ٢٥٨هـ[١٤٩] •

(٤) كتاب الخيل ـ تأليف محمد بن حبيب[١٥٠] •

(٥) « جملة أجزاء بخط ابن الكوفى ، فيها تعليقات ؛ لغة ، ونحو ، وأخبار ، وأشعار ، وآثار »[١٥١] •

(٦) منازل مكة بخط ابن الكوفى ـ كما ذكره السديد الحمصى فى التعليق العراقى ؛ نقلا من كتاب غرر الادلة[١٥٢] لابى الحسين محمد بن على بن الطيب البصرى المعتزلى ، المتكلم ، نزيل بغداد ، المتوفى سنة ٤٣٦هـ[١٥٣] •

وقد اطلع ياقوت الحموى ، المتوفى سنة ٦٢٦هـ على عدة من كتبه[١٥٤] ؛ قال : « رأيت بخطه عدة كتب »[١٥٥] • وظلت موجودة حتى زمان القفطى ، المتوفى سنة ٦٤٦هـ فقد رأى طائفة منها ، وقال : « أما كتبه ففى غاية الجودة والاتقان • والموجود منها فى زماننا هذا ـ اذا تؤمل ـ دل على تيقظ وبحث ورغبة[١٥٦] » •

وكانت خزانته حافلة بالكتب فى مختلف الشعب والفنون • وقد

---

(١٤٧) الفهرست ص ٧١ •
(١٤٨) الفهرست ص ١٠١ •
(١٤٩) الفهرست ص ١٠١ •
(١٥٠) الفهرست ص ١٠٨ •
(١٥١) الفهرست ص ٣٥٨ •
(١٥٢) الذريعة ـ المخطوط « مجلد المنيم » •
(١٥٣) ترجمه فى الشذرات ج ٣ ص ٢٥٩ •
(١٥٤) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٥٤ •
(١٥٥) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٥٣ •
(١٥٦) انباه الرواه ج ٢ ص ٣٠٦ •

رتبها على العلوم ؛ فكان يدون على الكتاب اسمه وموضعه فى الرفوف .

قال القفطى : « وقد كانت لكثرتها يعين لكل نوع منها موضعا مخصوصا من خزانته ، ويكتبه على أول الكتاب ليجده اذا طلبه ، ويعيده الى موضعه المعلوم اذا غنى عنه »[١٥٧] . وكان يقيد اسمه على كتبه[١٥٨] ؛ اسرافا فى الضبط والتمييز .

ترجمتـــه :

ترجم ابن الكوفى جماعة" من كبار المؤرخين والمؤلفين فى سير الرواة وطبقات الرجال ، وتواريخ الاعلام . فقد ذكره :

ابن النديم ـ المتوفى سنة ٣٨٥هـ[١٥٩] .

والنجاشى ـ المتوفى سنة ٤٥٠هـ[١٦٠] .

والشيخ الطوسى ـ المتوفى سنة ٤٦٠هـ[١٦١] .

والخطيب البغدادى ـ المتوفى سنة ٤٦٣هـ[١٦٢] .

وابن الجوزى ـ المتوفى سنة ٥٩٧هـ[١٦٣] .

وياقوت ـ المتوفى سنة ٦٢٦هـ[١٦٤] .

والقفطى ـ المتوفى سنة ٦٤٦هـ[١٦٥] .

والذهبى ـ المتوفى سنة ٧٤٨هـ[١٦٦] .

والصفدى ـ المتوفى سنة ٧٦٤هـ[١٦٧] .

---

(١٥٧) انباه الرواه ج ٢ ص ٣٠٦ .

(١٥٨) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٥٤ .

(١٥٩) الفهرست ص ٧٩ .

(١٦٠) رجال النجاشى ص ٩ و ٦٤ .

(١٦١) الرجال للطوسى ورقة ١١٥ ب من نسختى الخطية .

(١٦٢) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٨١ .

(١٦٣) المنتظم ج ٦ ص ٣٩١ .

(١٦٤) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٥٣ ـ ٦ .

(١٦٥) انباه الرواه ج ٢ ص ٣٠٥ ـ ٦ وراجع ج ٣ ص ١٣١ و ١٦١ .

(١٦٦) سير النبلاء ج ١٠ ورقة ١٤٠ أ نسخة المجمع العلمى العربى بدمشق ، والعبر ج ١ ق ٢ ورقة ١٤٩ ب نسخة المجمع المذكور ـ أيضا .

(١٦٧) الوافي بالوفيـات ج ٢٢ ورقة ٢٩ أ نسخة المجمـع العلمى العربى بدمشق .

وابن شاكر ـ المتوفى سنة ٧٦٤هـ ؛ كذلك[١٦٨] .
والجلال السيوطى ـ المتوفى سنة ٩١١هـ[١٦٩] .
وميرزا محمد الاسترابادى ـ المتوفى سنة ١٠٢٨هـ[١٧٠] .
ومير مصطفى التفرشى ـ المتوفى سنة ١٠٤٤هـ[١٧١] .
وابن العماد ـ المتوفى سنة ١٠٨٩هـ[١٧٢] .
والحاج محمد الاردبيلى ـ المتوفى سنة ١١٠١هـ[١٧٣] .
والقهپائى[١٧٤] .
ومحمد باقر بن محمد تقى المجلسى ـ المتوفى سنة ١١١١هـ[١٧٥] .
وميرزا عبدالله الافندى ـ المتوفى سنة ١١٣٠هـ[١٧٦] .
والسيد بحر العلوم الطباطبائى ـ المتوفى سنة ١٢١٢هـ[١٧٧] .
وابو على الحائرى ـ المتوفى سنة ١٢١٥هـ[١٧٨] .
والسيد محسن الاعرجى ـ المتوفى سنة ١٢٢٧هـ[١٧٩] .
والشيخ محمد طه نجف ـ المتوفى سنة ١٣٢٣هـ[١٨٠] .

---

(١٦٨) عيون التواريخ ج ١٢ ورقة ١٠٤ ب نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق .
(١٦٩) بغية الوعاة ص ٣٥٠ .
(١٧٠) منهج المقال ص ٢٣٧ ، وتلخيص الاقوال فى تحقيق أحوال الرجال ورقة ١٨٦ أ من نسختى الخطية . ولاحظ تعليقات محمد باقر بن محمد اكمل البهبهانى المتوفى سنة ١٢٠٦هـ على كتاب منهج المقال هامش ص ٢٣٧ ـ ٢ .
(١٧١) نقد الرجال ص ٢٤٢ .
(١٧٢) شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٧٩ .
(١٧٣) جامع الرواة ج ١ ص ٥٩٨ .
(١٧٤) مجموع الرجال « باب العين » نسخة الشيخ اقا بزرگ الخطية .
(١٧٥) الوجيزة ص ١٨٩ .
(١٧٦) رياض العلماء « باب العين » ص ٤٧٩ من نسخة المدرسة المحسنية بالشام .
(١٧٧) شرح الرجال « باب العين » ، و ص ٩١ من نسخة المدرسة المحسنية بالشام .
(١٧٨) منتهى المقال ص ٢٢٢ ـ ٣ ، و ص ٣٦ .
(١٧٩) العدّة ج ٢ ص ٣٤٣ من نسخة المدرسة المحسنية بالشام .
(١٨٠) اتقان المقال ص ٢٠٩ .

والشيخ ابراهيم الخوئى ـ المتوفى سنة ١٣٢٥هـ[١٨١] .
واسماعيل باشا البغدادى ـ المتوفى سنة ١٣٣٩هـ[١٨٢] ،
والشيخ عبدالله المامقانى ـ المتوفى سنة ١٣٥١هـ[١٨٣] .
والسيد حسن الصدر ـ المتوفى سنة ١٣٥٤هـ[١٨٤] .
والشيخ عباس القمى ـ المتوفى سنة ١٣٥٩هـ[١٨٥] .
وميرزا محمدعلى « مدرس التبريزى » ـ المتوفى سنة ١٣٧٣هـ[١٨٦] ،
والشيخ اقابزرك الطهرانى ـ نزيل النجف[١٨٧] .

وتعد ترجمة ابن النديم ، والخطيب البغدادى ، وياقوت ، والقفطى ـ أساس معرفتنا بأحواله من الناحية التاريخية .

ولعل ترجمة النجاشى ، والطوسى أصل كل ما عندنا من وجهة الرواية والتوثيق .

أما الذهبى فقد اعتمد فى سير النبلاء على ترجمة الخطيب البغدادى ، ولم ينس الاستفادة من ياقوت . وقد ذكره مجملا فى العبر .

ولم يزد ابن شاكر ـ فى عيون التواريخ ـ على ما فى العبر . ونقله ابن العماد الحنبلى فى تاريخه « شذرات الذهب » .

أما الصفدى فقد استند فى ترجمته الى معجم الادباء لياقوت .

وكذلك فعل الجلال السيوطى فى البغية ، واسماعيل باشا فى هدية العارفين .

وأما بقية مؤلفي الرجال ؛ فهم جميعا عيال على مقالة النجاشى والطوسى .

---

(١٨١) تلخيص المقال ـ القسم الثالث فى الحسان ـ « باب العين »
(١٨٢) هدية العارفين ج ١ ص ٦٨٠ .
(١٨٣) تنقيح المقال ج ٣ ص ٣٠٤ .
(١٨٤) تأسيس الشيعة ص ٨٢ ـ ٣ و ٣٤٥ ـ ٦ .
(١٨٥) الكنى والالقاب ج ١ ص ٢٨٤ ـ ٥ .
(١٨٦) ريحانة الادب ج ٥ ص ٣٥٧ .
(١٨٧) مصفى المقال ص ٢٩٦ ، وازالة الحلك الدامس ـ مخطوط ـ ص ١٤ « ترجمة ابن عبدون » والذريعة [مجلد الميم] ـ منازل مكة ـ ، ونوابغ الرواة « باب العين » .

ملحـــق :

ولابى الهَيْذام كلاب بن حمزة العُقيلى ، اللغوى[١٨٨] ـ الى ابن الـكوفى :

أبا حسن أراك تمدّ حبلى ... لتقطعـــه وأرســـله بجهـــدى
وأتبعـه اذا قصـر احتيـاطا ... وأنت تشد حبلك أى شـــد
أخى فكم يكون بقـــاء حبل ... يتلتـــل بين ارســـال ومـــد
تعـــالى الله ما أجفى زمانا ... بقيت له وأنكد فيـــه جـــدى
أظن الدهر يقصدنى لامـــر ... يحـــاوله ويطلبنى بحقـــد
اذا ذهبت بشكلى عن ودادى ... مذاهبـه فكيف ألوم ضـــدى
سأصبر طائعـــا وأغض طرفى ... وأحفظ عهد مطّرح لعهـــدى
وأقصد أن احصل لى صديقا ... أعز به على خطئى وعمـــدى
فان أظفر بذاك فأى كنـــز ... ونيل غنيمـــة وثقـــوب زند
والا كان حسن الصبر أحرى ... بحسن مثوبة وبنـــاء مجـــد
ألا لله ما أصـــبحت فيـــه ... من الخُلطاء من تعب وكـــد
لقاء بالجميل وحسن بشـــر ... وانصاف يُشاب بخلف وعـــد
وعلـــم لا يقـــاس اليه علـــم ... بكل طريقـــة وبكل حـــدّ
واغفـــال لمـــا أولى وأحجى ... تفقـــده بذى أدب وحشـــد
فيـــا لله يا للنـــاس يا للـ ... ـعجائب بين تقـــربة وبعـــد
من الاخلاق اذ مزجت فصارت ... علاقمهـــا مُجَدّحة بشـــهد
أرانى بين منـــزلتين مـــالى ... سوى احداهما ثقـــة لقصـــد
فان أرد الانيس أعش ذليـــلا ... وان ارد التعزّز أبق وحدى[١٨٩]

---

(١٨٨) من اهل حران اقام بالبادية . وكان عالما بالشعر وخطه معروف . له : جامع النحو ، وكتاب الاراكة ، وكتاب ما يلحن فيه العامة . تراجع ترجمته فى معجم الادباء ج ١٧ ص ٢٠ ـ ٥ ، والوافى بالوفيات ج ٢٤ ورقة ١٦٦ أ .

(١٨٩) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٥٥ ـ ٦ .

المراجع

١ ـ المطبوعة :

اتقان المقال ـ الشيخ محمد طه نجف (النجف ١٣٤٠)
الاستبصار ـ الشيخ الطوسى (لـكهنو ١٣٠٧)
الاعلام ـ الزركلى (مصر ١٩٢٧)
اعيان الشيعة ـ السيد محسن الامين العاملى (الشام ١٣٥٣)
انباه الرواه ـ القفطى (مصر ١٩٥٢ و ١٩٥٥)
ايضاح المـكنون ـ اسماعيل باشا البغدادى (تركية ١٩٤٥ و ١٩٤٧)
بغية الوعاة ـ السيوطى (مصر ١٣٢٦)
تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادى (مصر ١٣٤٩)
تاسيس الشيعة ـ السيد حسن الصدر (بغداد ١٣٧٠)
تعليقات الوحيد البهبهانى ـ محمد باقر بن محمد اكمل البهبهانى (ايران ١٣٠٧)
تلخيص المقال ـ ابراهيم الدنبلى الخوئى (ايران ١٢٧٧)
تنقيح المقال ـ المامقانى (النجف ١٣٥٢)
التوفيقات الالهامية ـ محمد مختار باشا (مصر ١٣١١)
جامع الرواة ـ الاردبيلى (ايران ١٣٣٤ ش)
الخرائج والجرائح ـ القطب الراوندى (بمبى ١٣٠١)
خلاصة الاقوال ـ العلامة الحلى (ايران ١٣١٠)
دليل خارطة بغداد المفصل ـ الدكتور مصطفى جواد (بغداد ١٩٥٨)
الذريعة ـ الشيخ أقابزرگ ٠
الرجال ـ النجاشى (بمبى ١٣١٧)
ريحانة الادب ـ مدرس التبريزى (ايران ١٣٧٣)
سيرة الـكلينى ـ الدكتور حسين على محفوظ (طهران ١٩٥٥)
شذرات الذهب ـ ابن العماد (مصر ١٣٥٠)
طبقات النحويين واللغويين ـ الزبيدى (مصر ١٩٥٤)
الفهرست ـ ابن النديم (ليبزيك ١٨٧١)
الفهرست ـ الطوسى (النجف ١٣٥٦)
كشف الظنون ـ حاجى خليفة (تركيه ١٣٦٠ ـ ٢)
الـكنى والالقاب ـ الشيخ عباس القمى (صيدا ١٣٥٨)
مستدرك الوسائل ـ ميرزا حسين النورى (طهران ١٣٢١)
مصفى المقال ـ الشيخ اقابزرك (طهران ١٣٧٨)
معجم الادباء ـ ياقوت الحموى (مصر ـ طبعة دار المأمون)
المنتظم ـ ابن الجوزى (حيدر آباد ١٣٥٧)
منتهى المقال ـ أبو على (طهران ١٣٠٢)
منهج المقال ـ ميرزا محمد (طهران ١٣٠٧)

نقد الرجال ـ مصطفى التفرشى (طهران ١٣١٨)
هدية العارفين ـ اسماعيل باشا البغدادى (تركية ١٩٥١ ـ ٥)
الوجيزة ـ البهاء العاملى (طهران ١٣١١)
الوجيزة ـ المجلسى (طهران ١٣١٢)

٢ ـ الخطيّة :

ازالة الحلك الدامس ـ اقابزرك (نسخة خزانة اقابزرك بالنجف)
تلخيص الاقوال ـ ميرزا محمد الاسترابادى ـ (نسخة خزانة الدكتور حسين على محفوظ)
تهذيب الاحكام ـ الشيخ الطوسى (نسخة خزانة الدكتور حسين على محفوظ)
الذريعة/مجلد الميم ـ اقابزرك (نسخة خزانة اقابزرك بالنجف)
الرجال ـ الشيخ الطوسى (نسخة خزانة الدكتور حسين على محفوظ)
رياض العلماء ـ ميرزا عبدالله الافندى (نسخة خزانة المدرسة المحسنية بالشام)
سير النبلاء ـ الذهبى (نسخة المجمع العلمى العربى بدمشق « مصورة »)
شرح الرجال ـ السيد بحر العلوم (نسخة المدرسة المحسنية بالشام ق ٧ ع ١٣٩)
العبر ـ الذهبى (نسخة المجمع العلمى العربى « مصورة »)
العدّة ـ السيد محسن الاعرجى (نسخة المدرسة المحسنية بالشام ق ٧ ع ١٤٠)
عيـــون التواريخ ـ ابن شاكر الـكتبى (نسخة المـكتبة الظاهرية/ع تاريخ ٤٨)
مجمع الرجال ـ القهپائى (نسخة خزانة اقابزرك بالنجف)
نوابغ الرواة ـ اقابزرك (نسخة خزانة اقابزرك بالنجف)
الوافى بالوفيات ـ الصفدى (نسخة المجمـــع العلمى العـــربى بدمشق « مصورة »)

من كارل ماركس الى فردريك انجلس (١)

تعريب الدكتور عبدالرحمن الحبيب

لندن ٢ آب ١٨٦٢

عزيزى فردريك :

شكرا جزيلا من اجل العشرة جنيهات •

انى اشعر غير مرتاح لان اضايقك فى شؤونك المالية من اجلى ولكن ماذا اتمكن ان افعل ؟ من يقدر ان يتحمل ازمة كالازمة القائمة الآن فى اميركا ؟ انه لمن حظى النحس ان اشتغل مع الصحيفة التعسة ، وكالة فينا (Vienna Presse) وبامكان اولئك الاشخاص ان يستخدمونى الى حد ما مع التربيون • هل تعتقد انه قد حان الوقت لاتقدم بطلب الى صحيفة المساء (Evening Post) ، صحيفة تحرير العبيد فى نيويورك لاشتغل كمراسل ؟

انه لمدهش انى لا أزال قادرا على الاستمرار بعملى النظرى كما فعلت فيما مضى • والآن أروم ان اجلب نظرية الريع التى تكون فصلا فى هذا الجزء ، اعنى وضع توضيح لمبدأ وضع سابقا • وسوف اخبرك بكلمات قليلة العدد قصة طويلة ومعقدة ، لتتفضل علىّ برأيك •

انت تعرف اننى اقسم رأس المال الى قسمين مختلفين :

(١) رأس المال الدائم (المواد الاولية والمواد المساعدة والمكائن ، ••• الخ) والذى تظهر قيمته ثانية فى قيمة الناتج ، و (٢) رأس المال المتغير ، اعنى ، رأس المال المخصص للاجور وهو يحتوى عملا مجسدا اقل مما يقدمه العامل للحصول عليه[٢] •

ولنضرب مثلا انه اذا كان الاجر اليومى يعادل ١٠ ساعات وان العامل يشتغل ١٢ ساعة فهو يعوض للمستخدم رأس المال المتغير ويحقق له فضلة قدرها خمس (⅕) رأس المال المتغير وهى ساعتان • وهذه الفضلة أسميها فائض القيمة •

---

(١)

Karl Marx and Frederick Engels, Selected Correspondence (Moscow: Foreign Languages Publishing House, 1953), pp. 157—162.

(٢) للحصول على الاجور •

افرض ان نسبة فائض القيمة (أى طول يوم العمل وفضلة العمل على العمل الضرورى المنجز من قبل العامل لتعويض اجره[٣]) هى معطاة وانها تساوى ٥٠ بالمئة • ففى هذه الحالة ، مع شغل ١٢ ساعة يشتغل العامل ٨ ساعات لنفسه و ٤ ساعات (٨ ÷ ٢) للمستخدم • وافرض ان هذا الترتيب موجود فى كل الصناعات فاي اختلاف فى معدل مدة العمل انما هو تعويض لقلة أو لكثرة صعوبة العمل •

فى هذه الاحوال ، مع استغلال متساو للعامل فى الصناعات المختلفة فان تباين استخدام رأس المال يقدم كميات مختلفة من فائض القيمة فى مجالات الانتاج المختلفة وينتج عن ذلك نسب غير متساوية من الارباح لان الربح ليس الا نسبة فائض القيمة الى مجموع رأس المال المستخدم • ويعتمد الربح على التركيب العضوى لرأس المال ، أى على كيفية تقسيمه الى رأس مال دائم ورأس متغير •

فافرض ، كما جاء فى أعلاه ، ان فائض العمل هو ٥٠ بالمئة • فعندئذ اذا كانت مثلا اجرة اليوم تبلغ جنيها واحدا وان يوم العمل هو ١٢ ساعة وان العمل الضرورى (لتعويض الاجرة) هو ثمانى ساعات ، تكون اجرة ثلاثين عاملا (اجرة ثلاثين يوما) عشرين جنيها وقيمة عملهم ثلاثين جنيها[٤] • اما رأس المال المتغير لعامل واحد (اليومى أو الاسبوعى) يصبح ٢/٣ الجنيه وقيمة ما ينتجه هو جنيه واحد • ويختلف فائض القيمة المنتج فى الصناعات المختلفة لرأس مال قدره ١٠٠ جنيه معتمدا على نسبة توزيع رأس المال الدائم ورأس المال المتغير اللذين يقسم اليهما رأس المال العام • سمِّ رأس المال الدائم c ورأس المال المتغير v • فاذا كان التركيب العضوى فى صناعة القطن مثلا هو : c = ٨٠ و v = ٢٠ ، تكون عندئذ قيمة الناتج ١١٠ (فارضين خمسين بالمئة فائض قيمة أو فائض عمل) وكمية فائض القيمة هى ١٠ بالمئة ونسبة الارباح ١٠ بالمئة لان الربح يساوى نسبة الـ ١٠ (فائض القيمة) الى الـ ١٠٠ (مجموع قيمة رأس المال المستخدم) •

---

(٣) ان مفهوم هذا التفسير غير واضح •

(٤) ٣٠ × ١ × ٨/٣ = ٢٠ •

واذا كان التركيب العضوى لرأس المال فى صنعة الخياطة بالجملة هو : c = ٥٠ و v = ٥٠ ، فيكون الناتج ١٢٥ وفائض القيمة (على أساس نسبة ٥٠ بالمئة كما فى اعلاه) ٢٥ ونسبة الارباح ٢٥ بالمئة • خذ صناعة أخرى نسبة تكوينها ٧٠ الى ٣٠ فالناتج يكون ١١٥ ونسبة الربح ١٥ بالمئة • واعتبر صناعة اخرى حيث ان التكوين هو ٩٠ الى ١٠ فالناتج يكون ١٠٥ ونسبة الارباح ٥ بالمئة •

ونجد ان ، مع استغلال متساو للعمل ، كميات مختلفة لفائض القيمة لكميات متساوية من رأس المال المستثمر فى الصناعات المختلفة ونتيجة لذلك تكون عندنا نسب مختلفة من الارباح •

واذا أخذنا رؤوس الاموال الاربعة التى ورد ذكرها فى أعلاه نحصل على :

التكوين العضوى	قيمة الناتج	نسبة الارباح
١ – c = ٨٠ ، v = ٢٠	١١٠	١٠ بالمئة
٢ – c = ٥٠ ، v = ٥٠	١٢٥	٢٥ بالمئة (فارضين ان نسبة
٣ – c = ٧٠ ، v = ٣٠	١١٥	١٥ بالمئة فائض القيمة فى كل
٤ – c = ٩٠ ، v = ١٠	١٠٥	٥ بالمئة الحالات هو ٥٠ بالمئة)
المجموع	٤٥٥	٥٥ = الربح

رأس المال المستخدم = ٤٠٠

ويكون معدل الارباح فى هذه الصناعات الاربعة اذا استثمرنا ١٠٠ وحدة من رأس المال ١٣٣/٤ بالمئة •

واذا اعتبرنا ان مجموع رأس المال هو ٤٠٠ فان نسبة الربح تساوى ١٣٣/٤ بالمئة • والرأسماليون هم اخوان[٥] • والمنافسة (تحويل رأس المال أو سحب رأس المال من صناعة الى اخرى) ستؤدى الى حصول المجاميع المتساوية من رأس المال فى الصناعات المختلفة على نفس متوسط نسبة الربح مع اختلاف تركيبها العضوى • وبكلمات اخرى : ان متوسط الربح الذى

(٥) يصعب فهم فحوى هذه العبارة •

يدره رأس مال ١٠٠ جنيه مثلا فى صناعة معينة لا يكون كالذى يقدمه رأس المال المستخدم فى هذه الطريقة الخاصة ، ولا بنفس النسبة ، التى هى نفسها تنتج فائض قيمة ، ولـكن كجزء من مجموع رأس مال الطبقة الرأسمالية • انه سهم يدفع له ربح ، بالنسبة لحجمه ، من مجموع فائض القيمة الـكلى (العمل غير المعوض) والذى ينتجه مجموع رأس المال المتغير (المخصص لدفع الاجور) •

والآن ليحصل ١ و٢ و٣ و٤ فى الجدول السالف الذكر على متوسط الربح نفسه يجب ان يبيع كل منهم سلعه بـ ١١٣٣/٤ جنيه • ويجب ان يبيع ١ و ٤ السلع بأكثر من قيمتها و ٢ و ٣ بأقل من قيمتها •

والثمن الذى ينظم بهذه الطريقة يساوى تكاليف رأس المال + متوسط الربح قل ١٠ بالمئة وهو ما أسـماه آدم سمث بالثمن الطبيعى أو ثمـن التكاليف • وان المنافسة بين الصناعات المختلفة تجلب الاثمان فى الصناعات المختلفة الى هذا المتوسط من الاثمان (بنقل رأس المال أو بسحبه) • لذلك فان المنافسة لا تجلب السلع الى قيمها ، ولـكن الى أثمان تكاليفها والتى هى أكثر أو أقل أو مساوية لقيمتها ، معتمدا على التركيب العضوى لرأس المال فى كل صناعة •

ويخلط ريكاردو القيم مع أثمان التكاليف • ويعتقد انه اذا وجد الريع المطلق (اعنى الريع المستقل من التباين فى الانتاجية للاراضى المختلفة) فان الحاصل الزراعى سيباع دائما بثمن أعلى من قيمته لانه يباع بثمن أعلى من ثمن تكاليفه (رأس المال المسلف + متوسط الربح) • وهذا سيعطل القانون الاساسى • ولهذا انه ينكر وجود الريع المطلق ويعترف بالريع التفاضلى • وتعريفه لقيم السلع بالثمن التكليفى للسلع خاطىء وقد قبله تقليديا من آدم سمث •

والحقيقة هى :

افترض ان متوسط تركيب كل رؤوس الاموال غير الزراعية هو : c = ٨٠ و V = ٢٠ ولذلك فان الناتج (بنسبة ٥٠ بالمئة من فائض القيمة) يساوى ١١٠ وان نسبة الربح تساوى ١٠ بالمئة •

اقترض أيضا ان متوسط تركيب رأس المال فى الزراعة هو c = ٦٠ و v = ٤٠ • (وهذا الرقم هو صحيح من الوجهة الاحصائية فى انكلترة ؛ ولا يأتى ريع المرعى وغيرها باى فرق بالنسبة لهذا الموضوع لانه يحدد بواسطة ريع الحبوب وليس بواسطته •) عندئذ يكون الحاصل ، مع نفس الدرجة من استغلال العمل كما فى اعلاه ١٢٠ ونسبة الربح ٢٠ بالمئة • ولذلك اذا باع الفلاح حاصله بقيمته ، فيبيعه بـ ١٢٠ وليس بـ ١١٠ التى هى ثمن التكاليف[٦] • ولكن ملاكى الارض يمنعون الفلاح من معادلة قيمة الناتج وثمن التكاليف ، كما يفعل اخوانه الرأسماليون • ولا تتمكن المنافسة بين رؤوس الاموال ان تنفذ ذلك • فيتدخل مالك الارض ويختطف الفرق بين القيمة وثمن التكاليف • ونجد بصورة عامة ان نسبة واطئة من رأس المال الدائم الى رأس المال المتغير هو تعبير عن تطور واطىء (أو واطىء نسبيا) للقوة العمالية المنتجة فى مجال معين من الانتاج • فاذا كان متوسط تركيب رأس مال الزراعة هو : c = ٦٠ و v = ٤٠ بينما تركيب رأس المال غير الزراعى هو : c = ٨٠ و v = ٢٠ فان هذا خير دليل على ان الزراعة لم تصل حتى الآن نفس المستوى من التطور الذى وصلته الصناعة • (وتعليل هذه الظاهرة سهل جدا لان ، بعيدا عن كل شىء آخر ، علم الميكانيك هو علم قديم بالنسبة للصناعة ، بينما نجد بالنسبة للزراعة ان العلوم : الكيمياء والجيولوجيا والفلسجة ، هى من احدث العلوم •) فاذا أصبحت النسبة فى الزراعة c = ٨٠ و v = ٢٠ (مع الفرضيات نفسها فى اعلاه) فالريع المطلق يغيب عن الانظار • ويبقى فقط الريع التفاضلى الذى اطوره انا بطريقة تجعل فرضية ريكاردو بان الزراعة ستتدهور باستمرار مضحكة وحتميـــة •

يجب ان يلاحظ فيما جاء أعلاه فى تقرير ثمن التكاليف مميزا عن القيمة انه بالاضافة الى التمييز بين رأس المال الدائم ورأس المال المتغير الذى

---

(٦) ان استنتاج كارل ماركس لهذا الرقم ثمنا للتكاليف غير واضح • وربما قصد ان يذكر ١٠٠ بدلا من ١١٠ •

ينتج عن عملية الانتاج المباشرة التى يستخدم فيها رأس المال يوجد أيضا تمييز بين رأس المال الثابت ورأس المال الدوار الذى يظهر من عملية تداول رأس المال • وتصبح الدالة معقدة اذا انا أدخلت هذا فيما جاء فى أعلاه •

وهكذا ، يوجد عندك ، بصورة تقريبية ، لشىء معقد ، انتقاد لنظرية ريكاردو • والى هذا الحد يجب عليك ان تعترف ان الانتباه الى تركيب رأس المال العضوى يقضى على كثير من المتناقضات والمشكلات •

ولاسباب معينة سأوافيك بها فى رسالتى التالية أود ان ترسل لى نقدا عسكريا مفصلا (سوف انظر الى النهاية السياسية) لثرثرة لسال رستو عن التحرير •

المخلص

ك • م

تحياتى للسيدات[٧] •

اخبرنى امندات عن مجيئه • وسيغادر اتزغ (فردناند لسال) يوم الاثنين •

سترى انه بالنسبة الى فكرتى عن الريع المطلق أن أصحاب الاراضى (تحت ظروف تاريخية معينة) يرفعون حقا اثمان المواد الاولية • ويمكن ان يستغل هذا من قبل النظرة الشيوعية •

اذا افترضنا صحة ما جاء فى اعلاه فليس اسياسيا ان يدفع الريع مطلقا فى أية حال أو لكل نوع من الارض (حتى ولو كان تركيب رأس مال الزراعة كما جاء فى اعلاه) • انه لا يدفع عندما لا توجد طبقة الملاكين شرعيا • فالزراعة فى هذه الحالة لا تقدم أية مقاومة لاستخدام رأس المال • ولذلك فانه (رأس المال) يدخل فى الزراعة بدون تقييد كما فى المجالات الاخرى • ويباع الحاصل الزراعى كما تباع المنتوجات الصناعية النمطية بثمن أقل من قيمتها ، بثمن التكاليف • وقد تزول طبقة الملاكين حيث ان الرأسمالى يصبح هو مالك الارض ذاته •

---

(٧) ان هذه السطور جاءت بعد انهاء الرسالة كملحق للرسالة •

لا حاجة الى الذهاب الى هذه التفاصيل هنا •

ومجرد الريع التفاضلى الذى لا ينتج عن الحقيقة القائلة ان رأس المال قد يستخدم على الارض بدلا من أى حقل من حقول الاستخدام الاخرى ، لا يقدم لنا أية صعوبة نظرية • انه ليس الا فائض فى الربح الذى نجده فى كل مجالات الانتاج الصناعى لكل رأس مال يستخدم تحت ظروف أحسن من المتوسطة • والسبب الوحيد الذى يجعل الزراعة تنمو هو انها تقوم على أساس وطيد وثابت (نسبيا) كدرجات الاخصاب الطبيعية المختلفة فى أنواع التربة المختلفة •

تعليـــق :

يفهم القارىء ان كارل ماركس كان يعانى ضائقة مالية عندما كتب رسالته هـذه الى فردريك انجلز • وان موضوع الرسـالة الرئيس هو مناقشة فائض القيمة ونسبة الارباح فى الانتاج الرأسمالى • وقد اعطانا تعبيرين اقتصاديين : القيمة وثمن التكاليف • وقصد بالقيمة ساعات العمل التى تبذل لانتاج سلعة ما • اما ثمن التكاليف فيساوى رأس المـال زائدا متوسط الربح فى الصناعات المختلفة •

ويقسم ماركس الناتج النهائى للصناعة الى قسمين[٨] : رأس المال المتغير والفائض • ورأس المال المتغير الذى يرمز اله ب (v) هو ما يخصص الى دفع الاجـور • اما الفائض والذى يرمز اليه (s) يشـمل الربح الصافى والفائدة والريع • فهو اذن زيادة الناتج الصافى على الاجور • والفرق بين الناتج العام (المخبوط) والناتج الصافى أسماه ماركس برأس المال الدائم (c) ويتكون من البنايات وما تضمه من معامل وآلات والمواد الاولية وانه دائم لانه لا يضيف الى قيمة الناتج أكثر مما يفقد فى عملية الانتاج • أما القيمة الجديدة المضافة فتعود الى قوة العمل المشتراة برأس المال المتغير (الاجور) • ورأس المال الثابت كالبناية مثلا يقدم الى رأس المال الدائم (c) فقط فى التأكل والتلف • فرأس المال الدائم يتكون من التأكل

(٨) انظر

Joan Robinson, An Essay on Marxian Economics (London: Macmillan & Co. Ltd., 1952), pp. 6—9.

والتلف والمواد الاولية • والناتج الكلى فى أية فترة ، قل لسنة واحدة ، يمثل ب (s+v+c) • وتقاس هذه الكميات بالقيمة أو بساعات العمل اللازمة اجتماعيا • وان ماركس يدعم حججه بثلاث نسب وهى : $\frac{s}{v}$ ويسميها نسبة الاستغلال و $\frac{c}{v}$ وهى نسبة التركيب العضوى لرأس المال و $\frac{s}{c+v}$ وهى نسبة الارباح • ان نسبة الاستغلال $\frac{s}{v}$ هى نسبة الفائض (الربح الصافى والفائدة والريع) الى الاجور وتبين لنا نصيب العمل فى الناتج الصافى • ويوضحها لنا ماركس بانها هى تقسيم ساعات عمل اليوم الى ساعات يشتغلها العامل لنفسه (يقبض أجورا بدلها) وساعات يشتغلها العامل للرأسمالى (لا يقبض عوضا عنها أى اجر) • وعلى هذا اذا كان $\frac{s}{v}$ يساوى $\frac{4}{6}$ وان ساعات عمل اليوم هى ١٠ فالعامل يشتغل عندئذ ٤ ساعات لنفسه وست ساعات لمستخدمه • وهو يشتغل أربع ساعات ضرورية (يدفع له أجور عنها) وست ساعات فضلة (بدون أجور) • وتلعب نسبة الاستغلال الدور الفعال فى حجة ماركس •

وقد سرد لنا ماركس فى رسالته هذه عدة أمثلة موضحا استخلاص فائض القيمة وذكر لنا ان الربح هو الفائض • واضاف بأن فائض القيمة المنتج فى الصناعات المختلفة لرأس مال قدره ١٠٠ جنيه يختلف معتمدا على نسبة توزيع رأس المال الدائم وراس المال المتغير اللذين يقسم اليهما رأس المال الكلى • ويفترض ماركس ان رأس المال دائما مسخر الى قدرته التامة •

ومما يؤآخذ عليه ماركس فى رسالته هذه هو عدم تفسيره لبعض التعابير الاقتصادية التى سردها فى سياق حديثه منها الريع المطلق والريع التفاضلى • وكذلك فانه قد تطرق الى كل من آدم سمث وريكاردو وحاول نقد نظرياتهما ولكنه لم يفلح لانه لم يخصص لهما الا عبارات مقتضبة غير وافية •

وبالرغم مما ذكر فان هذه الرسالة لها قيمتها العلمية وذلك لما حوته من تحليل مسهب لاستخلاص فائض القيمة ونسب الارباح •

الشاعر فى المجتمع السلجوقى

الدكتور علي جواد الطاهر

ان للشعر فى مجتمع العصر السلجوقى (٤٤٧ – ٥٤٧) من المكانة بحيث يمكن ان يكوّن ظاهرة ينص عليها وتبحث جوانبها – مثل اية ظاهرة أخرى .

ولقد قال الشعر الخلفاء والوزراء والامراء .. وهذا دليل على عناية المجتمع بالشعر وعلى تقديره اياه . ثم ان هذا الشعر يعكس صوراً من حياة ساسة العصر ومن آمالهم وآلامهم .

وقال الشعر الاطباء ومن اليهم .. والفقهاء والمحدثون واللغويون .. وفى هذا دليل آخر على نظرة الاحترام التى يكنها المجتمع الى الشعر ، كما ان فى هذا الشعر مصدرا يعين على معرفة حالة هؤلاء القائلين وعقائدهم وخلافاتهم[1] .

اما الشعراء الشعراء اى المنصرفون الى الشعر بحيث يكون شاغلهم الاول فى الحياة وشغلهم الشاغل فى العيش فهم على كثرة تستدعى الغرابة والتعجب – وهم صميم موضوعنا .

وصحيح أن هذه المجموعة من الناس كانت تلجأ الى الشعر للتعبير عما يلم بها من خير أو شر فتصوغه كلاما على غير قليل من الجمال وعلى غير قليل من التوفر على خلجات النفس الانسانية ؟ وصحيح أنها تتخذ الشعر مفخراً وتعتده شرفاً ، الا انها فى غالب الاحوال – شأن أسلافها – لا تحترم نفسها ولا توقر فنها ، فهى اداة طيّعة رخيصة لخدمة « الصدور » ، وهى حاضرة لمدح كل متنفذ من كان ، وكيفما كان مادام همها الأول المال ومبحثها الاول الأخذ .

---

(١) ولاشك فى ان « العامة » كانت تقول الشعر ، ولكن شيئا من هذا الشعر لم يصل الينا ، وان كانت قد بلغتنا اشارات تدل على انهم كان يحفظونه ويتطارحونه ويغنونه (ينظر المنتظم ١٠ : ٤٩ ، السيوطى ١٧٤ ، وفى تاريخ ابن الدبيثى اشارات أخرى) .

كانوا يعدون الشعر حرفة لها كل ما للحرفة من سوق وبضاعة وبيع وشراء وربح وكساد ، ويقف صردر بكل « مهارة » ينادى :

ولست أرخص أقوالى لسائمها الا عليك وللأشعار أسعار

وباع ابن الهبّارية الشعر ـ بعد أن رخص ـ بالنسيئة ، واتخذ لاستحصال المبالغ الوسطاء :

وجميع ما حصلته وجمعته منهم وكنت له بشعرى كاسباً

نعمى أبى الفرج ابن صاعد الذى ما زال عنّى فى المكاسب نائبا ...

ويبدو أن الارجانى كان « ادق » فى المساومة فيقول للمشترى « زد نزدك » :

عندى من الشكر اذ عندك ما شئت من النائل

وهم يعرضون قصائدهم ـ العفو ، بضاعتهم ـ فى المديح وما أشبه فى أسواق موسمية كالاعياد ، وغير موسمية لمناسبة من سفر او حضر ... ولغير مناسبة . وما دام « الدينار » هو الاصل ، فلا يهم كثيراً ما اذا كان المشترى يقدر « السلعة » ويتذوقها ، المهم أنه يشترى ، وليكن بعد ذلك خليفة أو وزيراً أو أميراً أو سلطاناً لا يفهم اللغة العربية ...

قال ألب قرا البكجى ـ أمير التركمان ـ للبندنيجى الضرير :

ـ لقد سوّغك نظام الملك خراجك .

ـ لاننى مدحته .

ـ فامدحنى حتى افعل مثل ذلك .

فمدحه بقصيدة ـ ذكر فيها الوقعة التى كانت له مع خفاجة وكسره لها ، وكان مما قال :

يا خير من شاد عزّاً فى بني بكجٍ سامٍ الى خير آباء وأجداد

وهكذا فكل أداوات الثناء جاهزة معدة ، فما يكاد الشاعر يطمئن الى الدينار حتى يخرج انفس ما لديه من الثناء بالكرم والشجاعة والشرف وكل شىء حسب الطلب .

ولم يكن من من عادة الشعراء التشدد فى الطلب ، وانك لو اجد بينهم من يطلب كل شىء ، أى شىء : مدادا ، كاغدا ، اقلاما ، خيمة ، حنطة ،

حصانا ، خمراً ، صابونا ، قصيلا ... وهكذا يستحيل الشعر ضرباً من الاستجداء لا يتوانى صاحبه معه عن أن يقول لسيده : « عبدك وابن عبدك القن » وما شابه ذلك من توسل وتذلل .

وتولى الشعراء انفسهم تسجيل عدد من الاسباب التى حملتهم على هذه الحال ، وكثيراً ما اقترنت « حرفة الادب » بالضيق والحرمان . ولقد كانوا كما قال الارجانى :

فى زمن لم يبق فى قرض شعر ... طائلا من غنى ولا من غناء

فضجوا بالشكوى لذلك ، وربما اضطر بعضهم لان يعلن « الافلاس » ويغلق أبواب حانوته كما فعل الغزى :

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب الدواعى والدوافع مغلق

خلت البلاد فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

وادى هذا الضيق الى برم شديد بالحرفة حتى قال قائلهم (الباخرزى) :

ولو درى الوالد أن ابنه ... يحرم بالآداب ما أدّبه

وكان حيص بيص أكثر وضوحاً :

كم أذلت المديح فى حمد قوم ... كان كفراً بالمجد ذاك الحمد

حرج ألجأ الصدوق الى المين ... وما من لوازم العيش بد

وموقف المدّاح ذليل ، وأراد حيص بيص أن يترفع عنه ـ مرة ـ ففعل ، ولكنه ترفع عن المديح بالمديح :

نكبتُ عن سَنَن الفخار توكّلاً ... منّي على المستبصر اللمّاح

وعلمت أنّ به أصيرُ الى العلى ... فأجدت فيه قلائدى وفصاحى

وله اعتناءٌ بالرجال أظنّه ... ينتاشنى عن موقف المدّاح[1]

بل ان ما كان يعانيه الشعراء دفع بالطموحين منهم الى ان يتنكروا للشعر ويروا انهم أكبر من أن يكونوا شعراء ـ متممين بذلك تقاليد وطّدها المتنبى والشريف الرضى .

والمسألة مسألة عيش . فهؤلاء قوم لا يعرفون أن يكسبوا قوتهم الا عن

---

(١) من قصيدة فى مدح الوزير الزينبى ، الخريدة ، العراق ، ١ : ٢٢٣ .

طريق الشعر ، وانهم ليرخصون فى هذه الطريق كل عزة ويهدرون كل كرامة • وقد وضعهم مجتمعهم هذا الموضع المحرج ، وقد استسهلوه واستطابوه بمرور الزمن ، وكم كان لطيفا لو تمرّد بعضهم على قيوده ، فقاوم وناضل ، ولـكن ، يبدو أن مفهوم المقاومة والمناضلة ليس فى قاموس عصرهم ، بل ان هذا القاموس خلا من كلمات أقل دلالة وأقل خطرا ، لقد خلا حتى من كلمة « عيب » و « خجل » و « ضعة » ، والا فكيف جاز للطغرائى أن يقول فى شخص هو دون الوزير نفوذاً وسلطانا :

فى راحتيك الرزق والاجـــل وبعزمتيـك الامـــن والوجـــل

هذا الى اننا اذا لم نقابل الشعراء بالصدور وأرباحهم ، نجدهم خيراً من كثيرين غيرهم ، وأقل عدما مما يذكرون ، فلقد كانت حاجاتهم محدودة والمستوى المعاشى لعصرهم منخفضا ، وانهم لم يحرموا من أهـل العطاء والفضل من كان يبذل لهم بسخاء تقديراً أو خوفاً أو حرصاً على الذكر والشهرة • وليس من المعقول ان ينزل المديح بالخلفاء والسلاطين والوزراء والامراء ويظل من دون « اكرام » • ــ ولقد اعترف الشعراء فى غير موضع بهذا الاكرام •

فمما يروى من أمر الخلفاء ان المسترشد قد خلع على علي بن أفلح ولقّبه جمال الملك وأعطاه أربعة آدر فى درب الشاكرية ، وكان قـــد اشترى دوراً الى جانبها فهدم الـكل وأنشأ داراً كبيرة وأعطـــاه الخليفة خمسمائة دينار وأطلق له مائة جذع ومائتى الف آجرة وأجرى له أدراراً فى كل سنة ••• »

« كان طول الدار ستين ذراعا فى أربعين ، وقد أجريت بالذهب ، وعملت فيها الصور ، وفيها الحمام العجيب فيه بيت مستراح فيه بيشون ان فركه الانسان يمينا خرج الماء حاراً ، وا نفركه شمالا خرج بارداً • وكان على أبواب الدار مكتوب شعر :

ان عجب الزوار من ظاهرى [redacted] فباطنى لو علموا أعجب •••

وعلى الطرر مكتوب :

ومـــن المـــروءة للفتـــى ما عاش دار فاخـــره •••

وعلى الحيري مكتوب :

ونادٍ كأن جنان الخلود ... أعارته من حسنها رونقا
وأعطته من حادثات الزما ... ن ـ أن لا تُلِمَّ به ـ موثقا
فأضحى يتيه على كلّ ما ... بُني مغربا كان ام مشرقا
تظلّ الوفود به عكّفا ... وتُمسي الضيوف له طرّقا
بقيت له يا جمال الملو ... ك والفضل ، مهما اردت البقا[1]

وكان من بين الوسائل التي يسهل بها الخلفاء العيش على الشعراء ان « يتوسطوا » لهم لدى ذوي المال والنفوذ ، ومن ذلك ماحدث لأبي الهيجاء شل الدولة حين عزم على « قصد كرمان مسترفداً وزيرها ناصرالدين مكرم بن العلاء ـ وكان من الاجواد المشاهير ـ فانه كتب الى الامام المستظهر بالله قصة يلتمس فيها الانعام عليه بكتاب الى الوزير المذكور مضمونه الاحسان اليه فوقع المستظهر على رأس قصته : يا أبا الهيجاء أبعدت النجعة ، أسرع الله بك الرجعة ؟ وفي ابن العلاء مقنع ، وطريقه في الخير مهيع ؟ وما يسديه اليك يستحلى ثمرة شكره ، ويستعذب مياه برّه . والسلام . » فاكتفى أبو الهيجاء بهذه الاسطر واستغنى عن الكتاب وتوجه الى كرمان ، فلما وصلها قصد حضرة الوزير ، واستأذن في الدخول ، فأذن له ، فدخل عليه ، وعرض على رأيه القصة . فلما رآها قام ، وخرج عن دسته اجلالا لها وتعظيما لكاتبها ، وأطلق لابي الهيجاء ألف دينار في ساعته . ثم عاد الى دسته ، فعرّفه أبو الهيجاء أن معه قصيدة يمدحه بها ، فاستنشده ، فأنشده :

دع العيس تذرع عرض الفلا ... الى ابن العلاء والاّ فلا

فلما سمع الوزير هذا البيت أطلق له ألف دينار أخرى . ولما أكمل انشاد القصيدة أطلق له الف دينار أخرى وخلع عليه وقاد اليه جواداً يركبه ، وقال له : دعاء أمير المؤمنين مسموع مرفوع ، وقد دعا اليك بسرعة الرجوع . وجهزه بجميع ما يحتاج اليه ... »[2] .

(١) ابن الجوزي ١٠ : ٨٠ ـ ٨٤ . سبط ابن الجوزي ٨ سن ٥٣٥ .
(٢) الخريدة ، ابن خلكان ٢ : ٥٢٩ .

وممن اشتهر من حاشية الخلفاء بنو جهير فلقد لقوا من المديح الكثير الكثير وقصدهم الشعراء وسجلوا مآثرهم ، ولعل عميد الدولة أهمهم فى هذا الموضوع ، ولعل صردر أهم شعرائهم • ومما يذكر أنه حلّ النيروز مرة فرأى الشاعر أن يهدى العميد « كتبا عوض الدراهم والدنانير » [1] ولهذا دلالته • ومرض الشاعر مرة فتعهده العميد بالزيارة وأرسل اليه من يبلغه دعاءه بالشفاء ، ثم انه فى مناسبة أخرى عرض عليه تقلد عمل من أعمال العراق فلم يرضه » [2] ووجد نفسه أكبر من أن يكون « عاملا » •

ومن حاشية الخليفة كاتب الانشاء سديد الدولة الذى التف حوله عدد غير قليل من الشعراء منهم الارجانى والغزى • وقد قصده شاعر شامى هو عرقلة الكلبى فوجد عنده ما يسره •

وكان للسلاطين عطاء يذكر ، وكان محمود يفهم الشعر ويحفظه ، وقد قصده ـ فيمن قصده ـ حيص بيص [3] •

وأكثر من السلاطين عناية بالشعراء ، حاشيتهم • وقد قرّب الكندرى الشعراء وأغدق عليهم العطاء • وانه حين قدم عليه ـ وهو فى بغداد ـ الباخرزى خلع عليه ثم أمر له بألف دينار مغربية عندما فرغ من انشاده قصيدة :

أقوت معاهدهم بشط الوادي فبقيت مقتولا وشط الوادي[4]

وأشهر الوزراء وأعظمهم شأنا نظام الملك وكان يعين للشعراء رسما يدفع اليهم بانتظام • ومما يذكر أنه كانت « بين نظام الملك وأبى الغنائم ابن دارست شحناء ومنافسة ••• فقال أبو الغنائم لابن الهبارية ان هجوت نظام الملك فلك عندى كذا ، وأجزل له الوعد ، فقال : كيف أهجو شخصا لا أرى فى بيتى شيئا الا من نعمته ••• » وألح عليه فهجا فأغضى الوزير عنه « بل

---

(١) ديوان صردر ص ٨٨ •
(٢) نفسه ص ٩٢ •
(٣) ابن خلكان ٢ : ٥٢٠ •
(٤) ياقوت ، ارشاد الاديب عن مشارب التجارب للبيهقى •

زاد فى أفضاله عليه » وأطلق له « رسمه مضاعفا » « وأعطاه خمس مائة دينار »[1] .

وكان أمراء العرب مؤئل كرم ومقصد ضيافة ، واشتهر اكثر من اشتهر بينهم بنو مزيد ، وأشهر بنى مزيد صدقة ـ صاحب الحلة . وفيهم يقول العماد الاصفهانى : « ملوك العرب وأمراؤها بنو مزيد الاسديون النازلون بالحلة السيفية على الفرات ، كانوا ملجأ اللاجئين ، وثمال الراجين ؛ وموئل المعتفين ، وكنف المستضعفين ؛ تشد اليهم رحال الآمال ، وتنفق عندهم فضائل الرجال ..

وأثرهم فى الخيرات أثير ، والحديث عن كرمهم كثير .. وكان صدقة .. يهتز للشعر اهتزاز الاعتزاز ، ويخص الشاعر من جوده بالاختصاص والامتياز ، ويؤمنه مدة عمره من طارق الاعواز ؛ يقبل على الشعراء ويمدهم بجميل الاصغاء ، وجزيل الاعطاء ؛ لا يخيب قصد قاصديه من ذوى القصائد ، ويبلغ آمليه الى أغراضهم والمقاصد . »

وكان له شعراؤه ، ومن معدوديهم أبو عبدالله محمد بن خليفة السنبسى[2] . ومما يروى من مجالسه الادبية انه : « اتفق حضور مقدار بن المختار المطامرى والسنبسى .. » عنده فى الحلة ، « فأنشده السنبسى فى عرض المحادثة لنفسه فقال :

ومن ينس لا أنس عشية بيننا ... ونحن عجال بين غادٍ وراجع
وقد سلمت بالطرف منها ولم يكن ... من النطق الا رجعنا بالاصابع
فرُحنا وقد روّى السلامُ قلوبَنا ... ولم يجر منا فى خروق المسامع
ولم يعلم الواشون ما كان بيننا ... من السرّ لولا ضجرة فى المدامع »

« فطرب لها سيف الدولة ، ولم يرضها مقدار . فقال له سيف الدولة : ويلك يا مقدار ، ما عندك فى هذه الابيات . فقال : أقول فى هذه الساعة بديهاً أجود منها . ثم أنشد ارتجالا :

---

(١) ينظر ابن خلكان ٢ : ٣٨٦ ـ ٣٨٧؛ الخريدة ١ و ٢٥ ؛ مرآة الزمان سن ٥٠٩ .

(٢) ومنهم أبو البقاء هبة الله الذى ألف له كتاب (المناقب المزيدية فى أخبار الدولة الاسدية) .

ولما تناجوا بالفـراق عذوبةً رَمَوْا كلَّ قلبٍ مطمئن برائعِ
وقفنا فمبدٍ أنَّةً اثرَ أنَّةٍ تقوَّم بالانفاسِ عوج الاضالع
مواقف تدمي كلَّ عشواء ثرَّةٍ صدوف الكرى ، انسانُها غير هاجع
أمِنّا بها الواشين أن يلهجوا بنـا فلم تُتَّهَمْ الاّ وشـاةُ المدامع

فازداد سيف الدولة استحسانا لهذه واستدناه منه وأكرمه وجعله من ندمائه »[1] .

وكان صدقة يستزير شعراء عصـره ويكرمهم ؛ ومن ذلك دعوته الابيوردى . وقد « قال عبدالله بن علي التَّميمى : ولقد حصل للابيوردى بعد ما تراه من شكوى الزمان فى أشعاره ، مما انتجه بالشعر من ملوك خُراسان ووزرائها وخلفاء العراق وأمرائها ما لم يحصل للمتنبى فى عصره ولابن هانىء فى مصره . فمن ذلك ما حدّثنيه القاضى أبو سعد محمد بنُ عبدالملك بن الحسن النّديم : أن أفضل الدّولة الابيورى لما قدم الحلة على سيف الدولة صدقة ممتدحاً له ـ ولم يكن قبلها قد اجتمع به قط ـ خرج سيف الدولة لتلقيه ، قال : وكنت فيمن خرج ، فشاهدتُ الابيوردى راكباً فى جماعة كثيرة من أتباعه ، منهم من المماليك الترك ثلاثون غلاما ووراءه سيف مرفوع وبين يديه ثماني جنائب بالمراكب والسَّرفسارات الذّهب [2] ، وعددنا ثقله فكان على أحدٍ وعشرين بغلا ، وكان مهيبا محترما جليلا معظّماً لا يخاطَبُ الاّ بمـولانا ، فرحب به سيف الدولة ، وأظهر له من البر والاكرام ما لم يُعهد مثلُهُ فى تلقى أحدٍ ممن كان يتلقاه ، وأمر بانزاله واكرامه والتوفر على القيام بمهامه ، وحمل اليه خمسمائة دينار وثلاثة حصن وثلاثة أعبد ، وكان الأبيوردي قد عزم على انشاد سيف الدولة قصيدته التى يقول فيها :

وفى أىِّ عطفيـك التفتَ تعطَّفتْ عليك به الشمسُ المنيرةُ والبـدرُ

فى يوم عيـنـه . ولم يكـن سيف الدولة أعـدّ له بحسَب ما كـان فى

(١) الخريدة ، العراق ، مخطوطة باريس و ١١٥ أ . وفى معجم البلدان مادة مطامير ٤ : ٥٢٦ شىء من الاختلاف فى نص الابيات .
(٢) جنائب : جمع جنيبة وهى الناقة . السرفسارات : كلمـة فارسية ، سرفسار معناها اللجام .

نفسه ان يلقاه به ويُجيزه على شعره ، واعتذر اليه ووعده يوما غيرَ ذلك اليوم ليُعدَّ ما يليق بمثله اجازتُه مما يحسُن به بين الناس ذكره ، ويبقى على ممر الايّام أثره ، فاعتقد أفضل الدولة أن سيف الدولة قد دافعه عن سماعه منه ، استكباراً لما يُريد أن يصله به ثانيا ، فأمر الابيوردى أصحابه أن يُعبروا ثقلَه الفرات متفرقا فى دفعات • وخرج من غير أن يعلم به أحد سوى ولد أبى طالب بن حبش ، فانه سمعه ينشد على شاطىء الفرات حين عبوره :

أبابل لاواديك بالخير مفعم ... لراجٍ ولانادیك بالرَّفد آهلُ
لئن ضِقتِ عنّى فالبلادُ فسيحةٌ ... وحسبُكِ عاراً أننى عنك راحل
فان كنتِ بالسِّحر الحرام مُدَّلةً ... فعندى من السحر الحلال دلائل
قوافٍ تُعيرُ الأعينَ النجل سحرها ... وكلُّ مكان خيَّمت فيه بابل[1]

فبادر ولد أبى طالب الى سيف الدولة فقال له : رأيتُ على شاطىء الفرات فارسا يُريد العبور الى الشرق وهو ينشد هذه الابيات فقال سيف الدولة : وأبيك ما هو الاّ الابيوردى ، فركب لوقته فى قُلٍّ من عسكره ، فلحقه فاعتذر ، وسأله الرجوع وعرَّفه عذره فى امتناعه من سماع شعره ، وأمر بانزاله فى داره معه •

وحَمَلَ اليه ألف دينار ، ومن الخيل والثياب ما يزيد على ذلك قيمة[2] •

ومن الشعراء من كان يؤلف الاشعار ويرسلها الى صدقة املاّ فى جائزته ، ومن ذلك ما فعله ابن الهبّارية اذ ارسل « الصادح والباغم » مع ولده ، « فأجزل ـ سيف الدولة ـ عطيته وأسنى جائزته »[3] •

---

(١) تنظر ص ٩١ ـ ٩٢ من العدد الثانى من مجلة كلية الآداب (شباط ١٩٦٠) •
(٢) ياقوت ، ارشاد الاديب ١٧ : ٢٦٣ ـ ٢٦٦ •
(٣) ابن خلكان ٢ : ٣٨٨ ـ ٣٨٩ •
كان احد الشعراء يقصد منصوراً كل عام ليتسلم (٢٠٠) دينار وثياب حرير وعمامة وحصانا • ولما مات منصور قصد الشاعر ولده صدقة فضاعف له رسمه ونصحه أن يعود الى بلده ليرعى اسرته التى تنتظره (الخريدة ، المجلد الاول ٢١٥ •

ولدبيس بن صدقة أخبار تقرب من أخبار والده فى اكرام الشعراء وابناء من عودهم والده من عطاء •

ولابد من أن يكون بنو أبى الجبر فى البطـــائح على حظ كبير من الـكرم ، والبيت :

كـــل مـــن ولّت ســـعادته فالى الغـــراف « ينتقـــــل »

يمكن ان يكون ذا دلالة •

هذه أمثلة من العطاء وهى ــ على أى حال ــ تشير الى مكانة الشعراء والى موارد عيشهم ومقادير كسبهم • وهى كميات لا يستهان بهـــا اذا ما تصورنا مستوى المعيشة وتصورنا مكاسب عامة الناس فى عصرهم • بل ان منهم كالباخرزى من امتلك الضياع • ومع هـــذا ملأ الشعراء الدنيـــا شكوى وندباً لحظوظهم ، بل ان اكثر الشعراء ربحا هم اكثرهم شكوى • ويمكن ان تكون هذه الشكوى لدى بعضهم ــ من امثال الغزى والارجانى ــ وسيلة للاستزادة اشبه ما تكون بوســائل « المـكدين » المحترفين • اما لدى الآخرين من أمثال الابيوردى والطغرائى وحيص بيص فهى ذات شأن آخر ، لان هؤلاء لم يكونوا « مفلسين » فلقد تنقل الابيوردى بين الامراء مكرما منعما حتى قال عبدالله بن علي التيمى ــ كما مرّ معنا ــ ولقد حصل للابيوردى بعد ما تراه من شكوى الزمان فى أشعاره مما انتجعه بالشعر من ملوك خُراسان ووزرائها وخلفاء العراق وأمرائها ما لم يحصل للمتنبى فى عصره ولابن هانىء فى مصره »[1] • وكان الطغرائى فى دواوين الوزارة ، وحصل حيص بيص كثيرا ••• ومع هذا كانوا يشكون ويشكون ••• فلماذا ؟ انهم لم يريدوا المال وحده ، لقد كانوا يطمعون « بالحكم » ــ وهم يرون انفسهم ــ ومعهم الحق ــ أفضل بكثير من اولئك الذين « يتربعون » على كراسى الامارة والوزارة ••• انهم يريدون المال من غير استعطاف الآخرين والتمرغ على أقدامهم ومن دون منّ أو أذى[2] •

---

(١) الارشاد ١٧ : ٢٦٣ •

(٢) تنظر استكمالا للبحث مجلة الاستاذ ، المجلد الثامن ١٠٨ ــ ١٢٩ حيث نرى الاغراض التى فرضها المجتمع على « شعرائه » •

بحث علمى موسع فى التدليك النظرى والعملى

السيد بهنام باسيليوس
مدرس التربية الرياضية فى كلية الآداب

---

١ ـ نبذة تاريخية :ـ

استعمل القدماء التدليك منذ ان عرفوا اسس الطب القديم • فقد دلت التنقيبات الاثرية التى اجريت على بعض الكتابات الصينية ، ان تاريخ استعمال التدليك يرجع الى (٣٠٠٠) سنة قبل المسيح من قبل الكهان فى بلاد الشرق ، وقد ورد ذكر استعماله أيضا فى الكتب الهندوسية المقدسة • اما استعماله عند اليونان فكان مقتصرا على المحاربين ، ويسبق ذلك طلي أجسامهم بالدهان ، ثم دلكها من قبل الحسان الممتهنات •

لم تكن عملية التدليك علمية وفنية ، وانما كانت تجرى بدافع غريزى • فالمرء يدلك أو يفرك العضو الذى تصيبه ضربة ما أو لسعة بيده • أو كان يستعمل أحيانا آلة تدعى بـ (Xystra) وذلك قبل أيام أبقراط حيث كانوا يعالجون الكسور والرضوض التى تصيب المفاصل •

ولابد من التمثيل على أنماط التدليك على الطريقة القديمة فى بعض البلدان العالمية • ففى جزر المحيط الباسفيكى ، وفى شمال وجنوب اميركا وافريقيا كانت طريقة التدليك على نمط واحد وطريقة واحدة • اما فى جزيرة تونكا (Tonga) فقد شاع من التدليك المسمى بـ (Effleurage) أو (Stroking) أى الدعك أو اللمس • ويقال انه الى جانب هذا النوع كان نوع آخر من التدليك يسمى بـ (Tapotement) أو (Tapping) أى القرع أو الطبطبة ، وكان معروفا فى الجزيرة باسم (Toogi Toogi) •

اما فى اليابان ، فمع ان السكان مصابون بداء المفاصل بسبب رداءة

الاحوال المناخية ، فلم يكونوا ليعرفوا التدليك كوساطة علاجية قاصدة لهذا الغرض ؛ ولـكنهم كانوا يمارسونه بصورة غير قاصدة عن طريق الحياة اليومية كالاغتسال بالماء والصابون مما كان عاملا مخففا لحدة آلام المفاصل •

ثم ادخلت التحسينات الفنية بمرور الزمن على طرق التدليك الى أن أخذت شكلها المعروف اليوم ، وذلك على أثر معرفة الاوربيون بفـــائدة التدليك بنتيجة احتكاكهم بالشرقيين عن طريق الحروب الصليبية ، الا أن مما يؤسف له انهم اساءوا استعماله بادىء ذى بدء باتخاذه مدعاة للدجـل والشعوذة فى سبيل الارتزاق فبخسوا قيمته واهملوا الغاية التى يرجى اليها • وقد استمرت هذه الحال حتى القـرن السادس عشر حيث حاول العـــالم (Ambrose Pary) ، موجد الطب الجراحى ، الافادة من التدليك فى تخفيف الآلام عن المرضى وراحتهم • وكتب عدة مقالات اوضح فيها فوائد التدليك التى يجنيها الممارس • وقد كان لهذه الـكتابات أثر عظيم فى تنبيه الاطباء الى الافادة من التدليك •

قدم الدكتور (Witkowski) بعد دراســة فاحصــة صورا صحيحــة وتمارين علاجية بالتدليك القديم والحديث • وبعد مضى قرنين تقريبا من هذه الابحاث ، تلتها كتابات (Francis Fuller) والتى عنونها بالجمناستيك الطبى (Medical gymnastic) ثم ظهر كتاب فى نفس الموضوع لـ(goseph Tissot) الفرنسى بيّن فيه بصورة مفصلة مختلف تمارين التدليك وما تعود به من فائدة على الجسم • ثم اتبع خطواته العالم الالمانى (Hoffman) فوضع بالمانية كتابا عالج فيه نفس الموضوع ، الا انه ، للاسف الشديد لم تلق كتابات هذين العالمين آذانا صاغية من الرأى العام نظرا الى استحواذ المشعوذين والدجالين فى امتهانهم التدليك حتى هذا الوقت بالرغم من انتشار الابحاث العلمية الصحيحة •

بقيت الحال على ما هى عليه حتى سنة ١٨١٢ ، اذ افتتح معهد التربية البدنية باستكهولم فى السويد من قبل المربى الرياضى لنك (Ling) فافتتح عهدا جديدا فى تطمين الناس بفائدة التدليك المبنى على أسس علمية للنتائج

العملية التى اوضحها لهم هو وتلاميذه ؛ ومن ثم تمكن من نشر نظرياته فى التدليك وتعميمها • فأخذ الدكتور (Mazger) على عاتقه تبعة المعالجة بالتدليك على أسس فيسيولوجيـة صحيحـة فى امستردام • وصار التدليـك ينتشر تدريجيا فى مختلف المستوصفات والمستشفيات لمعالجة الامراض والآلام التى يجدى التدليك فى ازالتها نفعا ؛ حتى أكد مشاهير الرجال فى القرن التاسع عشر من أمثال (Billroth, Von Esmarch, Nelaton. and Von Mosengeil) منافع المعالجة الميكانيكية •

وفى سـنة ١٨٦١ عمم القائد العسكرى السويدى (Thure Brandt) فائدة التدليك فى معالجة الامراض • فعيّن النساء للقيام بهذه المهمة • وعلى هذا لم يبق طبيب يجهل أو يتجاهل فائدة التدليك فى النواحى الفيسيولوجية والتشريحية والباثولوجية لما يعود به على الجسم من نشاط وحيوية • ولم يقتصر هذا على تلك الفترة من الزمن انما عم استعمال التدليك البلاد الغربية فجهزت مستشفياتها بالآلات الـكهربائية التى تساعد على التدليك العلاجى • وصار الاطباء يصفون التدليك لسالمى الابدان ولو مرة فى الشهر كعامـل منشط للاوعية الدموية فتؤدى عملها بصورة طبيعية •

والغالب على أكثر الناس ، اجراء التدليك بصورة خاطئة قد تكون مضرة اكثر مما هى نافعة ، ذلك انهم يجرون التدليك من الاعلى الى الاسفل وعلى نمط واحد من الشدة والضغط ، فهذا النوع غير مجد ؛ وانما يجب أن يعم التدليك جميع أعضاء الجسم باتجاه القلب فى طرفى الجسم الاعـلى والاسفل • ففى القسم الاسفل يكون التدليك من الاسفل الى الاعلى • وفى القسـم الاعلى من الجسم يسـتعمل التدليك المسمى بالعجينى (Kneading) باتجاه معاكس أى من الاعلى الى الاسفل •

وهكذا نكون قد اتبعنا طريقا صحيحا فى التدليك ، بأن اتبعنا فيه اتجاه مجارى الدم • وبالاضافة الى هذا يجب ان لاتكون يد المعالج (بكسر اللام) باردة عند تدليكه عضوا مصابا بألم ، لان ذلك مدعاة لاحداث رد فعل عند المعالج (بفتح اللام) • ويستحسن دهن العضو المصاب بقليل من الدهان او المروخ كعامل مساعد فى تليين العضلات •

٢ ـ التأثيرات الفيسيولوجية العامة للتدليك :ـ

يجدر بنا ، قبل ان نبتدىء بشرح انواع التدليك ، ان نذكر أهم التأثيرات الفيسيولوجية العامة التى يتركها التدليك فى بعض أقسام البدن ، كما اننا سنشير الى تأثيراته الخاصة وفوائده فى كل نوع من انواع التدليك على حدة •

للتدليك تأثيرات فعالة فى الجلد ، والعضلات ، والدورة الدموية ، واللمفاوية ، والجهاز العصبى ، والبناء الجسمى ويستعمل نمط واحد من التدليك على الجلد من الناحية الخارجية فقط • اما الاقسام الاخرى ، فيستعمل لها نوعان من التدليك • التدليك من الناحية الخارجية أولا ؛ والتدليك من الناحية الداخلية بواسطة حركات العضلات ثانيا •

آ ـ تأثيرات التدليك فى الجلد :ـ

يؤثر التدليك على الجلد من نواح عديدة اهمها ما يلى :

١ ـ يزيل الفضلات •

٢ ـ يساعد على انتشار الدورة الدموية •

٣ ـ يحفز نهايات الاعصاب •

٤ ـ يساعد على الافراز فى الجلد •

ب ـ تأثيرات التدليك فى العضلات :ـ

١ ـ يزيد فى انتشار الدورة الدموية داخل العضلات وبالقرب منها •

٢ ـ ينتج من عمل وحركات العضلات ، حصول مواد حامضية وهذه المواد تزداد كلما ازداد عمل العضلات ، وزيادتها هذه تؤدى الى حصول التعب • وعليه فان التدليك ضرورى فى هذه الحالة لازالة المواد الحامضية من العضلات لاراحتها وتنشيطها •

٣ ـ يقوم الحجاب الحاجز بعملية التدليك للاعضاء التى تقع فوقه وتحته بطريقة غير قصدية من جراء عمليتى الزفير والشهيق ، وهذه الحركة تساعد على حصول الهضم الجيد والامتصاص •

ج ـ تأثيرات التدليك فى الدورة الدموية :ـ

١ ـ التدليك الشديد باتجاه القلب يفرغ الاوردة ويزيد فى نشاط الدورة الدموية •

٢ ـ تزيد التمارين فى عمل القلب ، وينخفض ضغط الدم عند التوقف عن اجراء التمارين بعد فترة من الزمن • وقد يخفض التدليك ضغط الدم بدون ان يزيد فى عملية القلب • وعلى هذا الاساس يعتبر التدليك جيدا ونافعا الى الافراد المصابين بضغط الدم العالى • وننصح باستعمال التدليك الذى يطلق عليه بالدعك أو اللمس الخفيف فى هذه الحالة •

د ـ تأثيرات التدليك فى الدورية اللمفاوية :ـ

اللمف سائل شفاف ينتشر بين جميع أنسجة الجسم لغرض تجهيزها بالطعام اللازم من جهة ، واخذ الفضلات الزائدة منها من جهة ثانية • فالتدليك يقوم بزيادة هاتين العمليتين ، عملية تجهيز الطعام ، وعملية أخذ الفضلات •

هـ ـ تأثيرات التدليك فى الجهاز العصبى :ـ

١ ـ يقوم التدليك بتحفيز الاعصاب والنخاع الشوكى لزيادة العمل الانعكاسى ، وعليه فهو مفيد ونافع اذا كان الجهاز العصبى مصابا بالتعب والجهد •

٢ ـ اذا كان الضغط قويا فى التدليك على أية عضلة يوقف عصبها • أما اذا استعمل هذا النوع من الضغط فى حالة التشنج الوقفى (Cramp) فيكون جيدا • والتدليك الذى يطلق عليه باللمس (Effleurage) يعتبر أحسن انواع التدليك فى معالجة هذا المرض •

و ـ تأثيرات التدليك فى بناء الجسم :ـ

١ ـ يقوم التدليك بتنظيم درجة حرارة الجسم •

٢ ـ يزيد فى الفعالية الكيماوية •

٣ ـ أنواع التدليك Kinds of Massage

التدليك عملية علمية وفنية تستعمل لتخفيف وعلاج بعض الامراض

والآلام التى تنتاب الافراد على اختلاف طبقاتهم ، وذلك باستخدام حركات أو دعكات يدوية ظاهرة لانسجة الجسم بأساليب وطرق عديدة ومتنوعة نوضحها فيما يلى :

تستهدف جميع انواع التدليك المتنوعة غايات واحدة وهى :

١ ـ معالجة العضو المصاب •

٢ ـ جعل العضلات مرنة ورخوة •

٣ ـ نقل المواد اللمفاوية الى القلب لتوزيعها على البدن لتغذية العضلات والانسجة التى لا يصلها الدم •

٤ ـ تنشيط الاوعية الدموية للقيام بايصال الدم الى كافة نواحى الجسم •

٥ ـ نقل الدم الذى قد يقف فى بعض المواضع المتألمة من الجسم تفاديا لفساده او تعفنه (Stagnation) •

١ ـ اللمس او الدعك الخفيف براحة اليد Effleurage

٢ ـ العجن Petrissage

٣ ـ التدويرى Rolling

٤ ـ الفرك Friction

٥ ـ القرع او الطبطبة Tapotement

٦ ـ الاهتزازى Vibration

١ ـ التدليك باللمس Effleurage

يستعمل هذا النوع من التدليك فى المحلات المصابة بالالم الشديد ، وللاعضاء المعرّضة للعطب الدائمى •

الشدة المتزايدة واستعمال القوة فى الدعك ، يجب أن تكون بصورة تدريجية كلما شعر المدلوك بتدرج زوال الالم • وفى الحالات التى يكون فيها الالم شديدا على المريض ، يستحسن استعمال اللمس بكل هدوء بوساطة راحة الكف وأصابع اليد •

طريقة العمل :ـ

يتم هذا النوع من التدليك بامرار راحة اليد والاصابع على الجلد باتجاه معاكس لجريان الدم ، أى من الاطراف الى داخل الجسم أى نحو القلب كما هو موضح بشكل (١) • واذا كان اللمس سطحيا خفيفا للغاية يكون مفعوله التسكين ؛ وان كان مصحوبا بضغط أشد فيزيد الدم واللمف ويزيل الاورام ؛ كما وانه يريح العضلات من العناء والتعب • ويكون هذا اما بيد عارية او بوساطة قفازات من شعر او اسفنج او غير ذلك •

فلو فرضنا ان عضوا كبيرا كالفخذ مثلا يراد دلكه ، فتوضع راحة احدى اليدين تحته ، والاخرى فوقه ؛ ثم يباشر بالتدليك • يكون التدليك من هذا النوع بصورة متناوبة ، ويعنى هذا بأن اليد التى تبتدىء بالدعك أولا يجب أن تباشر ثانية بعد انتهاء اليد الاخرى منه •

يجب أن ينتهى التدليك من هذا النوع بخفة عندما تصبح العضلة مرنة•

تأثيراته وفوائده :ـ

١ ـ الدعك السطحى له أثر ملطف وكثيرا ما يستعمل لتخفيف الالم وتسكينه •

٢ ـ ينشط الجسم ويحفزه •

٣ ـ يساعد الدعك العميق على تبادل سوائل الانسجة وذلك بزيادة دورة الدم فى الاوردة السطحية والاوعية اللمفاوية • ويساعد الضغط على دفع محتويات الاوعية الى القلب •

٤ ـ يساعد على التغذية فى جميع الانسجة •

٥ ـ يزيل التعب وذلك بطرد مخلفات الاحتراق الزائدة •

والتدليك باللمس نوع يطلق عليه بالدعك (Stroking) وهذا يشبه اللمس مع اختلافات هامة •

١ ـ تكون طريقة العمل فى تجاه بعيد عن المركز ، أى بعيد عن القلب •

٢ ـ تكون طريقة العمل بخفة أكثر من طريقة العمل فى التدليك باللمس •

لذا فهو لا يؤثر فى الدورة الوريدية واللمفاوية لسبب طريقة العمل فى اتجاه بعيد عن القلب • ويمكن عمله على مساحات كبيرة باحدى راحتى اليدين او كلتيهما ، وعلى مساحات صغيرة بأطراف الاصابع او بالابهامين • ولهذا النوع من الدعك أثر مسكن اذا ما استعمل بخفة للاطراف بكلتا اليدين • ويمكن استعمال هذا النوع من الدعك أيضا بقوة لتدليك فروة الرأس وللاطراف وفى هذه الحالة يكون له أثر منعش ويمكن استعماله أيضا للمعدة والكبد والامعاء •ويساعد هذا النوع من الدعك على تسكين الاعصاب ، خاصة العصب النازل من وراء الالية الى الاسفل مارا خلف الساق •

الحالات التى لا ينبغى فيها الدعك :

لا ينبغى الدعك فى حالات التهاب الاعصاب (Neuralgia) اذ يكون الدعك مؤلما ومهيجا جدا حتى اذا كان خفيفا وفى هذه الحالة يجب الكف عنه فى الحال ويستعاض عنه بارتجاجات اليدوية (Vibrations) والعجن العضلى المتين •

ولا ينبغى استعمال الدعك لنسيج لازال أثر الجرح فيه ماثلا (Scar Tissue) حتى يندمل تماما والا كان ذلك سببا لان يفتح ثانية • وفى حالة اصابة مساحات كبيرة من الجلد بحروق لا ينبغى سوى استعمال التدليك بالفرك (Friction) •

٢ ـ التدليك بالعجن Petrissage

يعتبر هذا النوع من التدليك أفيد الانواع ، والشىء الذى نفهمه من هذا الاسم ، ان الحركات التى تستعمل باليدين تؤدى الى تليين الانسجة المتجمعة •

طريقة العمل :ـ

يجرى العمل او الدلك بأخذ العضلات بالابهام وباقى الاصابع او

بوساطة القبض على الانسجة التى ستدلك على هذه الطريقة باليد برمتها كما هو موضح بشكل (٢) وهو فى اتجاهه كاللمس • ويستعمل للنواحى العضلية الضخمة كالاليتين ، وعضلات الفخذ وعضلة العجل ، وعضلات الصدر ••• الخ •

يجب أن يكون ضغط الانسجة على هيئة زوايا قائمة بالنسبة للعظم الذى يكون تحتها ورفع هذه الانسجة العضلية بعيدة عنه وفى الوقت نفسه تعصر هذه الانسجة او تفرك •

ويعمل العجن على مجموعة عضلية محدودة مثال ذلك العضلة المثلثة الرؤوس (Triceps) قريبا من الابط ثم مواصلة العجن تدريجيا الى المرفق وينبغى أن يرفع العضل مرارا أثناء ذلك وتسند اليد الاخرى العضو وبذلك يتسنى للمجموعات العضليـة التى تبـاشر أن ترخى ارخاء تاما • ويكون ضروريا فى بعض الحالات استعمال كلتا اليدين لعمل قبضة كبيرة كما هو الحـال فى عجن العضـلة المستقيمة الفخذيـة (Rectus Femoris) كما فى شكل (٣) والذراع كما فى شكل (٤) •

اذا كان العجن خفيفا يقلل من عدد ضربات القلب ، كما انه يجلب الراحـة • واذا كان شـديدا وخفيفـا فيسهل تغذية العضلات • وللعجن أنواع منها :

آ ـ Kneading ـ يتم هذا النوع من العجن بضغط الانسجة بوساطة راحة اليدين او الابهام على شكل دائرة • وعندما يجرى العمل بكلتا اليدين يكون تحركهما بالتناوب ، على أن يكون الضغط دائما متجها الى الاعلى •

هذا النوع من العجن يستعمل كثيرا لعضلات الفخذ كما فى الشكل (٥) ويفيد هذا النوع من العجن عضلات الظهر اذا جرى التدليك بشكل دائرى براحة اليد •

ب ـ Wringing ـ يتم هـذا النوع من العجن بنفس الطريقـة التى سبق وصفها فى العجن (Petrissage) ولـكن مع استعمال كلتا اليدين برفع العضلات بالتناوب مع جانب الى جانب كما هو موضح بشكل (٦) • ويستعمل

هذا النوع من العجن ، بصورة خاصة ، لعضلات بطن الساق (Calf Muscles) والساعد •

حـ ـ العجن باللقط (Picking up) ـ يتم هـذا النـوع من العجن بالقبض على العضلات والانسجة بكلتا اليدين وتحريكهما بالتناوب خلفـا وأماما كما هو موضح بشكل (٧) • ويستعمل لاجزاء كثيرة من الجسم وهو الاكثر شيوعا فى علاج البدانة كما يستعمل أيضا لتدليك الانسجة العضلية •

تأثيرات العجن وفوائده :ـ

١ ـ يستعمل للعضلات بصورة خاصة ، فهو بذلك يحفزها ويقبضها •

٢ ـ يزيد فى عملية الدورة الدموية كمـا يجلب تعـاقب الضغط والارخاء دما جديدا لجزء الجسم •

٣ ـ مفيد لتغذية العضلات •

٤ ـ يزيد فى درجة الحرارة الموضعية فى العضلات •

٥ ـ مفيد جدا لنهاية الاعصاب الموجودة فى العضلات •

٦ ـ يقلل من محتويات المواد بعد انتفاخ العضلة •

٧ ـ مساعد على الافراز والامتصاص •

٨ ـ التأثير فى التغير الغذائى العام فى خلايا الجسم ، اذا ما قام به المدلك على مساحات كبيرة من الجسم مثل الظهر كما هو موضح بشكل (٨)• والبطن كما هو موضح بشكل (٩) والاطراف •

٣ ـ التدليك بالتدوير Rolling

يستعمل هذا النوع من التدليك للعضلات الـكبيرة فى الجسم • فاذا أريد تدليك عضلة من هذا النوع ، فيجب القبض على جزء منها وتدويره بين الاصابع ، ثم أخذ جزء آخر ••• وهكذا الاستمرار بأخذ جزء من العضلة حتى ينتهى دلك العضلة بأجمعها •

وفى الحالات التى تكون العضلة التى يراد دلـكها فى الظهر او فى أى محل آخر فيه لحم أو أنسجة كثيفة يجب استعمال الطريقة التالية :

• اقبض على العضلة بأجمعها بالابهامين من الامام وبالاصابع من الوراء•

اضغط العضلة على العظام او العظم الذى تحتها ، ثم ازل الضغط عنهـا أى أرخيها وبهذه الطريقة تجعل الشرايين من ان تفرغ من الدم وتتجهز بكمية أخرى من الدم النقى » • واليك طريقة معالجة عضلة العجل (Calf Muscle)

« اقبض العضلة الوحشية ما بين الابهـامين والاصابع ، الاولين من الامام والاخيرة من الوراء • تكون وضعية اليدين الواحدة فوق الاخرى • اضغط بالتناوب ودور النسيج الى أن يصبح مرنا ولينا كالعجين • »

٤ ـ التدليك بالفرك Friction

يعتبر هذا النوع من التدليك أحسن الانواع استعمالا للرضوض التى يسبقها ورم فى محل المرض • وفائدته تقوية الجلد ويعيد اليه قواه الطبيعية ، ويسهل مرور الدم فيه ، كما وانه يزيل التجعدات •

طريقة العمل :ـ

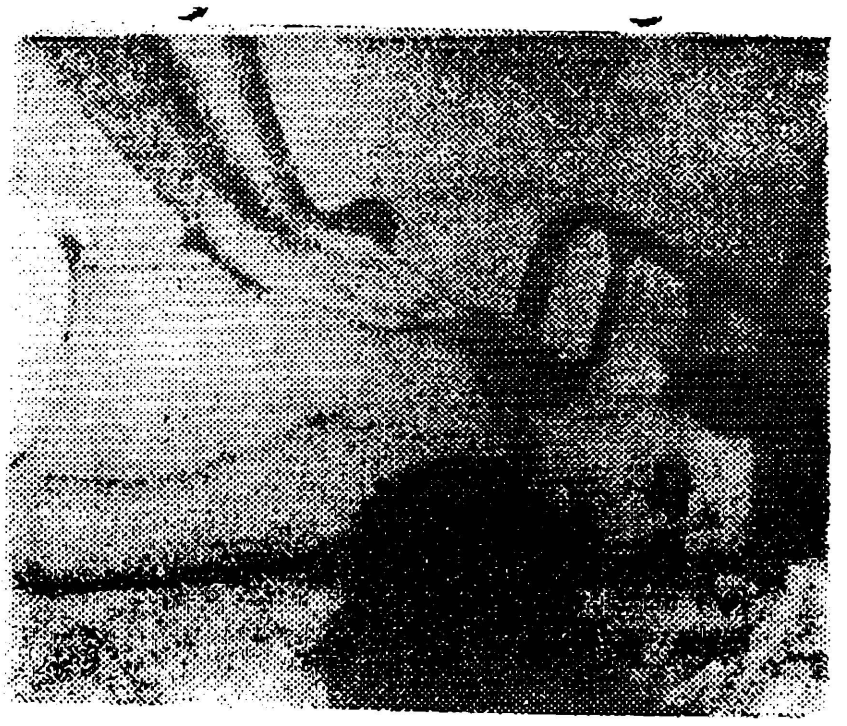
توجد طريقتان لاجراء هذا النوع من التدليك وهى كما يلى :

١ ـ تدليك القسم العلوى من المحل المتألم بوساطة رؤوس أصابع اليدين • يجب أن تتحرك أصابع احدى اليدين على شكل دائرة صغيرة على القسم المتألم • ويتم هذا العمل بصورة متناوبة بالاصابع الاخرى من اليـد الثانية كما هو موضح بشكل (١٠) •

٢ ـ اقبض المفصل بالاصابع والابهام ؛ وبدون انتقال ضغط الابهام على المفصل دوّر الجلد على شـكل دائرة كما هو موضح بشـكل (١١) • فالغاية التى نرمى اليها هو تدليك الانسجة على بعضها البعض بمقدار ست مرات الى أن يشعر المريض بشىء من الراحة •

يجب أن يكون العمل بخفة بمقدار ما يمكن المريض من التحمل •

وتستعمل البراجم (وهى ملتقى رؤوس السلامات من ظهر الـكف) Knuckles اذا كان المقصود من هذا التدليك ان يكون عميقا مثال ذلك على أخمص القـدم وعلى العضـلات الالية (gluteal Muscles) وأحيـانا تحت مسلك العصب الوركى (عرق النسا) (Sciatica) وعلى طول العمود الفقرى كما فى شكل (١٢) •



شكل (١)
الدعك الخفيف براحة اليدين نحو القلب (Effleurage)



شكل (٢)
العجن (Petrissage)



شكل (٣)
عجن العضلة المستقيمة الفخذية (Rectus Femoris)

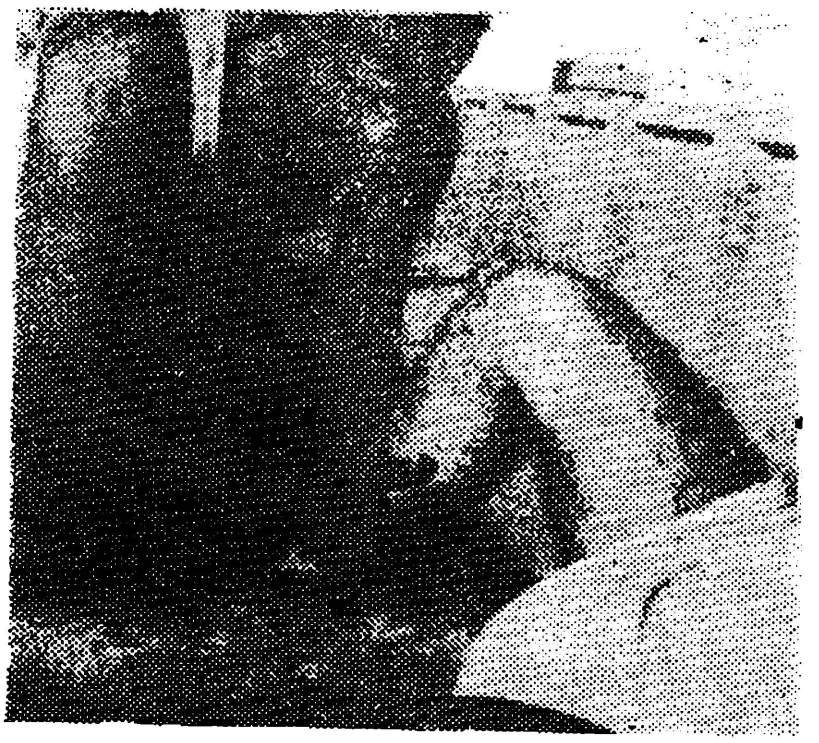


شكل (٤)
عجن الذراع (Petrissage of the arm)



شكل (٥)

عجن الفخذ (Kneading of the thigh)



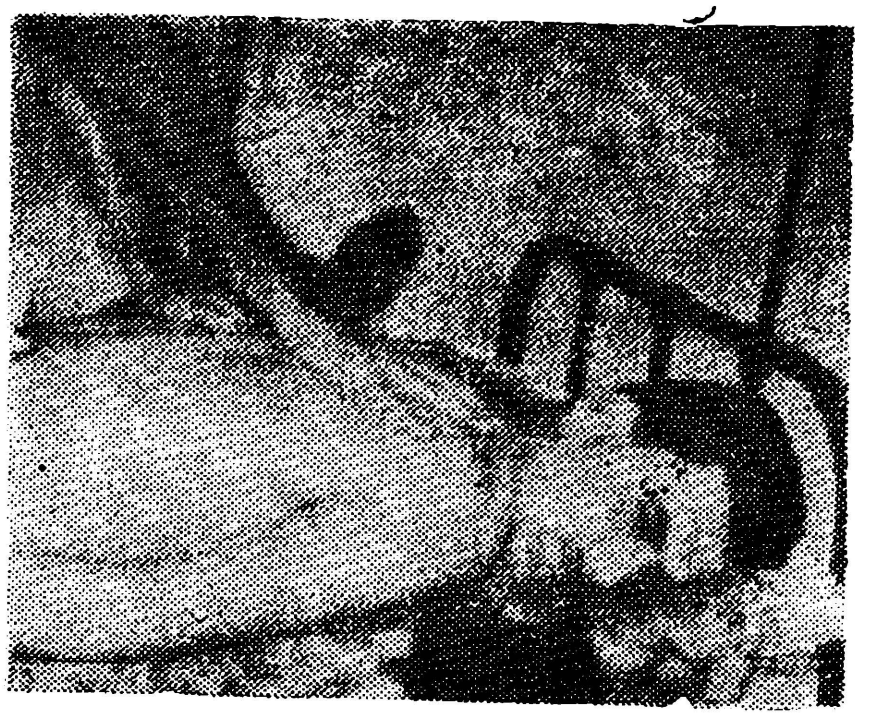
شكل (٦)

عجن برفع العضلات بالتناوب من جانب الى جانب (Wringing)



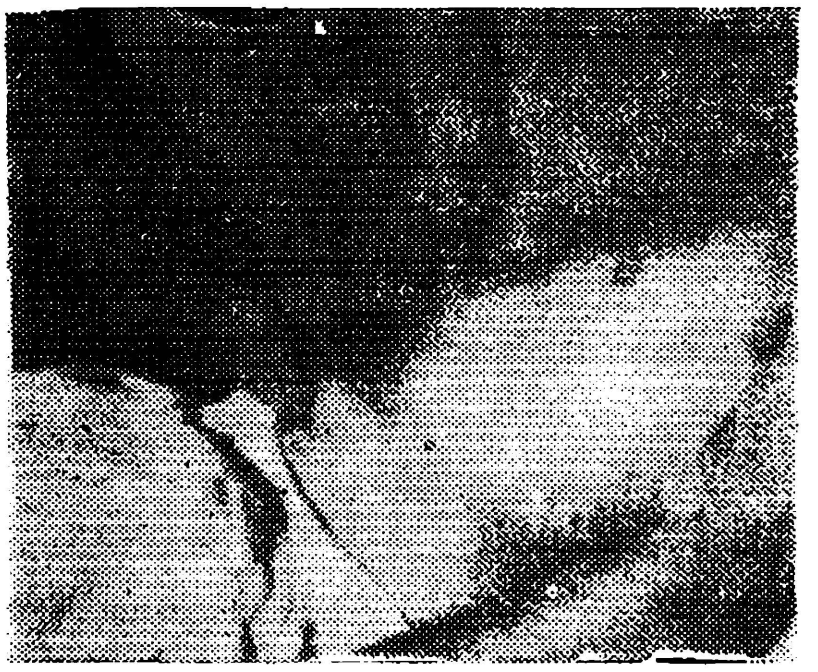
شكل (٧)

العجن باللقط (Picking up of Trapezius)



شكل (٨)

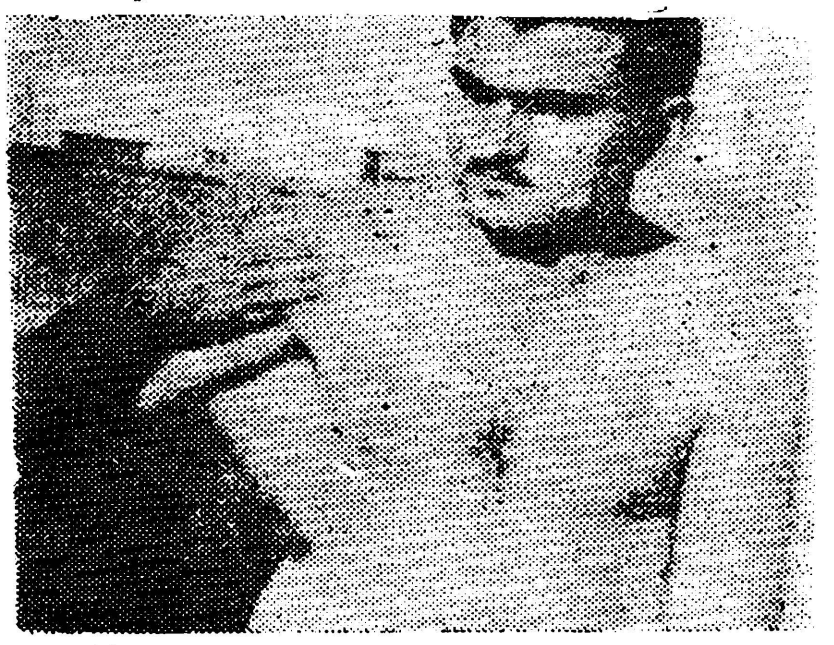
العجن على مساحات كبيرة من الجسم مثل الظهر (Kneading the back)



شكل (٩)

العجن على مساحات كبيرة من الجسم مثل البطن

(Petrissage of skin over abdomen)



شكل (١٠)

التدليك بالفرك (Fiction)



شكل (١١)

التدليك بالفرك للغلاف الداخلى لمفصل الركبة



شكل (١٢)

التدليك بالفرك على طول العمود الفقرى

تأثيراته وفوائده :ـ

١ ـ كما جاء ذلك فى التدليك بالعجن •
٢ ـ يخفض الاورام الحاصلة عند المفاصل •
٣ ـ يزيل المواد الشحمية والسمنة •

٥ ـ التدليك بالقرع أو بالطبطبة Tapotement

يؤدى هذا النوع من التدليك الى تحفيز وانعاش العضلات الضعيفة والتى قد أصابها العناء والجهد العظيم •

طريقة العمل :ـ

يتم العمل فى هذا النوع من التدليك بوساطة رؤوس الاصابع • وهذا يكون على طريقتين • اما ان يكون بمقدمة رؤوس الاصابع او بوساطة راحة اليد الخلفية • وتصدر طبطبة المدلك للعضو المتألم من حركة الرسغ ، وهذه تكون على صورة ضربات متتالية تتدرج بالشدة •

وللتدليك بالقرع او بالطبطبة انواع عديدة وهى كما يلى :

آ ـ الصك بجانب الكف Hacking

يتم هذا النوع من الطبطبة باستعمال الاصابع ، الرابعة والثالثة والثانية ، وذلك بانزالها على سطح الجسم المراد دلكه الواحدة بعد الاخرى على حين تتحرك اليدان بالتناوب مع الانتظام • يجب ان تكون المرافق مثنية قليلا والذراعين فى حالة ارتخاء كما هو موضح بشكل **(١٣)** •

ومن المستحسن ان تكون كل ضربة (Stroke) او دعكة خفيفة ومرنة • واذا اريد بهذا النوع من التدليك من استعمال الشدة والقوة ، فيجب السماح للحافة الزندية لليد والاصبع الرابعة من ان تنزل بحالة اكثر ثقلا على العضو المدلوك •

ب ـ التدليك بصفق الكف Clapping

يتم هذا النوع من الطبطبة باستعمال الكفين او الراحتين والاصابع اللذين يجب ان يكونا مرتخيين خاصة عند الرسغ ، كما هو موضح بشكل

(١٤) • تقوم اليدان بالنزول على سطح الجسم المراد دلكه بالتناوب كما هو الحال فى نوع التدليك السابق (الصك بجانب الكف) •

حـ ـ التدليك بالضرب Beating

يتم هذا النوع من الطبطبة باستعمال اليد وهى مقبوضة قليلا مع حفظ الرسغ راخيا • تنزل اليد برمتهـا على الجزء المقصود من الجسم • ويمكن استخدام يد واحدة او اليدين معا على ان تتحرك اليدان بصورة متفاوتة • ويجب عدم استخدام القوة الا متى تلمس الاصابع الجلد كما هو موضح فى الشكل (١٥) •

د ـ التدليك بحركة مشتركة بين النوع الاول والنوع الثالث Pounding

يتم هذا النوع بانزال اليد كما هو الحال فى التدليك بالصك بجانب الكف (Hacking) سامحة بذلك لحافة اليد الزندية والخنصر ان تلمسا سطح الجسم المراد تدليكه كما هو موضح بالشكل (١٦) •

تأثيراته وفوائده :ـ

١ ـ يسبب تقلص العضلات •

٢ ـ اذا استعمل للاعصاب خاصة الـ (Hacking) فتأثيراته كما يلى :

آ ـ يعتبر عاملا محفزا اذا اجرى بخفة ولمدة قصيرة •

ب ـ يعتبر عاملا مميتا للعصب اذا اجرى بشدة ولمدة طويلة •

حـ ـ يحفز أعصاب العمود الفقرى اذا اجرى العمل على كل جانب منه وبذلك يقوى القلب بطريقة انعكاسية •

د ـ يؤثر فى الاعصاب المحركة للاوعيـة واذا اجرى بخفـة ولمدة قصيرة سبب انقباضا محليا • واذا أدى بقوة ولمدة أطول سبب توسيع الاوعية الدموية •

هـ ـ يؤثر فى الاعصاب المفرزة فيزيد فى وظيفتها •

٣ ـ يزيد فى البناء الجسمى •

٤ ـ يزيل محتويات الانتفاخات •

٥ ـ ان التدليك من نوع (Clapping) مفيد بصورة خاصة لتحفيز الجلد وبذلك يزيد من نشاط الغدد العرقية •

٦ ـ وان التدليك من نوع (Beating) مفيد بصورة خاصة لعضلات الالية الكبيرة •

٦ ـ التدليك بالاهتزاز (Vibration)

يعتبر هذا النوع من التدليك أصعب الانواع ، لأنه يحتاج الى تدريب عضلى من جهة ، والى مقدار من المعرفة والمهارة من جهة ثانية لحذقه وتعلمه •

طريقة العمل :ـ

يتم هذا النوع من التدليك بوضع اليد بخفة على عضلات المريض • يجب أن يكون الرسغ مرتخيا • يقوم المدلك باجراء اهتزازات منتظمة وبصورة متناوبة مسببا بذلك اهتزاز العضو المتألم بغية تحفيز أكبر عدد من الاعصاب لاراحتها وتنشيطها •

والاهتزازات اما ان تكون ثابتة او متنقلة • ففي الاهتزازات الثابتة توضع اليد أو أطرف الاصابع بخفة على الجزء المعين من الجسم حيث يبدأ المدلك باجراء الاهتزازات اللازمة • وهذه الاهتزازات الثابتة اكثر ما تكون مناسبة فى علاج الالتهاب العصبى العضدى ونورالجيا أعصاب الوجه وغيرها • أما الاهتزازات المتنقلة فهى تعطى عادة على طول مسلك الاعصاب ، حيث تلمس أطراف الاصابع سطح الجسم وتتحرك اليد بالطول اثناء قيامها بذلك •

يعتبر المربى الرياضى الصالح لنك (Ling) اول من استخدم هذا النوع من التدليك بطريقة علمية فى بداية القرن التاسع عشر • واتقنت فيما بعد بوساطة آخرين • ويستعملها بعض الاخصائيين السويديين للبطن فى علاج الاسهال •

تأثيراته وفوائده :ـ

١ ـ يزيل الالم •

٢ ـ يستعمل على طول مسلك المجموعة العصبية •

٣ ـ مفيد للكبد •

٤ ـ يسكّن الشرايين الهائجة ويسهل جريان الدم ولذا فهو مريح للقلب •

٥ ـ يستعمل فى بعض حالات الشلل • وهذا تابع الى مشورة الطبيب•

٦ ـ يحفز الاعصاب وينشطها •

طريقة تدليك أقسام خاصة من الجسم

١ ـ تدليك البطن :ـ

يمكن استخدام طرق عديدة من التدليك لهذا الجزء من الجسم البشرى ، ولكن الطريقة الى سنشرحها هى أبسط الطرق وافضلها • يستعمل نوعان مختلفان من انواع الدعكات اليدوية فى هذا النوع من التدليك وهما :

آ ـ العجن (Kneading) من جانب الى آخر •

ب ـ تدليك القولون بالفرك (Colon Friction) كما هو موضح بشكل **(١٧)** وفى حالة التدليك البطنى يستلقى المريض على ظهره مع ثنى ركبتيه لان ذلك يساعد على ارتخاء عضلات البطن • اما المدلك فيجلس او يقف بجانب المريض • يبدأ المدلك عمله من فوق ثوب رقيق اولا اذا كانت يداه باردتين ، وبعد قليل يباشر عمله ملامسا الجسم • وسرعان ما يتوارى الشعور بالزغزغة والنزعة لتقبض عضلات البطن بتكرار ممارسة الشخص لهذا النوع من الدليك والتعود عليه •

ويقوم المدلك عند العجن من جانب الى آخر كما هو مبين بشكل **(١٨)** بوضع يده اليمنى او كلتيهما معا وهما مثنيتان الى الظهر ثنيا قويا على جنب المريض بين عرف الحرقفة والحافة السفلى للصدر ثم يضغط على الحائط البطنى بحيث ينتقل الى أبعد ما يمكن نحو الجانب الآخر • واذا حال انبساط الحائط البطنى دون هذه الحركة الى مدى اوسع ارخى الضغط بالمعاصم فتعود الحائط البطنى ثانية الى ما كانت عليه وتظل اليدان ساكنتين قليلا ثم تنزلق اليدان بخفة على الحائط البطنى الى الناحية الاخرى بينما يكون

المعصمان مثنيين تماما فيضغطان بين العرف الحرقفى والحافة السفلى للصدر ناقلين بذلك الحائط البطنى ومحتويات البطن ثانية الى الجانب القريب ، واذا حدد توتر الحائط البطنى الحركة ارخى الضغط بحيث تعود البطن ثانية الى ما كانت وعند ذلك تنزلق اليدان خلفا الى وضع البداية • ثم تكرر الطريقة برمتها من عشرين الى ثلاثين مرة • ويمكن تدليك البطن برمتها تماما وذلك بتغييرات بسيطة فى اتجاه القبضة •

وعند تدليك القولون بالفرك يضع المدلك أطراف أصابع كلتا اليدين وهى مضمومة معا ومحدودة تماما خارج المصران الاعور ، وبالضبط خارج نقطة على نصف المسافة بين الجزء الايمن الامامى والاعلى من العمود الفقرى الحرقفى وبين السّرة • يطلب من المريض بأن يقوم بزفير عميق ، بينما تضغط الاصابع ، فى الوقت نفسه ، بحيث تضغط الامعاء بين الحوائط البطنية الامامية والخلفية • وفى هذا الوضع تدلك بالفرك ويحرك فيها الحائط البطنى الامامى باليد وأطراف الاصابع كما هو مبين بشكل (١٧) •

ويجب أن نعير حركة الحائط الامامى البطنى اهتماما واعتبارا ، فينبغى للمدلك ان يبدأ بالتدليك كل سنتيمتر مربع يمكن الوصول اليه من الامعاء الموجودة تحتها قبل ان تتحرك اليد أية مسافة الى أسفل فى اتجاه الامعاء وهناك تكرر نفس الطريقة • وبهذه الطريقة يتسنى تدليك جميع الاجزاء السهلة الوصول اليها من الامعاء الغليظة مبتدئين بالمصران الاعور ثم نتجه أسفل نحو الجزء الاسفل من الامعاء الغليظة •

ولتدليك البطن آثار هامة من وجهات عديدة على جميع اعضاء الجسم وهى :

١ ـ يحدث العجن من جانب الى آخر سلسلة تغييرات بين ضغط مزايد ومتناقض فى التجويف البطنى وهذا يعمل بمثابة مضخة على محتويات الاوعية الدموية وخاصة الاوردة والشعريات ، بحيث يزيد دوران الدم فى الجهاز البابى (نظام الاوردة الجامعة للدم) فيترتب على ذلك تحسين فى وظائف أعضاء الجسم •

٢ ـ يحدث تنبيه آلي لحوائط القناة الهضمية وخاصة للامعاء الدقيقة

والذى يسبب ازديادا فى نشاط غدد الغشـاء المخاطى يصحبه تحسين فى الهضم •

٣ ـ تتأثر العضـلة غير المخططة بالتنبيه الآلى فتنقبض مسببة بذلك نشاطا اكثر فى الحركة اللولبية الخاصة بالامعاء مع حركة أسرع لمحتوياتها •

٤ ـ لتدليك القولون بالفرك تأثير عظيم فى تفتيت المواد الالتهابيـة التى فى الغشاء المخاطى وكذا فى زيادة امتصاصها • وهو لذلك ذو قيمة فى علاج الالتهاب المزمن للامعاء الغليظة •

٥ ـ يدفع تدليك القولون بالفرك محتويات الامعاء الى حد ما وهذا له قيمته وخاصة فى تشجيع المريض من حيث فاعلية العلاج •

٦ ـ ان التدليك الـكامل للبطن يزيد عدد كريات الدم الحمـراء والبيضاء حسب الاعتقاد السائد •

الحالات التى لا ينبغى تدليك البطن معها :

١ ـ الحمل ـ فهو يتطلب حرصا شديدا عند عمل التدليك البطنى ، ويجب ألا يعطى الا بناء على أمر خاص للطبيب الذى يباشر المريضة •

٢ ـ لا يسمح باستخدام هـذا النوع مـن التدليك فى حالة وجود الاكياس المبيضية عند السيدات نظرا لخطورة تعرضها للتمزق فضلا عن ان التدليك فى هذه الحالة قد يسبب تهيجا وازديادا فى تكوين الاجزاء الملتصقة بعضها ببعض التصاقا غير طبيعى بحيث يجعل أية عملية جراحية تأتى بعد ذلك عسيرة •

٣ ـ جميع الحالات الالتهابية الحادة فى التجاويف البطنية والحوضية او ما يجاورهـا مباشرة مثـل التهـاب الزائدة الدوديـة (Appendicitis) والتهاب الرحم •

٤ ـ التغييرات المرضية فى الـكلى والقنوات البولية وخاصة الحصاة والورم والتدرن واستسقاء الـكلية (Hydronephrosis) •

٥ ـ يستلزم وجود الحصوات الصفراوية حيطة كبيرة عند مباشرة تدليك البطن فيجب أن يتفادى المدلك المـكان الذى توجد فيه المرارة •

٦ ـ فى حالتى الالتهاب الحاد والتقرح فى القناة الهضمية •

٧ ـ لا يحول وجود الفتق عند المريض دون تدليكه على شرط ان يوضع الفتق فى مكانه قبل البدء فى التدليك • اما اذا كان من الصعب وضع الفتق فى مكانه فى التجويف البطنى فالتدليك فى هذه الحال يجب أن يوقف•

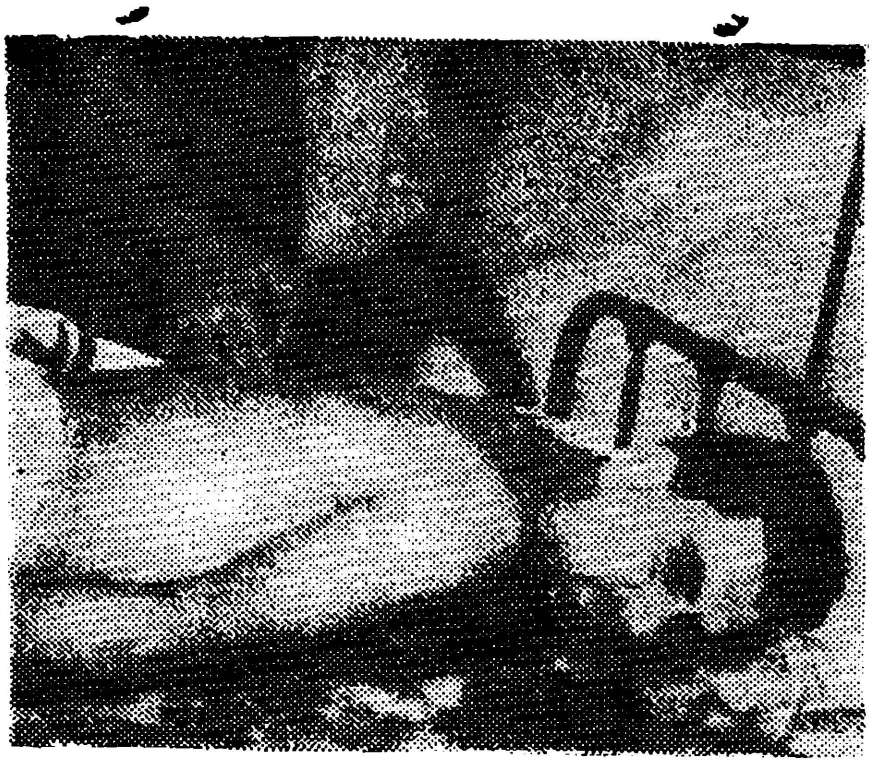
٨ ـ ينبغى ألا يطى التدليك البطنى فى حالة ما اذا كان ضغط الدم عاليا ، كما هو الحال فى حالة تصلب الشرايين والنزف الحديث فى المخ او فى الرئتين أو الاعضاء الاخرى وفى حالة الانوريزم (Aneurysm) (الورم الوعائى) •

٢ ـ تدليك الرقبة :ـ

يمكن استخدام طرق عديدة لتدليك الرقبة الا ان الطريقة التالية هى أفضلها جميعا •

يجلس الشخص ويسند ظهره الى كرسى اعتيادى مع ترك الرقبة والكتفين عاريين بينما يستند الرأس على صدر المدلك الواقف خلفا بحيث يكون الجزء الامامى من الرقبة مرتخيا وحتى لا يكون هناك أى أثر للتوتر فى العضلة القصبية الترقوية (Sterno Mastoid Muscle) • ويضع المدلك يديه بحيث تكون أطراف الاصابع مضمومة معا تحت الذقن مع جعل حافة اليد الزندية والخنصر بطول حافة الفك الاسفل كما هو موضح بشكل (١٩) وبضغط خفيف هادىء تنقل اليدان وهما محبوكتان على الرقبة الى أسفل نحو عظم الترقوة وفى أثناء تأدية ذلك تدار اليدان بحيث تكون راحتاهما اللتان تلمسان الرقبة اولا بينما تكون حافتاهما الكعبريتان هما اللتين تلمسانها فى النهاية • وينتهى التدليك بأن تكون السبابة ضاغطة خلف عظم الترقوة كما هو مبين بشكل (٢٠) •

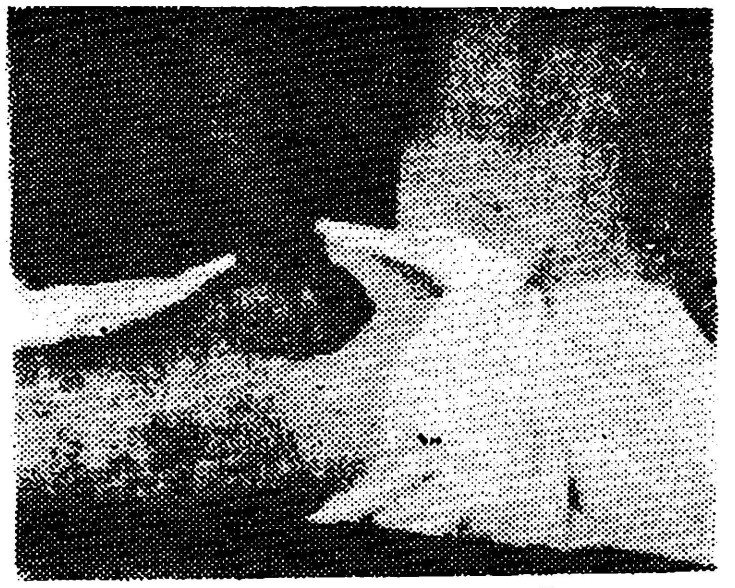
وتدليك الرقبة من أقوى العوامل التى تساعد على تنشيط دورة الدم فى أوردة الرقبة ولهذا السبب يستعمل فى علاج الغشاء المخاطى للبلعوم والقصبة الهوائية وكذا فى حالة احتقان المخ كما تسهل الشفاء فى حالة حدوث اصابات الرأس •



شكل (١٣)
التدليك بالصك بجانب الـكف (Hacking)



شكل (١٤)
التدليك بصفق الـكف على الفخذ (Clapping on the thigh)



شكل (١٥)
التدليك بالدق بنصف قبضة اليد على عضلات الحرقفة
(Beating on hip muscles)



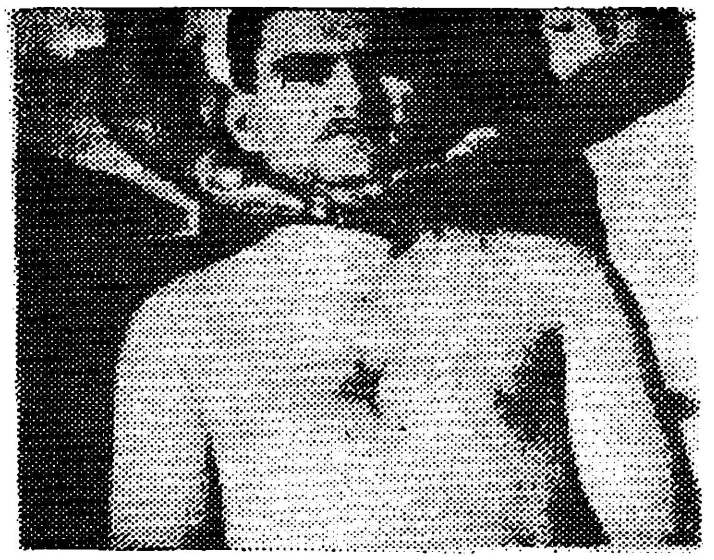
شكل (١٦)
التدليك بحركة خليط بين الصك بجانب الكف والدق بنصف قبضة اليد
(poundig)



شكل (١٧)
تدليك القولون بالفرك (Colon Friction)

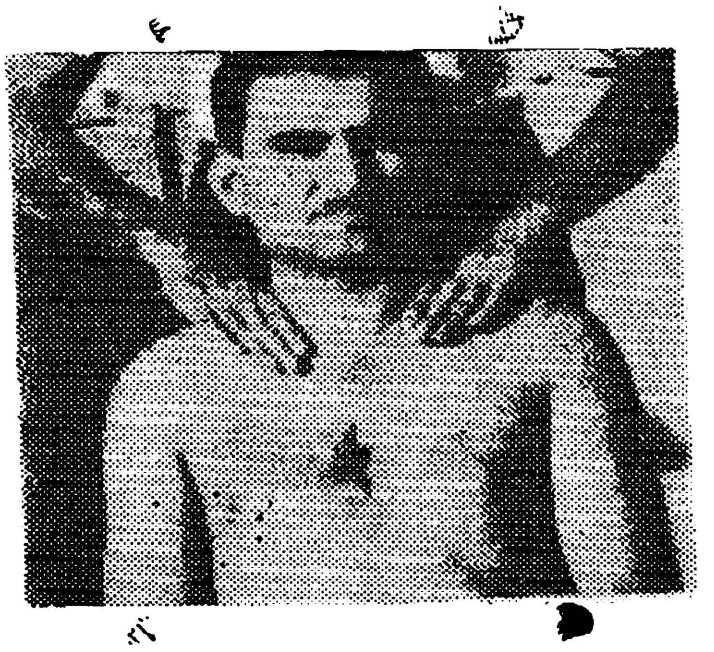


شكل (١٨)
التدليك بالعجن من جانب الى جانب (Large kneading from side of side)



شكل (١٩)

تدليك الرقبة وهى وضعية البداية



شكل (٢٠)

تدليك الرقبة وهى وضعية النهاية

٣ ـ التدليك العام :ـ

يشمل التدليك العام ، الجسم برمته ما عدا الرأس والوجه •

الوضع الذى يجب أن يكون فيه الشخص :ـ

يستلقى الشخص على ظهره فى مضجع التدليك مع رفع الرأس والكتفين على وسادة •

الزمن :ـ من أربعين دقيقة الى خمس وسبعين دقيقة •

آ ـ تمرين نفس مثال ذلك الدعك الخفيف براحة اليد مع رفع الصدر بالشهيق مع أربع الى ست مرات • ثم بعض او كل الحركات التالية لكل جزء من أجزاء الجسم •

ب ـ الرجلان من (١٠ـ١٥) دقيقة لكل واحدة منهما •

القدم ـ الدعك الخفيف براحة اليد (Effleurage) ، عجن دائرى (Kneading) ، تدليك بالفرك (Friction) ، تدليك بالصك بجانب الكف (Hacking) ، تدليك بصفق الكف (Clapping) • ثم حركات يقوم بها المدلك للشخص فى أصابع القدم ومفاصل الرسغ •

الساق ـ دعك خفيف براحة اليد ، عجن دائرى ، عجن عام (Petrissage) عجن تناوبى بكلتا اليدين (Wringing) ، تدليك بالصك بجانب الكف ثم تدليك بصفق الكف •

مفصل الركبة ـ دعك خفيف براحة اليد ، ثم تدليك بالفرك •

الفخذ ـ دعك خفيف براحة اليد ـ عجن عام ـ عجن دائرى بكلتا اليدين ـ تدليك بالصك بجانب الكف ثم تدليك بصفق الكف •

دعك خفيف براحة اليد مع الرسغ الى مفصل الفخذ • تحريك الركبة ومفصل الفخذ بواسطة المدلك •

حـ ـ الذراعان ـ من (٥ ـ ٨ دقائق) لكل ذراع •

اليد ـ دعك خفيف براحة اليد ـ عجن دائرى ثم تدليك بالفرك •

الذراع ـ دعك خفيف براحة اليد من الرسغ الى الكتف باحدى اليدين او كلتيما وعجن عام لجميع المجموعات العضلية • عجن من الكتف

الى المعصم ـ تدليك بالصك بجانب الكف ثم تدليك بصفق الكف •
تحريك الاصابع والمعصم والمرفق والكتف بواسطة المدلك •
د ـ الظهر ـ من (٥ ـ ١٠ دقائق) •
الوضع ـ ينبطح الشخص على وجهه •
من الوسط الى الابط وفوق العضلة المربعة المنحرفة (Trapezius)
دعك خفيف براحة اليد ـ عجن دائرى ـ تدليك بالفرك ـ تدليك بالصك بجانب الكف ثم تدليك بصفق الكف •
الاقسام القطنية والاليية ـ دعك خفيف براحة اليد ـ عجن دائرى ـ تدليك بالفرك ـ تدليك بالصك بجانب الكف ثم تدليك بصفق الكف •
هـ ـ الصدر ـ من (٣ ـ ٦) دقائق •
الوضع ـ يستلقى الشخص على ظهره •
دعك خفيف براحة اليد ـ تدليك بالفرك ـ عجن عام للعضلات الصدرية ثم تدليك بالصك بجانب الكف •
و ـ البطن ـ من (٥ ـ ١٥) دقيقة •
دعك خفيف براحة اليد فى اتجاه بعيد عن القلب ـ عجن بالعرض ودائرى ـ دعك خفيف وتدليك بالفرك للقولون ثم دعك خفيف جانبى قطنى •

الحالات التى لا ينبغى معها التدليك :

١ ـ فى حالة ارتفاع درجة حرارة الجسم فوق ١٠٠ درجة ف •
٢ ـ فى حالة تمدد الاوردة الحاد والتهاب الوريد والتهاب الاوعية اللمفاوية وخثور الدم والسرطان والاورام وتدرن العظام والتهاب نخاعها •
٣ ـ فى حالة الحروق والحمرة والطفح الزهرى •
٤ ـ فى حالة امراض الاوعية الدموية •

٤ ـ تدليك الوجه :ـ

يفيد تدليك الوجه دوران الدم والتغذية فى الانسجة • ويساعد على توزيع الشحم تحت الجلد وبذا يزيل التجعدات ، كما وانه يفيد الاعصاب •

ويستعمل للاراحة من الالم العصبى (نورالجيـا) والالتهاب العصبى وللشلل فى حالة العصب الجمجمى السابع •

الوضع ـ اذا كان المريض جالسا مستندا بظهره ورأسه ، فان المدلك فى هذه الحالة يقف الى جانبه •

الزمن ـ من (١٠ـ٢٠) دقيقة •

انواع الدعكات اليدوية التى تستعمل

دعك خفيف براحة اليد :

آ ـ ويكون ذلك بتحريك الابهامين على الجبهة متجهين نحو قنطرة الانف •

ب ـ على جانب الوجه بيد واحدة •

حـ ـ على الوجنتين مبتدءا التدليك بالابهامين موضوعين على كل جانب من جانبى الانف •

د ـ بالابهامين مارين فوق الاعصاب العقلية •

دعك خفيف ملطف براحة اليد فى اتجاه بعيد عن القلب واهتزازات وتدليك بالفرك على جميع الاعصاب المذكورة آنفا • دعك خفيف مسكّن براحة اليد على الوجه بأكمله •

وفى حالة شلل الوجه يجب أن تعطى عناية خاصة الى الجانب المصاب فيدعك دعكا خفيفا ملطفا براحة اليد كما ذكر آنفا مع بعض الدعكات اليدوية الاخرى لما لها من أثر منبه كالعجن اليدوى والتدليك بالفرك والاهتزازات والتدليك بالصك بجانب الـكف على جميع المساحة المصابة •

ينصح عدم اجراء تدليك الوجه فى الحالات التالية :

١ ـ عند حدوث الزكام •

٢ ـ عندما تكون الغدد منتفخة •

٣ ـ فى أية حالة يكون فيها التهاب •

٥ ـ تدليك الرأس :

يستعمل تدليك الرأس فى علاج الروماتزم ، فهو يساعد على تفتيت المواد الالتهابية فى فروة الرأس وبذا يسكّن ألمها الذى هو من أصل روماتزمى ويعمل أحيانا للاراحة مع شعور بثقل فى الرأس فى حالة النوراستينيا •

الوضع ـ يجلس المريض مع سند الظهر دون الرأس بينما يقف المدلك اماما أو الى الجانب كما يجب أن يكون الشعر منفوشا •

أنواع الدعكات اليدوية التى تستعمل

١ ـ دعك خفيف براحة اليد فى اتجاه بعيد عن القلب • تكون يد المدلك فى هذه الحالة كالمخلب فتتخلل أصابعه شعر الرأس كما ينبغى أن يشعر المريض بأطراف أصابع المدلك فى فروة رأسه بدون احداث أى حك كما يرفع الشعر خلفا فى نهاية كل دعكة • تكرر هذه الحركة بين كل من الدعكات الاخرى التالية •

الزمن ـ (١ـ٢) دقيقة •

٢ ـ تدليك خفيف بالصك بجانب الكف • وفى هذه الحالة ينبغى أن يفرق الشعر من الوسط وتتبع الايدى طريق الفرق الذى فى الرأس على كلا الجانبين بل وتمتد فتشمل حول خلف الرأس والى الجانبين فوق الاذنين ثم خلفا الى نقطة البدء •

يكرر ذلك مع مراعاة ابعاد اليدين عن بعضهما قليلا كل مرة حتى يشمل التدليك سطح الرأس برمته •

الزمن ـ (١ـ٢) دقيقة •

٣ ـ التدليك بالفرك وهو أهم انواع الدعكات اليدوية • وفى هذه الحالة يسند المدلك رأس المريض على صدره مع وقوفه الى الجانب ويؤدى

هذا النوع من التدليك بأطراف الاصابع على فروة الرأس • ومن المهم تحريك الانسجة فى كل دعكة •

الزمن – (١٠–١٥) دقيقة •

٤ – دعك خفيف منبه براحة اليد (Combing) تكون يدا المدلك فى هذه الحالة على النحو الذى سبق وصفه فى الفقرة (١) غير أن اليدين هنا يجب ان تقوما بحركة أنشط وأخف كما ينبغى أن يراعى تماما عدم شد شعر الشخص •

الزمن – (١–٢) دقيقة •

٥ – الاهتزازات : وتعمل هذه اما بيد واحدة او بكلتا اليدين موضوعتين على رأس الشخص بينما يقف المدلك اما خلف الشخص او امامه •

الزمن – (٢–٣) دقيقة •

٦ – امرار اليدين بخفة فوق الرأس • ويكون ذلك بامرار اليدين بالتناوب وبخفة فوق الرأس بحيث تمسان الشعر مسا خفيفا ، ويمكن مواصلة هذه الحركة الى أسفل حتى الكتفين وهى حركة ملطفة مهدئة جدا وذات فائدة فى علاج الارق •

الزمن – (١–٤) دقيقة •

اذاً فمعرفة المعلومات الحقيقية عن أصل التدليك وأسسه ضرورية للرياضى بدرجة كبيرة لاستخدامه فى أى نوع من انواع الرياضة ، لانه يخفف ألم الصداع ويمنع من حدوث الرضوض بصورة خاصة والكسر • ولذلك نحث جميع مدرسى الرياضة وغيرهم على مطالعة هذا الموضوع وممارسته بصورة يستطيعون معه الاستفادة منه وتطبيق ذلك فى جميع الحالات المرضية وغير المرضية او بعد التدريب الشديد بكل مهارة على طلابهم

وحملهم على حذق وتعلم جميع الحركات اليدوية الظاهرة والمتعلقة بالتدليك بدقة للاستفادة منه واستعماله فى حياتهم الرياضية وغير الرياضية بغيـــة المحافظة على قوامهم وسلامة اجسامهم وحفظها جيدة متناسقة حتى تكفل لهم التقدم والنجاح فى الاعمال الرياضية السنوية •

مصادر البحث :

1— Thomas D. Luke. Massage & swedish gymnastic.

2— M. g. Morgan. Text book of Athletic Training.

3— Albert J. Baumgartner. Massage in Athletics.

الفهم المنطقي للقرآن الكريم

الدكتور صالح الشماع

— ١ —

العربية هي هدية القرآن • هـــذا قول يصدق في اكثر من معنى واحد ، وأحد هذه المعاني هو ان القرآن أول كتاب في العربية ، كما انه ظل منذ نزل به الوحي الى اليوم تقريبا أكثر الـكتب تداولا وتعرضا للشرح والتعليق • وقد اخرج لنا المسلمون في عصورهم الزاهرة كتبا في التفسير وفي علوم القرآن الاخرى فيها كثير من الغناء والخير لمن ينظر فيها • الا انه رغم كثرة الـكتب الممتازة التي كتبت عن القرآن في العربية أو في غيرها من اللغات الاسلامية ، فقد ظل هذا الـكتاب الـكريم مثارا للعلماء وحافزا على التأمل والحيرة •

هذا الخصب والخير العميم اللذان نجدهما في القرآن لم يثيرا دهشة المسلمين من حيث ايمانهم برسالة القرآن وقدسيته ، بل هما اثارا دهشة المستشرقين أيضا • وأول كتاب ممتاز يمكننا ذكره في هذا الصدد هو كتاب « تاريخ القرآن »[١] للمستشرق الالماني المشهور نلدكة ، والذي نشره سنة ١٨٦٠[٢] • ومنذ هذا التاريخ أخذت دراسة القرآن الـكريم تأخذ طابعا علميا في الغرب ، ومع كثرة الـكتب التي اخرجت في اللغات الغربية عن القرآن فلا يزال المستشرقون يشعرون بحيرة شبيهة بحيرة المسلمين ازاء القـــرآن •

وقد تسنى لـكاتب هذه السطور ان يتوفر على موضوع « المذهب الفلسفي الاخلاقي في القرآن » عند تحضيره لرسالة الدكتوراه[٣] ، ومع

---

(١) Geschichte des Qorans

(٢) وقد ظهرت طبعة ثانية للـكتاب موسعة عاون على اخراجها تلميذ وصديق نلدكه شفالى ، في جزءين ونشرت سنة ١٩٠٩ •

(٣) نشرت هذه الرسالة حديثا بعنوانها الاصلي وهو :
The Ethical System Underlying The Qur'an, Tuebingen, 1959.

ان الفلسفة الاخلاقية ليست الا واحدة من النوافذ التى يطل منها القرآن الكريم علينا ، فان هذه الدراسة الاخلاقية متصلة دون شك بكثير من المشاكل والموضوعات الاخرى التى يثيرها النظر فى القرآن ، ومن جملة هذه الموضوعات هو موضوع المقال هذا ـ أى الفهم المنطقى للقرآن •

حينما نصف الفهم بانه منطقى فاننا نعنى بذلك الفهم السليم • الا ان الوصف « منطقى » هو نسبة الى علم كبير الاهمية هو علم المنطق • وبالتالى فالفهم المنطقى هو الفهم السليم والجارى حسب قواعد المنطق ومبادئه أو قوانينه • وهنا لا بأس من الاشارة الى المعنيين الرئيسيين لعلم المنطق ، كيما نعلم حدود هذا الفهم السليم •

هناك المنطق العام[1] أو المنطق الصورى وهو يبحث فى اعم قوانين الفكر ـ أى القوانين والقواعد التى يسير بموجبها العقل البشرى ومن دونها يصبح أى تفكير مستحيلا وغير ممكن • وهناك المنطق الخاص وهو مجموع المناهج التى تتبعها العلوم الخاصة فى ابحاثها ، ذلك ان الفكر هو حد مشترك يستعمله كل باحث عندما ينظر فى الموضوعات التى بين يديه • وبالتالى كان واجب المنطق لا أن يدرس أعم القواعد التى يتبعها الفكر فحسب وانما عليه ان يدرس أيضا القواعد الخاصة التى يستعملها عند بحثه فى العلوم واحدا واحدا •

هذان النوعان من المنطق هما فى الحقيقة والواقع تعبيران عن منهجين أساسيين للفكر البشرى : المنهج الاول هو ما يمكن أن نسميه بمنهج الاتساق الداخلى والمنهج الآخر هو ما يمكن ان نسميه بمنهج الاتساق الخارجى • قوانين المنطق العام هى التى تعلمنا كيف تتسق المعانى فيما بينها ، وقوانين

---

(١) للمؤلف كتاب عن المنطق قدم جزءا منه الى المطبعة ؛ ولا بأس ان نذكر أن المسلمين قد عرفوا شيئا عن المنطق وذلك بدراستهم لكتب اليونان ، وكانت معرفتهم على الاخص بالمنطق الصورى أو العام ، لكن العلوم الاسلامية الخاصة قد تكونت لها مناهج بالتدريج وقد تعينت هذه المناهج وبالتالى أصبحت جزءا أيضا من علم المنطق •

المنطق الخاص هى التى تعلمنا كيف تتسق المعانى مع واقع الحال أو مع ما يمكن ان يتحقق فى الواقع •

هكذا نحن حين نريد ان ننظر فى القرآن الكريم نستطيع ان نفهمه بصورتين أساسيتين : بمنهج الاتساق الداخلى نعمل على مقارنة أقوال القرآن بعضها بالبعض الآخر بحيث نتبين الى أى حد تتفق هذه الاقوال فيما بينها وكيف يؤيد بعضها البعض الآخر • وبمنهج الاتساق الخارجى نعمل على مقارنة ما فى القرآن بما هو موجود فى الخارج أو بما يمكن وجوده فى الخارج : فاذا كان الامر متصلا بمسألة تاريخية نستطيع ان ندرس الوثائق التاريخية المتوفرة لنا ومن ذلك ننتهى الى تأييد أو تأويل ما فى القرآن ؛ الا انه من ناحية أخرى اذا كان الامر متصلا بنظام اجتماعى أو قاعدة أخلاقية فان المقارنة اما ان تأخذ صورة المقارنة الموضوعية التى وجدناها فى حالة الوقائع التاريخية أو انها تأخذ صورة أخرى هى تبيننا الى أى حد مثلا يمكن النفس البشرية ، الفردية أو الاجتماعية ، التكيف لهذه القاعدة أو تقبل الغرض الذى فى هذه القاعدة وتستفيد منه •

لكن المنطق ، بشكله العام والخاص ، هو مجموعة قواعد متيسرة للعقل البشرى ، وبمعنى ما لا يمكن العقل أن يحيط أساسا الا بكل ما هو انسانى • أما والقرآن الكريم هو كتاب الهى جاء به الوحى بصورة اعجازية وانزله بصورة فريدة على النبى محمد (ص) ، فكيف يسعنا ان نقول اذن ان القرآن يخضع لقواعد العقل البشرى ؟ أليس الاحرى ـ كما يمكن ان يكون هو رأى القرآن نفسه ـ ان يخضع العقل لما يأمر به القرآن ؟ ألسنا نجد فى الاسراء (الآيات : ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨) :

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا • ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا • قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا • » أو لسنا نتعلم ، من جملة ما نتعلمه فى هذه الآيات الكريمة ، ان الوحى أعلى من العقل ؟ ثم أليس القرآن نفسه يقرر ضعف الانسان وعجزه المتأصل فيه بالخلقة والطبيعة :

(النساء : ٢٨) « يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا » ؟
(المعارج : ١٩) « ان الانسان خلق هلوعا ! » ؟

— ٢ —

هذه الاسئلة التى اثيرت اعلاه على وجاهتها ، الا اننا نعلم من الناحية الاخرى ان القرآن نزل « بلسان عربى مبين » ، وانه ما عدا أمثلة قليلة[١] ، فان كل ما فى الكتاب الكريم معروض للانسان لكى يفهمه بعقله — أو ليتذوقه بحدسه ووجدانه[٢] • صحيح ان القرآن يطلب الى الناس ان يؤمنوا به وبما يتضمنه من دعوة • والايمان — سواءاً أكان ايماناً بدين من الاديان أم أى ايمان آخر — فى احد مظاهره ، هو حالة نفسية ومجرد قبول أو موافقة من دون اعمال عقل أو استعمال حجة أو برهان • لكن هذا القبول المباشر ليس هو كل شىء فى الايمان ، اذ قد يحصل الايمان أيضا نتيجة اعمال عقل واستعمال حجة أيضا ؟ أو ربما يصح ان نقول ان الايمان الذى هو أساسا ثقة القلب أو البصيرة أو الحدس يقوى كثيرا بتعاونه مع حجة العقل • والقرآن لا يدعو قارئه أو سامعه الى الايمان به فحسب وانما هو يستثير عنده اعمال العقل أيضا ، ففى الذاريات نقرأ « وفى الارض آيات للمؤمنين • وفى انفسكم أفلا تبصرون » (٢٠ — ٢١) •

لقد كانت عادة المعلم الاول « ارسطو » ان يبدأ ابحاثه بذكر عدد من الصعوبات أو الاشكالات ، ثم يأخذ فى ثنايا البحث بحل هذه الاشكالات واحدا واحدا • فهل يا ترى ان صعوبات القرآن الكريم هى من هذا النوع القابل للحل فى نهاية الامر ؟ ان كل ما يستطيع العقل البشرى ان

---

(١) كالحروف التى فى اوائل بعض السور مثل : « أ ل م » و « ط س » • كما ان المتشابهات مدعاة كثير من الجدل أيضا • انظر مثلا ما يحكيه ابن قتيبة (فى القرن الثالث الهجرى) عن الطاعنين فى القرآن الكريم ورده عليهم فى كتابه « تأويل مشكل القرآن » ص ١٩ — ص ٦١ ، وانظر ما يقوله فى التشابه أيضا — الكتاب نفسه ص ٦٢ — ص ٧٥ •

(٢) العقل هو اداة المعرفة — ومع انه اداة رئيسية فى تحصيل المعرفة الا انه ليس الاداة الوحيدة ، فالى جنبه يقوم الحدس والحس كاداتين اخريين أيضا •

يحله وينتهى فيه برأى قاطع جازم يمكننا ان نسميه اشكالا فى مرحلة بدائية من البحث • أما ما لا يستطيع العقل ان يحله حتى وان كان ذلك فى مرحلة متأخرة من البحث فهو ليس اشكالا وانما هو لغز • هكذا يمكننا القول اجمالا ان القرآن الكريم من حيث هو كتاب دينى ومن حيث هو منزل الى الناس فمن الطبيعى ـ والواقع ـ ان فيه الغازاً وفيه اشكالات •

ان الالغاز التى فى القرآن الكريم هى كل ما يتصل بالعالم الآخر وكيفية الخلق الاول ـ من لا شىء ـ وكل ما يتصل بمسائل الغيب والمعجزات أو الخوارق للعادة ، ومن هذا القبيل أيضا ظاهرة الوحى والنبوة وافعال الله وحكمته • وربما يدخل فى هذه الطائفة تلك الصعوبات اللغوية حول بعض الاستعمالات الخاصة بألفاظ أو تعابير معينة • والحروف التى سبق ذكرها فى فواتح بعض السور • وحين نقول ان هذه الامور هى من باب الالغاز والمعميات ، فلا نعنى ان ظاهر اللفظ غير مفهوم : ذلك ان أوصاف الشقاء والنعيم فى العالم الآخر واضحة دون شك ويمكن تخيلها وتصورها ، انما اللغز هو كيفية النشور مثلا ، أى كيفية ظهور الموتى وبعثهم من قبورهم وهذه ظاهرة يعجز العقل البشرى أو الحس البشرى عن تعليلها •

لكن الى جانب هذه الالغاز هناك ما سميناه قبل قليل باسم الصعوبات أو الاشكالات وهذه الغاز وقتية يمكن الانسان بعد الاجتهاد والتوفر على البحث ان يحلها أو يقارب حلها • وفيما يلى أمثلة على هذه الاشكالات :

١ـ الناسخ والمنسوخ ؛ ٢ـ أسباب النزول ـ أى الظروف التاريخية التى احاطت بنزول الآيات أو تسببت فى انزالها ؛ ٣ـ الالفاظ ذات الاصل الغريب من مثل : « قرطاس » أو الالفاظ الغريبة فى معناها كالمعنى الدينى المتضمن فى لفظ مثل : « الزكاة » ؛ ٤ـ مشكلة الجبر والاختيار ـ أى هل الانسان حر أو مقيد فى تصرفاته ؛ ٥ـ مشكلة تعميم المعنى ـ أى اذا نزلت آية كريمة بخصوص حادثة جزئية أو شخص معين فالى أى حد يجوز للانسان ان يعد الحكم المتضمن فى هذه الآية مقصورا على هذا الشخص

وحده أو تلك الحادثة وحدها وهل يجوز تعميم الحكم بحيث يشمل الانسانية جمعاء ويشمل انات الزمن كلها ؟ ٦ـ ويتصل بمشكلة تعميم المعنى مشكلة أخرى هى الفهم الخاص للقرآن فى كل زمان أو مكان ؟ ٧ـ ويتصل بالمشكلتين (٥ و٦) مسألة الروابط بين القرآن وبين ظروف العرب العقلية والاجتماعية عند نزول القرآن الكريم والروابط بين القرآن وبين الظروف العقلية والاجتماعية للحضارات والمجتمعات التى احاطت ببلاد العرب عند نزول القرآن ـ وبالتالى مشكلة أو مشكلات الدراسات المقارنة بين القرآن وكتب الاديان والثقافات الاخرى السابقة والمعاصرة لزمن القرآن •

هذه اشكالات لم نقصد بها الحصر بل التمثيل فى عجالة كهذه • وقبل الانتقال من مسألة الالغاز والاشكالات لا بأس من التنبيه الى ان ما يعد لغزاً غير قابل للحل فى زمن من الازمان أو بالنسبة الى عالم من العلماء قد يكون مجرد اشكال فى زمن آخر عندما تتوفر المعارف الكافية أو عندما يتوفر العقل الذكى • وبنفس الصورة ما يعده البعض من العلماء انه من باب الاشكال بحيث ان نتيجة البحث تؤدى الى ازالة الغموض الذى فيه قد يعود فيصبح اشكالا من جديد بالنسبة الى عالم لا حق أو ربما يصبح لغزا مستحيلا على الفهم بالنسبة الى آخرين • الا ان هذا التنبيه هو أقرب الى ان يكون من بديهيات البحث ، لانه ما من نظرية يمكن القول مقدما انه سوف يكتب لها الخلود ، وحتى بديهيات اقليدس التى جرى عرف اهل الرياضة مدة تزيد عن الفى عام عدها أمورا ثابتة تغيرت نظرتنا بخصوصها عندما ظهرت هندسات أخرى ، أى حينما ظهرت مذاهب هندسية أخرى ، تتخذ كقاعدة لها بديهيات واوليات تختلف عن تلك التى افترضها اقليدس •

وأخيرا لنختم المقال بذكر أمثلة قليلة على مسألة الفهم المنطقى للقرآن •

ـ ٣ ـ

ذكرنا أعلاه ان مسائل الغيب والاقوال التى تتحدث عن أمور الدين تظهر للعقل فى صورة الغاز ، من حيث انه لا يمكن تقديم تعليل عقلى لها ، فالنشر من القبر أو الحشر يو الحساب هى أمور يعجز العقل أو الحس عن

الاتيان بما يؤيدها • الا انه من ناحية أخرى يسع العقل ان يطبق منهجه الاول ـ بخصوص الاتساق الداخلى ـ فى حالة كثير من هذه الاقوال التى تحدث عن الغيب • هكذا يلتئم مع منهج الاتساق الداخلى ان يكون الحديث عن أهل الجنة فى صورة تصورهم فى حالة رضى وسعادة وان يكون أهل الجحيم اشقياء تعسين • فى حين لو جاز التحدث مثلا عن الاولين بالفاظ تعبر عن الشقاء وعن الآخرين بالفاظ تنم على الطمأنينة ، اذن يسعنا القول : « ههنا تناقض ! » و « هنالك خلف ! » ولو قيل عن المحسنين ما يشبه الكلام الذى يقال عن المفسدين أو قيل عن المفسدين كلام يشبه ذلك الذى يضفى على الاخيار ، اذن لقلنا مرة أخرى : « ههنا عدم اتساق داخلى ! » •

كذلك معروف لكل من يقرأ القرآن من احدى دفتيه الى الاخرى ان هناك فكرة أساسية هى توحيد الله لم يعرها توقف أو تغير ـ وليس هذا رأى المسلمين فحسب وانما هو اجماع المستشرقين أيضا • وفى هذه الحالة لو فرضنا جدلا ان الزعم القائل بصحة قصة الغرانيق كان صادقا اذن لم يكن فى الامكان ان تبقى فكرة الوحدانية بمثل هذا النقاء الذى تتجلى به الآن • تقول الرواية ان الرسول (ص) بعد ان وجد من عنت قريش واعراضهم عنه ما وجد طلب الى ربه ان يوفق بينه وبينهم ، وتستمر الرواية فتقرر انه نزل بعد هذين الآيتين من سورة النجم (١٩ و ٢٠) : « افرأيتم اللات والعزى • ومناة الثالثة الاخرى » وهؤلاء كن من اوثان العرب قبل الاسلام وكان الاعتقاد انهن بنات الله وانهن يقربن الى الله ويتشفعن لديه ، تقول الرواية انه بعد هذين الآيتين القى الشيطان ما يأتى : « تلك الغرانيق[1] العلى • وان شفاعتهن لترتجى ! » وتقول الرواية الاسلامية ان الرسول سرعان ما تنبه الى همس الشيطان ثم انزل الله عقب : « افرأيتم اللات والعزى • ومناة الثالثة الاخرى » ما يأتى : « ألكم الذكر وله الانثى ؟ تلك اذن قسمة ضيزى ! ان هى الا أسماء سميتموها أنتم واباؤكم ما انزل الله بها

---

(١) الغرانيق جمع مفرده غرنيق وهو طائر مائى • ويطلق اللفظ مجازا ليعبر عن الشباب الغض •

من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى . » (النجم : ٢١ ـ ٢٣) .

وواضح ان هذه الآيات الثلاثة تنقض قصة الغرانيق وتدحض امكان شفاعة اوثان الجاهلية عند الله ، اذ لو صح الامر لانتفت مسألة التوحيد أولا ثم لم يكن هناك داع قوى الى تبديل عقائد الوثنية الى الاسلام ثانيا[1] .

هكذا نحن نستفيد من منهج الاتساق الداخلى فى فهم أقوال دينية أو غيبية رغم انها أقوال من المستحيل ان نعقلها بحسب منهج الاتساق أو التطابق الخارجى ، أى انه ليس ممكنا لنا ان نثبت وجود الله بصورة مماثلة مثلا لاثبات وجود المادة فى مختبر الكيمياء . الا ان تطبيق منهج الاتساق الداخلى على بعض أفكار دينية كالامثلة الآنفة الذكر لا ينفى وجود كثير من الاقوال الدينية فى القرآن ينتفى تطبيق أى منهج عقلى عليها : من ذلك المسائل الخاصة بعدل الله وصفاته ، جل وعلا ، بخصوص الرحمة والقسوة ، وهل اذا قيل عنه انه « غفور رحيم » امكن القول عنه انه « شديد العقاب » ؟ وهل خلق الله اخيارا واشرارا ، او ان الشر من الانسان والخير من عند الله ، أو ان الانسان خلق دون خيرية أو شرية ثم تسبب الانسان نفسه فى الخير والشر ؟

هذه مسائل تبدو فى القرآن عسيرة على أى فهم منطقى لها ، ويبدو انها من جملة ما يدعوه القرآن باسم « المتشابهات » : « ... منه آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات ... »[2] ظاهر من هذا التمييز

---

(١) يقرر R. Bell المستشرق الاسكوتلاندى ان حديث الغرانيق ليس من الراجح كونه ملفقا . وفى مثل هذه الدعوى يلهو عادة خصوم الاسلام ! انظر ترجمة بل هذا للقرآن الى الانجليزية (٣٧ ـ ١٩٣٩) ، المجلد الثانى ص ٥٤٠ ـ ص ٥٤١ ، هامش .

(٢) انظر الآية باكملها فى آل عمران (٧) . وفى رأى البعض انه حتى المتشابه لا يمكن ان يخفى عن ذوى العلم (الاتقان للسيوطى ، ج ٢ ، ص ٣) ، أى كأن المتشابه هو من نوع الاشكالات التى يعسر فهمها وقتيا .

بين المحكم والمتشابه ان هناك في القرآن آيات تتحدث عن مسائل رئيسية في الاعتقادات وشؤون الحياة الانسانية المهمة الاخرى ، وان هذه الآيات ـ المحكمات ـ هي تلك الآيات الواضحة المفصلة التي لا تتناقض صوريا بحسب منهج الاتساق الداخلي أو لا تتناقض ماديا اذا قورنت بما هو راهن أو كائن في المجتمع البشري او اذا قورنت بما يمكن وجوده في المجتمع البشري • لكن الى جانب هذه المحكمات هناك المتشابهات وهي أقوال لعلها ان تكون شبيهة بذلك النوع الذي يسميه أهل المنطق الحديث باسم « الاقوال الانفعالية » أي الاقوال التي تعبر عن المشاعر الشخصية البحتة التي لا يمكن ان يشترك فيها الناس جميعا • كذلك تتمثل الانفعالية بكل ما نجده في الشعر وفي الكلام المجازي على العموم •

ويبدو ان المتشابهات التي في القرآن ليست كثيرة أو انها ليست متعددة الى درجة انها تغطي على المحكمات وتطمس معالمها • هكذا نحن نقرأ في أزمان متعددة من نزول الوحي دفاعا عن وضوح القرآن جملة وتفصيلا :

(١) فصلت (٤٢) : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ••• » •

(٢) فصلت (٤٤) : « ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي ••• » •

(٣) النساء (٨٢) : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كبيرا » •

هذه الامثلة الثلاث يجب الا يفهم منها ان كل ما في القرآن اطلاقا واضح متميز ، وعلينا ان نفهم الامر بتذكرنا الآية (٧) من سورة آل عمران التي سبق الاشارة اليها •

ولنختم المقال بذكر هذا المثل الاخير عن مراحل تحريم الخمر وعلاقة ذلك بمنهجي الاتساق الداخلي والخارجي •

لقد كان تناول الخمر معروفا مألوفا عند عرب الجاهلية وكان بعض الشعراء يفاخرون بكثرة شربهم ومجونهم عند موائد الخمر ، وقد انتهت

الفترة المكية من البعثة الشريفة دون تعرض ظاهر أو خفى للخمر[1] ؛ وقد اعتاد المسلمون فى مكة ان يجاروا السنة والعادة الجارية فى الامور التى لا ينهى عنها القرآن أو لا يأمر بما يختلف عنها بشكل أو آخر • ثم جاءت الفترة المدنية ومضى أكثر من عام والامر مسكوت عنه • بل ونجد فى سورة محمد (مدنية) آية (١٥) فى الحديث عن الجنة ما يلى : « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها ••• انهار من خمر لذة للشاربين ••• » لكن بعد هذا السكوت الذى استمر ما يقرب من خمس عشرة سنة من البعثة الشريفة يأخذ القرآن بتغيير موقفه ، فيتحدث عن تحريم الخمر بصورة تدريجية فى المراحل الثلاثة التالية :

(١) البقرة (٢١٩) : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما ••• » •

(٢) النساء (٤٣) : « يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ••• » •

(٣) المائدة (٩٠ ـ ٩١) : « ••• انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون • انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون ؟ » •

فى هذه المراحل الثلاث نشاهد تدرجا فى النهى عن تناول الخمر • فى المرحلة الاولى يقابل القرآن الكريم العادة فى منتصف الطريق ويوافق الناس على ما قد يمكن ان يكون فى الخمر من منفعة ، الا انه فى الوقت ذاته يقرر قضية مخالفة لذلك وهى ذكره ما فى الخمر من ضرر أو اثم ،

---

(١) هناك اشارة خفية فى سورة الطور المكية الآية (٢٣) ، ففى الحديث عن اهل الجنة نجد ما يلى : « يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم » • ولعل لقائل ان يقول ان فى هذه الاشارة تعريضا بمضار الخمر واثامه فى هذه الدنيا • لكن يبدو ان ما فى هذه الآية الكريمة هو مجرد اشارة الى ما يحدث عن الافراط فى الشرب ، وان خمر الجنة حتى عند الافراط فيها لا تصيب شاربها بأذى • والمسلمون على أية حال لم يفهموا من هذه الآية المكية ان فيها اية اشارة الى مضار الخمر •

اثم هو أكبر فى نهاية الامر من المنفعة • ويبدو ان حاصل الآية الكريمة هو مجرد التنبيه والتحذير ، وليس فيها ما ينبىء مثلا ان اثم الخمر هو من نوع المعاصى الكبيرة • ولعل فى امكاننا القول انه لو لم تنزل آيات سورتى النساء والمائدة بخصوص الخمر لعد المسلمون الخمر من جملة المكروهات ـ بلغة فقهاء المسلمين فى تصنيفهم لدرجات الاباحة والحظر • الا ان آية سورة النساء جاءت فحرمت تناول الخمر أو على بعض التفاسير حرمت الافراط فى الشرب عند القرب من الصلاة • اذ ان لفظ السكر يعنى الامتلاء من قولهم « سكر الحوض ـ اذا امتلأ » • وآية النساء هذه لا تحرم الخمر على الاطلاق على أية حال ، لكن ما فيها من حظر هو أكثر على أية حال مما وجدنا فى آية سورة البقرة • وأخيرا نجد أمراً قاطعا لا مواربة فيه فى سورة المائدة ـ هذا القطع الذى اوحى من بعد الى الفقهاء المسلمين ان يصوغوا المبدأ القائل : « ما كان كثيره مسكرا فقليله حرام » •

هذا المثال العينى الذى بين ايدينا بخصوص الخمر لا ينطبق فيه دون شك استعمال منهج الاتساق الداخلى • ولسائل ان يسأل : اذا كان الخمر مضرا فلم هذا السكوت عنه طوال ما يقرب من خمس عشرة سنة من البعثة الشريفة ؟ واذا كان الخمر مضرا فلم هذا الاقرار الصريح فى سورة البقرة باعتباره نافعا ولو منفعة جزئية ؟ امثال هذين السؤالين لا يوفران لنا أى اتساق عضوى داخلى بخصوص مسألة الخمر هذه • الا انه من الناحية الاخرى ـ ودون ان تتعرض لاية تبريرات دينية أو غيبية ـ يمكننا القول بان البشرى لا يخضع لمنهج الاتساق الداخلى فحسب وانما هناك منهج آخر فيه من الصواب بقدر ما فى المنهج الاول ـ أى منهج الاتساق الخارجى أو مطابقة ما هو كائن أو ما يمكن وجوده فى الخارج •

فى هذه الحال الاخيرة نستطيع ان نستحضر أمام اذهاننا ما تعلمناه عن النفس البشرية ، الفردية أو الاجتماعية ، وكيف ان شؤون التربية والسياسة والعادات وغير ذلك من شؤون الانسان هى أمور لا تحدث عادة فى طرفة عين كما يتكون الملح بمجرد وضع حامض على قاعدة • بل ان كان ما يتصل بظواهر الحياة من أدناها فى مستوى النبات الى اعلاها فى المستوى البشرى

والحضارى يمر عادة بأدوار حضانة وطفولة وترعرع وهذه الادوار تستغرق فترات زمنية تطول أو تقصر بحسب الحالة موضع النظر • ومن هنا فمن حيث تأصل عادة الخمر عند الناس مدى اجيال طويلة تطاول قرونا وأكثر فما المانع من زيادة بضع سنوات اخرى ؟ ثم أليس فى مثل هذا الاعداد بعد نظر وكفاءة فى العمل على أية حال ؟

هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى يستطيع الانسان ان يسأل أبدا مثل هذا السؤال : وهل فى ترك الخمر نهائيا أى فائدة على وجه الاطلاق ، بحيث ان مثل هذا التدرج فى المنع يكون له ما يسوغه ؟ هذا السؤال الاخير لعل من الافضل ان ننهى به مقالنا الآن ولا مانع ان نترك الاجابة عليه الى جمعيات حظر المسكرات المنتشرة فى كل انحاء العالم المتحضر أو الى الدول التى حظرت الخمر كليا أو جزئيا رغم انها لا تدين بدين القرآن وانما الذى دفعها الى ذلك هو دوافع مماثلة للدوافع التى نجدها لدى جمعيات حظر المسكرات •

هذا ونأمل ان نعالج فى مقال تال تطبيقات اخرى للمخطط المنهجى الذى اشرنا اليه فى هذا المقال •

ملحـــوظة :

لقد تكلم بعض المسلمين ــ كالمعتزلة ــ فى الله وصفاته ومسائل التنزيه والتشبيه وفى النعيم والجحيم وأمور الغيب • الا ان البعض الآخر اكتفى بتعريف الله بطريق السلب أى بالقول انه لا تحده حدود أو كما قال الامام علي فى نهج البلاغة « من حدّه فقد عدّه » • وفى آية المحكمات والمتشابهات (آل عمران ــ ٧) التى اشرنا اليها فى المقال نجد القرآن الـكريم يعد من صفات المنافقين تأويلهم للمتشابه ابتغاء الفتنة بينما « الراسخون فى العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا » • ولعلنا من هذا نفهم ان المحكم هو ما اتضح معناه للناس اما المتشابه فهو من النوع المعجز أو من نوع اللغز ؟ بدليل قوله ، جل وعلا ، « وما يعلـــم تأويله الا الله » أى ما يعلم تأويل المتشابه • « لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وان الله قد احاط بكل شىء علما » (الطلاق ــ ١٢) •

حركة الاصلاح في الدولة العثمانية
وتأثيرها في العراق
١٨٣٩ ـ ١٨٧٧

الدكتور عبدالوهاب عباس القيسي

ـ ١ ـ

أخذت علامات الانحطاط تتضح في الدولة العثمانية ابان القرن الثامن عشر متمثلة في فساد الادارة الحكومية وتدهور النظام الاقتصادي وتكرر الانهزامات الحربية واستمرار الثورات في مختلف الولايات • وفي خلال النصف الثاني من ذلك القرن بدأ بعض السلاطنة ورجال السياسة المتنورين يبحثون عن علاج يوقف تدهور الدولة ويعيد اليها حيويتها • ونتج عن ذلك ان ظهرت جماعتان من المصلحين ، الاولى منها اعتقدت ان العلاج يكمن في تطبيق الانظمة الاسلامية والتقاليد العثمانية الاصيلة والثانية ارتأت ان اصلاح الدولة العثمانية يستلزم تبني الانظمة الاوربية المعاصرة • ويظهر ان نجاح الاقطار الاوربية آنذاك في الامور العسكرية وفي تطوير انظمتها الاقتصادية رجح كفة الجماعة الثانية وعليه فقد صارت حركة الاصلاح تستهدف تطبيق الانظمة الاوربية الحديثة في مجالات الحياة المختلفة • وعلى أي حال كانت الاصلاحات الاولى مقتصرة على النواحي العسكرية ثم شملت بعدئذ النواحي المتصلة بالادارة الحكومية والتعليم • ويلاحظ في الوقت نفسه ان طليعة الافكار التي وصلت الى العاصمة العثمانية في بدء حركة الاصلاحات اشتملت على مبادىء الثورة الفرنسية الممثلة في : الحرية ، المساواة ، والوطنية • وقد انتقلت هذه المبادىء الى البلدان العثمانية بواسطة عاملين : أولا بواسطة البعثات العسكرية الفرنسية التي وصلت الى القسطنطينية كي تساعد على تجديد الجيش العثماني • وبعد ان تعلم الضباط العثمانيون اللغة الفرنسية لم يقتصروا على دراسة العلوم العسكرية الفرنسية فحسب بل صاروا يطالعون الكتب السياسية الفرنسية كذلك • ثانيا بواسطة البعثات

الدبلوماسية سواء منهـا الاوربية المقيمـة فى القسطنطينية أم العثمانية التى كانت تمثل الحـكومة فى عواصم اوربا وعلى الاخص فى باريس[1] .

يطلق على حركة الاصلاحات فى الدولة العثمانية خلال الفترة الممتدة من سنة ١٨٣٩ الى سنة ١٨٧٧ اسم « التنظيمات » وقد بدأت هذه الحركة سنة ١٨٣٩ فى عهد السلطان عبدالمجيد باعلان خط شريف كولخانه وانتهت سنة ١٨٧٧ حين صار حكم السلطان عبدالحميد استبدادياً[2] . ونظرا لاهمية الفترة التى سبقت التنظيمات فمن المفيد التطرق اليها كذلك . ان أول سلطان اطلق عليه لقب « مصلح » فى فترة قبل التنظيمات هو سليم الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧) . وقد اتجهت رغبة هذا السلطان نحو اعادة تنظيم الجيش والبحرية ولذلك فقد أسس عددا من المدارس العسكرية مستعينا بمدربين اوربيين أكثرهم من الفرنسيين . وكان سليم يأمل من وراء عمله هذا انشاء جيش عصرى يحلّ بتقدم الزمن محل الجيش الانكشارى القديم الذى ضعفت قوته واضطرب نظامه . وبالاضافة الى المدارس العسكرية تمكن هذا السلطان من انشاء عدد من المعاهد العالية والفنية الحديثة التى تعتبر الاولى من نوعها فى البـلاد . ولـكن لم تمض فتـرة طويلة من الزمن حتى ثار الجيش الانكشارى فى مايس سنة ١٨٠٧ ضد تلك الاصلاحات وتمكن من عزل السلطان واحلال مصطفى الرابع محله . وبعد فترة أشهر قليلة حدثت ثورة معاكسة نتج عنها ابعاد مصطفى وتنصيب محمود الثانى محله . استمر حكم محمود من سنة ١٨٠٨ الى سنة ١٨٣٩ وقد اعتقد هذا السلطان انه لـكى يجعل الدولة العثمانية فى مكانة مساوية لدول أوربا عليه ان يستمر بعملية الاصلاح التى بدأها سليم الثالث . وفى الوقت نفسه اعتقد ان اصلاحا عاما لا يمكن ان يتم قبل التخلص من أعداء الاصلاح وفى مقدمتهم الانكشارية . وأول عمل اصلاحى ظهر فى عهد محمود هو تحسين المدارس العسكرية الجديدة التى اسسها سليم الثالث والتى كانت ترمى الى تدريب الضباط والجنود بالاساليب الاوربية الحديثة بغية تشكيل جيش جديد منهم . وبمرور الزمن استعان محمود الثانى بأفراد الجيش الجديد ، مؤيدا من قبل علماء الدين ، فى القضاء على الجيش الانكشارى والغائه سنة ١٨٢٦ . وفى حقل التعليم

أسس محمود عددا من المدارس الابتدائية والثانوية الجديدة ومدرسة للحقوق ومدرسة للطب يديرها مدرسون فرنسيون • وفى زمانه أُرسل حوالى مئة طالب للدراسة فى أوربا وظهر فى عهده جريدة « تقويم الوقائع » سنة ١٨٣١ وهى أول جريدة رسمية فى البلاد العثمانية •

وبعد وفاة محمود الثانى سنة ١٨٣٩ خلفه السلطان عبدالمجيد • وقد تأثر هذا السلطان بعدد من المصلحين وفى مقدمتهم وزير الخارجية مصطفى رشيد باشا الذى كان فى السابق سفيرا للدولة العثمانية فى عدد من المدن الاوربية • ونتيجة لذلك أعلن هذا السلطان فى تشرين الثانى سنة ١٨٣٩ البيان الاصلاحى المسمى « خط شريف كولخانه »[٣] • استهدف هذا البيان ضمان حقوق جميع أفراد الدولة العثمانية بصرف النظر عن معتقدهم الدينى أو اختلافهم القومى • وجاء فيه : ان الحكومة ستقف ضد أىّ تهديد يقع على حياة أو كرامة أو ملكية الافراد العثمانيين وان المتهمين سواءً أكانوا مجرمين عاديين أم سياسيين سيحاكمون بصورة علنية • ومن ناحية الضرائب اعلن البيان انه « ستوزع الضرائب فى المستقبل بصورة عادلة على جميع طبقات الشعب وان طريقة جمع الضرائب ستتحسن • » وأخيرا تعهد خط شريف كولخانه بتأسيس طريقة مقننة للتجنيد وتحديد فترة الخدمة العسكرية للمجندين الاجباريين • والبيان الاصلاحى الثانى الذى حُررّ فى عهد عبدالمجيد هو « خط همايون » وقد أُعلن فى شباط سنة ١٨٥٦ • أكد هذا الخط مجددا على المساواة بين الافراد واشار الى أن « القوانين ستطبق ضد جميع الذين يميزون بسبب الاختلاف فى الدين أو اللغة أو العنصر » • واعترف البيان بحاجة الدولة الى اصلاحات شاملة وأكد ان الخطوات الفعلية ستتخذ لاعادة تنظيم الشرطة والمحاكم وادارة الولايات وجمع الضرائب بالطريقة المباشرة بدلا من الطريقة غير المباشرة واصلاح التجارة الداخلية والمواصلات وتنظيم الاحوال المالية بواسطة ميزانية سنوية وكذلك بواسطة تأسيس البنوك •[٤] وعلى أي حال ، ان معظم بنود البيانين السابقين لم تنقل الى حيز التطبيق بل بقيت حبرا على ورق فى كثير من أنحاء البلدان العثمانية[٥] •

بعد وفاة السلطان عبدالمجيد سنة ١٨٦١ خلفه أخوه عبدالعزيز الذى استمر فى الحكم حتى عزله سنة ١٨٧٦ • وجاء بعده مراد الخامس الذى لم يستمر فى السلطنة سوى بضعة أشهر ثم خلفه أخوه عبدالحميد الثانى فى شهر آب من سنة ١٨٧٦ • لقد شهدت فترة حكم عبدالعزيز ومراد الخامس صراعا بين الجماعة المحافظة المؤلفة من بعض الباشوات وكبار رجال الدين ، الذين وقفوا ضد الانظمة والآراء الجديدة واعتبروها بُدعا ، وبين جماعة المصلحين التي ترأسها مدحت باشا • لقـــد كان هدف المصلحين القريب الحصول على دستور أما هدفهم البعيد فهو تأسيس دولة عثمانية جديدة • واعتقدت هـــذه الجماعة الاخيرة ان الاصلاح الحقيقى يتطلب ازالة حكم السلطان الاستبدادى وجعل وزراء الدولة مسؤولين ، وعلى الاخص بالنسبة للقضايا المالية ، أمام برلمان يمثل جميع أفراد الشعب على اختلاف قومياتهم واديانهم[٦] •

بعـــد ان أصبح عبدالحميد سلطانا أسرع لتعيين مدحت باشا رئيسا للوزراء • ونتيجة لتأثير جماعة المصلحين نشر السلطان بيانا أعلن فيه تأسيس مجلس الدولة مهمته تطبيق القوانين الجديدة ومراقبة واردات ومصروفات الدولة[٧] • ان تشكيل هذا المجلس لم يُنهِ كفاح جماعة المصلحين اذ أنهم اصروا على تشريع دستور للبلاد • وعليه تشكلت هيئة مؤلفة من ثمانيـــة وعشرين عضوا وظيفتها وضع دستور للبلاد العثمانية • وبعد مناقشات حادة أقرت الهيئة قانونا أساسيا يرتكز على الدستور البلجيكى • وفى يوم ٢٣ كانون الاول سنة ١٧٨٦ تُليت مقدمة الدستور ومواده فى حفل عام • وقد أعلن السلطان فى المقدمة ان الدستور يستهدف « المساواة المدنية والسياسية لجميع العثمانيين ويحدد مسؤوليات وواجبات الوزراء والموظفين ، ويضمن استقلال المحاكم ، وينص على تثبيت ميزانية متقنة للدولة ، ويفرض تطبيق النظـــام اللامركزى فى ادارة الولايات » • أما خلاصة ما جاء فى مواد الدستور فهى : (١) اطلاق لقب « عثمانى » على كل فرد من أفراد التبعية العثمانية بغض النظر عن نوع دينه وقوميته (٢) تمتع جميع العثمانيين بالحرية الشخصية على ألا يتجاوز أى فرد منهم حقوق غيره • (٣) جعل الاسلام الدين الرسمى للدولة

مع الاعتراف بحق كل فرد فى ممارسة شعائر الدين الذين يعتقد فيه • (٤) الاشتراط على العثمانيين الذين يرغبون الاشتغال فى دواوين الحكومة معرفة اللغة التركية • (٥) تشكيل مجلس أمة يتألف من هيئتين هما : « مجلس المبعوثان » ومجلس الاعيان • ينتخب أعضاء « مجلس المبعوثان » من قبل الشعب لمدة أربع سنوات على ان يمثل العضو الواحد خمسين ألف شخص ويعتبر نائبا عن جميع العثمانيين وليس فقط عن المنطقة التى انتخبته • أما أعضاء مجلس الاعيان فيعينون من قبل السلطان لمدى الحياة ولا يتجاوز عددهم ثلث أعضاء « مجلس المبعوثان »[٨] •

ان المساندين لحركة الاصلاح لم يؤلفوا الا اقلية من المثقفين وبعض موظفى الدولة وسكان المدن الكبيرة اما الاكثرية الساحقة من العثمانيين فكانت بعيدة عن تيار التجديد والاصلاح • وعلى أى حال ، لم تمض بضعة أشهر على اعلان الدستور حتى غيّر السلطان عبدالحميد رأيه فى الحياة الدستورية ووجد فيها عقبة تحدد من استبداده الفردى • وعليه فقد حدث تصادم بين مدحت باشا ، الذى أراد تطبيق احكام الدستور ، وبين السلطان عبدالحميد الذى شاء عدم التنازل عن السلطات المطلقة التى ورثها عن أسلافه • وبالنتيجة قدم مدحت باشا استقالته فى كانون الثانى سنة ١٨٧٧[٩] • ومن ثم أبعد من قبل السلطان الى أوربا حيث قضى فترة فى المنفى استُدعى بعدها الى القسطنطينية ليحاكم بتهمة الاشتراك فى قتل السلطان عبدالعزيز • وبعد المحاكمة أُرسل مدحت للسجن فى الطائف (الحجاز) حيث قضى بقية حياته حتى مقتله بأمر من السلطان فى سنة ١٨٨٤ •

أما عن البرلمان العثمانى فقد عُقدت جلسته الاولى فى ٤ مارت سنة ١٨٧٧ وافتتحها السلطان بخطاب بيّن فيه ضرورة بذل الجهود من أجل تقدم البلاد ورفاهها وأشاد بقوانين التنظيمات[١٠] • ثم عُقدت جلسة ثانية للبرلمان فى ١٩ مارت من نفس السنة لم يتطرق اثناءها المجتمعون الى الاصلاحات الداخلية بل اقتصروا على بحث مشاكل ثورات البلقان وسياسة الحكومة الخارجية • وأخيرا فان اعلان روسيا الحرب على الدولة العثمانية فى ٢٤ نيسان سنة ١٨٧٧ قدم للسلطان فرصة مناسبة لتحقيق ما يبغيه حيث اعلن تأجيل اجتماع

البرلمان لاجل غير مسمى ثم اصدر فى ١٣ شباط سنة ١٨٧٨ مرسوما بحل البرلمان والغاء الدستور مؤقتا بسبب الظروف الاستثنائية التى تجتازها الدولة ! وتلا ذلك قيام السلطان بحملة ضد كل مَنْ احتج على عمله من النواب والمصلحين كما انه أبعد الكثير منهم الى خارج البلاد • وهكذا عاد السلطان عبدالحميد الى حكمه الاستبدادى وظل يحكم مدة اثنتين وثلاثين سنة دون برلمان يوجهه أو معارضة تنتقده(*) •

— ٢ —

ان السلطان محمود الثانى الذى كان قد خبر ثورة واستقلال محمدعلى فى مصر صمم على انهاء حكم المماليك فى العراق كى يعيد سلطة القسطنطينية المباشرة على بغداد • وفى عام ١٨٣١ تم للسلطان ما أراد حيث استسلمت جنود داود باشا — آخر الولاة المماليك — الى جيش السلطان وكان هذا الحدث فاتحة للفترة العثمانية الحديثة فى تاريخ العراق(*) • وعلى أثر ذلك

(*) ان سياسة الاضطهاد والبطش بالعناصر المناوئة للحكم الفردى المستبد قد ازدادت حدتها بعد سنة ١٨٧٨ ولذا فقد اضطر عدد كبير من المصلحين والاحرار على الهجرة والاقامة فى باريس وجنيف والقاهرة حيث جعلوا من هذه المدن مراكز لنشاطهم الوطنى • وفى الوقت نفسه ظهرت فى داخل الدولة العثمانية حركة ثورية سرية وكان نشاطها على أعظم ما يكون بين أفراد الجيش العثمانى المرابط فى مقدونيا • وكان حصيلة العمل الوطنى فى داخل الدولة العثمانية وخارجها انفجار ثورة سنة ١٩٠٨ واضطرار السلطان عبدالحميد الى اعادة الحياة الدستورية فى ٢٤ تموز سنة ١٩٠٨ • وعلى أثر الثورة المعاكسة التى حدثت فى ١٣ نيسان سنة ١٩٠٩ بتشجيع من السلطان اجتمع البرلمان فى ٢٧ نيسان من نفس السنة وأعلن عزل السلطان عبدالحميد الثانى •

(*) ان الحكم العثمانى الذى استمر فى العراق حوالى الاربعة قرون يمكن ان يحدد فى فترات أربع : الفترة الاولى — وقد بدأت باحتلال الاتراك العثمانيين لبغداد سنة ١٥٣٤ زمن السلطان سليمان القانونى • وفى نهاية هذه الفترة تمكن الفرس من انتزاع بغداد من العثمانيين سنة ١٦٢٣ وظلوا فيها حتى سنة ١٦٣٨ حين تمكن السلطان مراد الرابع من اعادة بغداد وبقية أنحاء العراق الى السيطرة العثمانية • الفترة الثانية — وقد استمرت فى اثنائها سيطرة القسطنطينية المباشرة على العراق ودامت من سنة ١٦٣٨ الى سنة ١٧٤٩ • الفترة الثالثة — حكم المماليك — وقد استمرت من سنة ١٧٤٩ الى سنة ١٨٣١ وفى اثنائها كان الولاة يتمتعون باستقلال فعلى واقتصرت

وبعد اعلان وثيقة كولخانه الاصلاحية سنة ١٨٣٩ عُين فى ولايات العراق عدد من الولاة القديرين المهتمين بأجراء الاصلاحات التى وعدت بهـــا الخطوط السلطانية • وعلى أى حال ، ان الاعمال الرئيسية لاولئك الولاة لم تكن تتجاوز الفعاليات العسكرية الموجهة ضـــد ثورات القبائل وكانوا ينشدون ــ على زعمهم ــ احلال الاستقرار فى البلاد قبل البدء بالاعمال الاصلاحية الانشائية • هذا وعلى الرغم من أن هؤلاء الولاة تمكنوا من ايقاف الثورات والسيطرة على القبائل لفترة من الزمن لـكنهم لم يُوفقوا فى ايجاد حل دائم للمشكلة القبلية فى العراق • وحاول بعض هؤلاء الولاة مثل رشيد باشا گوزلـكلى ونامق باشا القيام باصلاحات تستهدف تحسين اقتصاديات البلاد • وقد انشأ رشيد باشا شركة ملاحة واستورد باخرتين باسم بغداد والبصرة من انتورب فى بلجيكا • وتوسعت تلك الشركة فى عهد نامق باشا واطلق عليها اسم الادارة العثمانية النهرية وبُني لها معمـل لتصليح البواخر حتى انها صارت تنافس شركة لينج الانكليزية[١١] •

ان حركة الاصلاح فى الدولة العثمانية لم تظهر آثارها فى العراق بشكل واضح الا زمن ولاية مدحت باشـــا لبغداد بين سنة ١٨٦٩ وسنة ١٨٧٢ • كان مدحت ــ كما سبقت الاشارة اعلاه ــ من اوائل المصلحين المتنورين الذين كافحوا فى سبيل انشاء حكم دستورى يحل محل الحـكم الاستبدادى القائم آنذاك فى الدولة العثمانية • وقبل تعيينه على بغداد ، كان هذا المصلح والياً على ولاية الدانوب (المتألفة من مناطق سيلستريا وودين ونيش) فى الفترة المحصورة بين سنة ١٨٦٠ وسنة ١٨٦٩ • وقد طبق مدحت فى هذه الولاية قانون تنظيم الولايات لسنة ١٨٦٤ وأدخل النظام الانتخابى فى ادارة الولاية • كما انه الغى نظام العمل الاجبارى (السُخرة) وشيد مجموعة من الجسور والطرق الحديثة وانشأ بنوك زراعية لخدمة

تبعيتهم للعاصمة على الناحية الاسمية • الفترة الرابعة ــ وقد بدأت عام ١٨٣١ وانتهت بالاحتلال البريطانى لبغداد عام ١٩١٧ • وفى هذه الفترة وصلت الى العراق بعض آثار حركة الاصلاح والتجديد العثمانية وخاصة أثناء ولاية مدحت باشا لبغداد (١٨٦٩ ــ ١٨٧٢) وزمن الحكم الدستورى (١٩٠٨ ــ ١٩١٤) •

صغار الفلاحين وادخل الملاحة البخارية فى الدانوب وبنى عددا من دور البريد الحديثة .

وصل مدحت باشا الى بغداد فى ٣٠ نيسان سنة ١٨٦٩ ولاشك ان ماضيه كان يُشير الى انه قد جاء من أوربا الى ولاية العراق النائية كى يبدأ عملا اصلاحيا . وجاء فى الفرمان (الامر السلطانى) المتعلق بتعيين مدحت باشا لولاية بغداد بأن « بغداد هى من أهم ولايات امبراطوريتنا وان تربتها وموقعها يجعلانها تستحق كل أنواع التقدم وعليه فأن أعز رغبة لنا هى ان نرى الولاية تحظى بجميع الوسائل المؤدية الى التطور »[١٢] . وقد اعترف الفرمان انه بدون وجود حاكم قدير فان التقدم المنشود لا يمكن تحقيقه وان مدحت كان ذلك الشخص « الذى سيحقق رغباتنا »[١٣] . وقد منح السلطان لمدحت كلتا السلطتين المدنية والعسكرية فى ولاية بغداد . أما نقاط الاصلاح التى اشار اليها فرمان التعيين فهى : أولا ـ زيادة الثروة الاقتصادية للولاية بواسطة تشجيع الزراعة والتجارة حتى يستطيع الناسُ العيش فى راحة وغنىً . ثانيا ـ استتباب الامن والسلم بواسطة تطبيق الشرع والقانون . ثالثا ـ اعادة تنظيم وتحسين الجيش الامبراطورى السادس فى العراق . رابعا ـ اتباع سياسة صداقة مع ايران وتقديم جميع التسهيلات للتجـــار والزوار الايرانيين القادمين الى العراق . وقد أقام موظفو الحـكومة واعيان البلدة احتفالا لمدحت باشا بمناسبة وصوله الى بغداد فخطب بهم مشيرا الى أن رغبته الصادقة هى ان يرى « الناس ، مسلمين وغير مسلمين ، ذكورا واناثا ، افرادا وجماعات ، يحصلون على الرخاء والسعادة فى ظل حكومة عادلة رحيمة » . وذكر ان واجب موظفى الحـكومة هو العمل على تحقيق تلك الرغبة . واشار كذلك ان على أفراد الشعب ان يتركوا الـكسل وأنْ يتبعوا طريق الامم المتقدمة وان « موارد العراق الطبيعية تشجع جميع أنواع التقدم كما ان سكان البلاد ، كما يشهد تاريخهم ، قادرون على التعلم والتقدم »[١٤] .

اصلاح الادارة الحـكومية :

بدأ مدحت باشا أعماله فى العراق باصلاح الادارة الحـكومية وقـد

استند في عمله هذا على قانون الولاية العثماني لسنة ١٨٦٤[١٥] • ولما كان هدف مدحت باشا منصبا على تأسيس نظام حكومي مركزي مؤلف من دوائر كل منها يختص بواجبات معينة لذلك فقد قسم العراق الى ولايات ثلاث : بغداد والموصل والبصرة ، وقُسمت هـذه الولايات بدورها الى سناجق (ألوية) وأقضية ونواح • وبموجب اصلاح مدحت باشا صار موظفو ادارة الولاية يكونون من : الوالي وهو رئيس الشؤون الادارية والمالية والسياسية والمشرف على أمور الشـرطة والمسؤول عن تنفيذ الاحكام التي تصـدرها المحاكم • ويُعيّن الوالي من قبل السلطان ويعمل على تطبيق قوانين الدولة الاساسية في ولايته • والدفتردار (مدير المالية) ويقوم بواجبه تحت اشراف الوالي لـكنه على اتصال مباشر بوزارة المالية في القسطنطينية • والمـكتوبجي (مدير المراسلات) وهو المسؤول عن حفظ أوراق الولاية الرسمية • ثم المعاون أو المستشار السياسي وهو صلة الوصل بين الوالي والممثليات الاجنبية • ومفتش الزراعة والتجارة الذي يقوم بحفظ سجلات الانتاج الزراعي والواردات والصادرات • وبالاضافة الى الدوائر السالفة الذكر صـار لـكل ولاية موظفون مختصون بأمور المحاكم والشـرطة والـكمارك • أما من الناحية العسكرية فان كل ولاية أو أكثر كانت مرتبطة بجيش عثماني يرأسه الوالي أو قائد عسكري مستقل • وكل والٍ يساعده مجلس اداري يتألف من كبار موظفي الدولة يضاف اليهم أربعة أعضـاء يُنتخبون من قبل السكان المسلمين وطوائف غير المسلمين بنسب متساوية • أما التنظيم الاداري في السناجق والاقضية والنواحي فكان ، بصورة عامة ، صورة مصغرة لتنظيم الولاية •

الاصلاح العسكري :

يعود تأسيس الجيش العثماني الجديد في العراق الى سنة ١٨٤٨ ومنذ ذلك الحين صار يسمى بالجيش الامبراطوري السادس • هذا وعلى الرغم من ان هذا الجيش لم يكن يخلو من المتطوعين المحليين فان أكثرية أفراده كانوا من غير العراقيين كما كان جميع ضباطه من الاجانب • وعليه فقد استهدف مدحت باشا في اصلاحه العسكري تبديل العناصر الاجنبية بأفراد

عراقيين كي يحس السكان بشعور الولاء نحو الجيش وكي يكون بالمستطا
تلافى النقص فى عدد الجنود الذين كانوا « لا يمكثون الا فترات قصيرة ق
العراق يسرعون بعدها بالعودة الى أوطانهم »[١٦] • ولهذا السبب باش
مدحت باشا بتطبيق نظام التجنيد الاجبارى وقد حالفه النجاح فى عدد م
المدن العراقية لـكنه باء بالفشل فى منطقة الفرات الاوسط اذ رفض أفر
العشائر بشدة كل محاولة ترمى الى جعلهم جنودا فى جيش الحـكومة
وعلى أى حال ، ففى خلال ثلاث سنوات تضاعف عدد أفراد جيش العرا
وصار مؤلفا من ١٦ كتيبة مشاة وكتيبتين من الخيالة وكتيبة من المدفعية[١٧]
ولـكى يجهز هـــذا الجيش بالضباط العراقيين ، اسس مدحت مدرستي
عسكريتين فى بغداد وكانت هذه طليعة معاهد الدراسة الحديثة فى البلاد •

اصلاحات فى الشؤون الداخلية :

كان العراق أيام ولاية مدحت باشا يضم نوعين من القبائل : الاولى
تتألف من الجماعات المستقرة ويشتغل أفرادها بالزراعة تحت امرة الشيو-
الاقطاعيين • وكان الاخيرون يتهربون فى معظم الاحيان من دفع ضرائب
الارض عن طريق التأجيل الى أمد غير معين أو باستعمال القوة أنْ اقتضى
الامر • أما الجماعة الثانية فكانت متألفة من القبائل البدوية التى تعتاش على
سلب القوافل أو على غزو مراكز المدن القريبة من حدود الصحراء • وما
كان هدف مدحت باشا احلال المواطنة العثمانية محل الولاء القبلى لذلك فقد
صمم على تصفية العلاقات بين الدولة العثمانية والقبائل الموجودة فى العراق ،
ومما ساعد مدحت على التفكير بسياسة بنّاءة فى معالجته لهذه المشكلة ان
حوالى ٨٠ بالمئـة من الاراضى الصـالحة للزراعة فى العراق كانت أراضى
حكومية (أميرية)[١٨] • وخلاصة سياسة مدحت بهذا الشأن اعتقاده بأن
حل مشكلة القبائل لا يتم بواسطة الانتصار العسكرى فقط بل بمعالجة مسألة
ملـكية الاراضى الزراعية فى البلاد[١٩] • وعلى أى حال ، قبل ان يضع
مدحت سياسته موضع التنفيذ نشبت ثورة بين عشائر الفرات الاوسط فى
منطقة الحلة والديوانية ، موجهة ضد نظام الضرائب وضد مشروع التجنيد
الاجبارى الذى أراد مدحت باشا تطبيقه فى كافة أنحاء العراق • وقـــد

استمرت هذه الثورة المعروفة بأسم « ثورة الدغارة » مدة شهرين حدثت فى اثنائها اصطدامات عدة بين العشائر وجيش الحكومة وذهب نتيجتها آلاف القتلى من الطرفين ولكنها انتهت بتفوق الجيش الحكومى وباعدام عدد من شيوخ العشائر الثائرة[٢٠] •

وقد قام مدحت باشا باجراء عسكرى آخر ضد تمرد وغارات قبيلة شمر • وهذه القبيلة البدوية كانت مسيطرة على منطقة الحدود بين سوريا والعراق وكذلك على الطريق الممتدة من تكريت الى الموصل ، ولم يكن باستطاعة قافلة ان تمر بأراضى شمر المذكورة دون دفع ضريبة معينة الى شيوخها • وقد حدث زمن ولاية مدحت باشا ان شيخ شمر المدعو عبدالكريم كان يرسم خطة للاستيلاء على جميع المنطقة الواقعة بين الموصل وبغداد ، ولهذا السبب نشب قتال بين قبيلة شمر وجيش الحكومة انتهى بالقبض على الشيخ ومحاكمته ثم اعدامه فى الموصل • وقد حل مكانه فى مشيخة القبيلة أخوه فرحان الذى تصالح مع الحكومة وصار يتسلم راتبا شهريا منها[٢١] •

وأخيرا هناك قبيلة المنتفك ، التى كانت بمثابة دويلة مستقلة ، يرأسها شيوخ السعدون وكان هؤلاء جباة ضرائب وامراء اقطاعيين فى الوقت نفسه • لقد استطاع مدحت باشا حل مشكلة هذه القبيلة دون اللجوء الى عمليات حربية اذ سمح لشيوخها بالاحتفاظ بمراكزهم كجباة ضرائب بشرط ان يدفعوا العشر للحكومة وان يتخلوا عن استقلالهم الادارى • وبفضل هذا الحل الوسطى تحولت أراضى المنتفك من منطقة قبلية الى وحدة ادارية جديدة • وبعد هذا تم بناء مدينة صغيرة باسم الناصرية ، كان قد خططها مهندس بلجيكى ، وأصبحت مركزا لسنجق المنتفك • أما مشكلة ملكية الاراضى فقد بقيت دون حل ، اذ ان الفلاحين استمروا يعملون دون ان يمتلكوا الارض التى يزرعونها • ولكن من الناحية الثانية أمنت الحكومة تسلم الاعشار بصورة منتظمة من شيوخ السعدون وأصبح هؤلاء بمثابة موظفين فى الحكومة العثمانية ولذلك قلّ احتمال حدوث ثورات قبلية فى هذه المنطقة[٢٢] • ويمكن القول ان بذور الولاء للدولة بدلا من القبيلة كان قد بُذر فى اوساط قبائل المنتفك زمن ولاية مدحت باشا •

بعد اخماد الاضطرابات القبلية التفت مدحت الى خططه الايجابية المتعلقة بملكية الاراضي في العراق • وبهذا الشأن أدرك ان الفلاح « لا يملك أرضا بل انه يزرعها ويدفع الضرائب للشيخ والحكومة ولا يبقى له سوى ربعُ أو خمس الغلّة » وبما ان « الحكومات العصرية لا تستهدف ابتزاز أموال الناس بل زيادة الثروة العامة ابتغاء مصلحة الشعب لذلك بدأت حكومتنا بتوزيع الاراضي الاميرية على الفلاحين متبعة بذلك طريق الامم المتمدنة »[٢٣] • وبالفعل فقد قسمّ مدحت باشا مساحات واسعة من الاراضي الى قطع عرضت للبيع بأقساط زهيدة ولأمد طويل ، ومنع بيع أكثر من قطعة واحدة الى الشخص الواحد • كان نجاح هذه السياسة ملحوظا وعلى الاخص في مناطق الحلة والديوانية والبصرة وقد نتج عنها زيادة واردات الدولة كما تلاشت الى حد كبير الاضطرابات القبلية المزمنة •

ولغرض تسجيل العقارات واصدار وثائق التملك (السندات) أسس مدحت باشا دائرة طابو في بغداد • وكذلك شُكّلتْ لجنة لتسوية الاراضي ، هدفها تدقيق جميع ادّعاءات الملكية سواء المستندة منها على الشراء أم السكنى المستمرة أم على وثيقة قديمة تثبت الملكية • ولم تستطع هذه اللجنة تسوية جميع أراضي العراق بل اقتصر عملها على منطقة الفرات الاوسط وولاية البصرة •

ويلاحظ ان عمل مدحت المتصل بتسجيل الاراضي والعقارات قد صاحبه عدد من الاخطاء بسبب قلة الاداريين النزيهين وعدم وجود الموظفين الفنيين • يضاف الى ذلك ان معظم الناس لم يكونوا يرغبون في تسجيل أملاكهم بسبب خوفهم من دفع الضرائب أو ان بعضهم ظن بان تسجيل الارض ما هو الا حيلة يُقصد منها سوقهم للجندية • وعلى أي حال ، كان لعمل مدحت باشا المتعلق بالاراضي وتسجيلها اثر كبير في اضعاف نفوذ الشيوخ الاقطاعيين وكان بمثابة الحجر الاساسي لتنظيم زراعي جديد •

الاصلاحات المتصلة بطرق المواصلات :

كانت قضية المواصلات من الامور الاساسية التي اهتم بها مدحت باشا أثناء ولايته لبغداد • وقد اعتقد ان « البلاد بأمس الحاجة للسفن البخارية

سواء لنقل التجارة أم لنقل المسافرين الى الحج وانه عوضا عن اعطاء مقادير بالغة من النقود للشركات الاجنبية فقد فكرت دولتنا بشراء عدد من البواخر كي نستعملها لهذا الغرض »[٢٤] • وعليه فقد أعاد مدحت تشكيل الشركة الحكومية المسماة « الادارة العثمانية النهرية » وقام بأصلاح البواخر القديمة العائدة لهذه الشركة ثم شرع بشراء بواخر جديدة ذات حمولات كبيرة • كما انه اسس لهذا الغرض محطات للوقود في مسقط وعدن وبندر عباس وبوشهر • وبعد هذا صارت البواخر العثمانية تتحرك بين آونة واخرى بين البصرة والقسطنطينية عبر قناة السويس • وفي خلال ولاية مدحت لبغداد صار عدد البواخر التابعة للادارة العثمانية ثمان ، كانت أربع منها تبحر بين البصرة والقسطنطينية والاربع الاخرى تستخدم للملاحة النهرية في دجلة وشط العرب[٢٥] •

والمشروع الثاني الذي انشأه مدحت باشا في حقل المواصلات هو تراموای بغداد ـ الكاظمية • وقد شجع بهذا الخصوص الموسرين من أهالي بغداد كي يتعاونوا مع الحكومة لتأسيس شركة مساهمة • وفي غضون سنة انتهى العمل في سكة الترام ووصلت العربات اللازمة من انكلترا ثم افتتح المشروع سنة ١٨٧١ • لقد كانت الكلفة النهائية للترامواي ٢٤ ألف ليرة تركية دُفع منها ١٨ الف ليرة من رأس مال الشركة المساهمة أما المبلغ المتبقي فقد تم دفعه من أرباح الشركة التي بلغت حوالى ٢٠ بالمئة في السنة[٢٦] •

الاصلاحات الثقافية :

وأخيرا كان مدحت باشا أول من أسس المدارس الحديثة والطباعة في العراق • وقد كان لهذين العاملين الثقافيين تأثير بارز في ظهور بوادر اليقظة الفكرية في الولايات العثمانية وعن طريقهما وصلت من أوربا الافكار الجديدة المتعلقة بالتحرر القومي والحكم الدستوري والدمقراطية • لم يكن في العراق من المدارس الحديثة قبل ولاية مدحت باشا سوى بضعة معاهد ابتدائية تابعة للارساليات التبشيرية الفرنسية ومقتصرة على الطوائف المسيحية في الموصل وبغداد • وأول مدرسة حديثة اسسها مدحت باشا في بغداد هي

المدرسة الرشدية العسكرية • وقد قُبل فيها التلامذة المتخرجون فى المدارس الدينية (الـكتاتيب) وكان مدة الدراسة فيها أربع سنوات يدرس فى أثنائها الطلبة مواضيع العربيـة والتركية والتاريخ والجغرافية والحساب والخط والدين[٢٧] • وقام بعد هذا بانشاء المدرسة الاعدادية العسكرية التى كان من شروط القبول فيهـا ان يكون الطالب متخرجا فى مدرسـة رشدية عسكرية • ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات يدرس الطالب فى أثنائها مواضيع اللغـة العربية والتركية والفرنسية والتاريخ والجغرافية والجبر والمثلثات والفيزياء والدين والرسم والفن العسكرى • ويحق لخريجى هذه المدرسة الالتحاق بالـكلية الحربية فى القسطنطينية حيث يدرسون فيها ثلاث سنوات يتخرجون من بعدها ضباطا فى الجيش العثمانى[٢٨] • وبالاضافة الى هاتين المدرستين العسكريتين انشأ مدحت باشا مدرستين مدنيتين هما : مدرسـة الصناعة ومدة الدراسة فيها أربع سنوات يتلقى الطلبة فى أثنائها دروسا تثقيفية عامـة ويتخصصون فى احدى المهـن كالنجارة والخياطة والحـدادة والطباعة[٢٩] ؛ والثانية المدرسة الرشدية الملـكية ومدة الدراسة فيها أربع سنوات كذلك ومنهاجها يماثل منهـج المدرسة الرشدية العسكرية • أما خريجوها فيوظفون فى الدوائر الحـكومية للقيام بالاعمال الـكتابية •

هذا وبالاضافة الى عناية مدحت باشا بالتعليم فانه كان فى طليعة الولاة العثمانيين الذين اهتموا بأمور الطباعة والصحافة • فحين عرف بأمر تعيينه على ولاية بغداد أوصى بشراء مطبعة حديثة كى تُرسل الى مركز الولاية • وفى غضون الاشهر الاولى من ولايته اسس مطبعـة الولاية لتقوم بطبع المنشورات والـكتب الحـكومية ثم أصدر جريدة الزوراء وهى أول صحيفة ظهرت فى العراق[٣٠] • وكانت الزوراء تصدر مرتين فى الاسبوع باللغتين العربية والتركية • وقد استمر ظهورها حتى الاحتلال البريطانى لبغداد سنة ١٩١٧ • أما محتويات هـذه الصحيفة فكانت تتضمن البيانات الحـكومية والاخبار المحلية والانباء العالمية ونصوص القوانين العثمانية وكذلك المقالات السياسية والادبية وحقلا لرسائل القراء وانتقاداتهم • ويمكن القول ان جريدة الزوراء تعتبر أهم مرجع يُعتمد عليه فى الـكتابة عن تاريخ العراق فى الخمسين سنة الاخيرة من الحـكم العثمانى •

الهوامش

(١)

Bernard Lewis, "The Impact of the French Revolution on Turkey", *Journal of World History*, I (July, 1953), pp. 105—125.

(٢)

J. H. Kramers, "Tanzimat," *Encyclopedia of Islam*.

(٣)

William Goodell, *Forty years in the Turkish Empire* (New york, 1876), pp. 480—482.

(٤)

Ibid., pp. 486—489.

(٥)

E. Pears, *Life of Abdul Hamid* (New york, 1917) p. 2.

(٦)

Sir Henry Elliot, *Some Revolutions and Other Diplomatic Experiences* (London, 1922) pp. 228—230.

(٧)

Great Britain Foreign office, Historical Section, *The Balkan States* (London, 1920), III, pp. 148—149.

(٨)

H. Wright, *The Constitutions of the states at War* (Washington, D. C., 1919), pp. 589—605.

(٩)

Victor Berarde, *La Revolution Turque* (Paris, 1909), pp. 102—103.

(١٠)

Ali H. Midhat, *Life of Midhat Pasha* (London, 1912), p. 154.

(١١) عباس العزاوى : تاريخ العراق بين احتلالين م ٧ (بغداد ، ١٩٥٥) ، ١١٤ ـ ١١٥ و ١٥٣ ـ ١٥٤ ٠

(١٢) جريدة الزوراء ، عدد ١ ، ٥ ربيع الاول ١٢٨٦هـ (١٨٦٩) ٠

(١٣) نفس المصدر ٠

(١٤) نفس المصدر ٠

(١٥) استمر هذا القانون يطبق ، مع بعض التعديلات التى اجريت عليه فى فترات متفاوتة ، حتى اعلان الحرب العالمية الاولى ٠ نص القانون موجود فى :

The Iraq Ministry of Justice, *Translations of the Ottoman Constitutional Laws* (Baghdad, 1921)

(١٦) الزوراء ، عدد ١٢ ، ٢٣ جمادى الاول ١٢٨٦هـ (١٨٦٩) ٠

(١٧) الزوراء ، عدد ١٣٥ ، ٢٥ محرم ١٢٨٨هـ (١٨٧١) ٠

(١٨)

Dowson, Sir Ernest, *An Inquiry Into Land Tenure and Related Questions* (London, 1932), p. 76.

(١٩)
A. H. Midlat, *op. cit.*, p. 49.
(٢٠) العزاوى ، المصدر أعلاه ، ٢٠٧ — ٢١٠ ٠
(٢١) مدحت باشا : مذكرات مدحت باشا تعريب يوسف كمال حتاتة (القاهرة ، ١٩١٣) ١٧٦ — ١٧٨ ٠
(٢٢) يعقوب سركيس : مباحث عراقية ٠ م ٠ ١ (بغداد ، ١٩٤٨) ٧٢ — ٨٢ ٠
(٢٣) الزوراء ، عدد ٥٠ ، ٧ ربيع الاول ١٢٨٧هـ (١٨٧٠) ٠
(٢٤) الزوراء ، عدد ١٠ ، ١٢٨٦هـ ٠
(٢٥)
A. H. Midhat, *op. cit.*, pp. 50—51.
(٢٦) العزاوى ، المصدر أعلاه ، ص ٢٤١ ٠
(٢٧)
M. Chiha, *La Province de Baghdad* (La Caire, 1908), pp. 100—102.
(٢٨)
Loc. Cit.
(٢٩)
V. Cuinet, *La Turquie d' Asie* (Paris, 1891—1894), III, p. 99.
و الزوراء عدد ١٦١ ، ٢٦ ربيع الثانى ١٢٨٨هـ (١٨٧١) ٠
(٣٠) ف٠د٠ طرازى : تاريخ الصحافة العربية (بيروت ، ١٩١٣) م ٠ ١ ، ص ٧٨ ٠

الخيال الخلاق(١)

(محاضرة القيت فى السوربون ـ باريس ـ فى ٢٦ تشرين الثانى ١٩٣٦)

چارلس مورگان
ترجمة : عبدالوهاب الوكيل

ان ما اريد قوله يقع بصورة طبيعية فى ثلاثة أجزاء :

أولا ، البحث فى ماهية الخيال المبدع ، وثانيا محاولة تطبيق الفكرة على أعمال الفنان ، سيما على القصاصين والشعراء ، وثالثا الاستفسار أو البحث فى مكانة الفنان فى العالم الجديد ، وفى قيمة التصور المبدع كدليل يهدى الى أسلوب من الحياة ..

فلنفحص أولا ، ما هى خواص الخيال الخلاق السلبية :

هناك مثل مألوف يقول ، ان الانسان اذا شعر بالحاجة الشديدة لشىء ما فانه سيناله ، وهذا صحيح الى حد ما ، لان معظم الفشل الذى يصيبنا يعزى الى تشتتنا الفكرى ، فى الوقت الذى تكون فيه جميع نجاحاتنا بفضل الاستقرار والتركيز الفكرى ، فالانسان الذى يرغب بعزم ان يكون غنيا قبل كل شىء ، لابد وان يحصل على الثروة ، بيد ان مقدرته على تحقيق ذلك ليست مثالا على قوة الخيال المبدع ، ومهما تكن طبيعة الخيال الخلاق وصفاته فانه ليس واسطة لبلوغ ما يجلبه الطموح والطمع ، فهو لا ينشد الحصول على منجزات معينة .. بل هو غاية مثالية متسامية أبدا ، ولعل هذه الفكرة تبدو صعبة الفهم سيما اذا ما وضعت بأبسط صورها ، فنحن عندما نتصور بشوق ورغبة نخلق ما نتصور ، وما نخلقه انذاك له قيمة حقيقية متنامية لا يمكن ان يملكها شىء آخر ..

---

(١)
Creative Imagination A lecture given in Paris at the Sorbonne, 22 Nov. 1936. First Published in ''Reflection in a Mirrer'' 2nd Series 1946.

(٢) ترجمت من النص المنشور فى
English Critical Essays (20th Century) Second Series. World Classics 1958.

لاشك انك ستدرك فى الحال غرابة النقطة التى وصلت اليها • فما معنى كلمة « يتصور » ؟ وما هو « الشوق » حسب هذا المعنى ؟ وما هى القيمة الفنية •• لن اتعبك بتعاريفى لهذه الاصطلاحات فى هذه المرحلة ، فسيظهر معناها بعدئذ ، وسأنتقل الى صلب الموضوع بسرعة اذا ما قدمت لك أمثلة على الخيال الخلاق ، ويجب ان تلتمس لى العذر اذا ما بدت هذه الامثلة تافهة صبيانية لاول وهلة ، فهى محاولاتى الخاصة للفهم والافهام •

ان الامثلة المألوفة لدينا هى تلك التى نجدها فى القصص الخرافية والتى هى بمثابة مستودعات الحكمة البشرية ، وقصص الخرافات هذه تشير دائما وأبدا الى نفس الحقائق ـ وهى ان طيش الانسان الرئيسى هو سوء استعماله للخيال ، فقد منح الانسان ثلاث رغبات ، لكنه بدلا من استخدامها بشوق للخلق والابداع ، راح يستخدمها لاشباع كبريائه وفضوله وطمعه ، وكل هذه لا قيمة لها مطلقا ، وقد منح رجل ما حق المطالبة بثلاث رغبات ، فاستخدم الاولى بدافع الشراهة للحصول على اكلة [السوساج] فقالت له امه « يا لك من معتوه تبدد هذه الرغبة فى المطالبة بـ [السوساج] بدلا من طلب صندوق بالذهب يمنحك الراحة طيلة الحياة » ومضت فى مضايقاتها اياه ، لان طمعه لم يكن كبيرا ، حتى ضاق ذرعا وتمنى ان تكون [السوسجة] فوق طرف انف زوجته ، وكانت هذه رغبته الثانية ، اما الرغبة الثالثة فكانت زوال [السوسجه] من انفها ، وعندما انتهى كل شىء ، أصبحوا كما كانوا دائما ، فلم يتم خلق أى شىء ، فالخيال الذى يستخدم لاغراض الطمع والحقد هو خيال مجدب •

وهناك قصة أخرى ابتدعتها عن اخوة ثلاثة ، منح كل واحد منهم الحق فى تمنى رغبة واحدة فقط ، فشرعوا فى مغامراتهم ، فصمم الاثنان الكبيران منهم العزم على الزواج من ابنة ملك لكيما يرثوا مملكته •• وقالا بانهما سيستعملان رغبتيهما فى هذا السبيل عندما تتهيأ المناسبة لهما • اما الثالث الذى سخر منه اخواه لغموضه وتردده قال بأنه لا يدرى بعد كيف يستخدم رغبته ، ثم قال « ان الشمس مشرقة ولدى الملابس اللازمة والماء

الـكافى ، فاذا شعرت بالجوع فهناك التوت ، وليس هنـــاك ما احتاجه الا الوحدة ، فاركبوا يا اخوتى وسأكون فى اثركم • » ولما راحوا مسرعين يضربون خيولهم بكعوبهم ، أخذ الاخ الصغير يقهقه صائحا خلفهم « من يدرى ؟ ربما تحققت رغبتى هذا المساء • » اما الآخرون فقد اعتبروا هذا الـكلام هذيان مجنون فنسوه فى الحال •

وبينما كانوا يمرون فى الغـابة ، طرق سمعهم صوت يصيح « خل سبيلى ! خل سبيلى ! اطلق سراحى رجاءً » فلم يعر الاخ الاكبر الـكلام اهمية لشدة خوفه ، وسار فى طريقه ، اما الاخ الثانى وكان متحفظا فقد استدار جانبا نحو مصدر الصوت فوجد امرأة عجوزا متسولة وقد شدت الى جذع شجرة مجوفة ، فقال لها : « سأطلق سراحك فى الحال » ثم ذهب ليأتى بفأسه المشدودة الى سرج فرسه ، فقالت العجوز : « ان الفأس لاتجدى ، وسوف تفلت منك » لـكنه كان عنيدا وذا ثقة بحكمته ، فاحضر الفأس ورفعها بكل قوته ، لـكنها طارت من يده وقد ثلمت ، فالتفت قائلا « كيف اذاً أستطيع اطلاق سراحك ؟ » فأجابته العجوز « توجد طريقة واحدة فقط : هى ان تسمح لى بأنتزاع رغبتك منك • » فهز رأسه وقال : « لى رغبة واحدة فقط ، وأنا أحتاجها للحصول على اميرة ومملـكة » لـكنه كان شابا حسن النية ومع انه رفض طلبها الا انه فعل ذلك وشعور الاسف يغمره •

وبعد فترة قصيرة وصل الاخ الصغير الى هناك يغنى بفرح لانه كان ينظم شعرا ، فلم يكد ينتبه الى صياح العجوز المشدودة الى الشجرة ، وهى تستغيث قائلة : « افرج عنى ! خل سبيلى • » حتى أخذ فأسه كما فعل أخوه من قبل ـ والاف من الرجال الاشداء غيره ـ وتقدم نحوها • وكانت العجوز طاعنة فى السن ، وقد اعياها الشباب بفؤوسهم كثيرا من قبل ، وكأن لهم جميعا فكرة واحدة ، وهى ضرب الشجرة بتلك الفؤوس التى كانت تتطاير دائما من ايديهم ، لـكن العجوز كانت تحب الجنس البشرى رغم طيشه ، وقالت بصبر مخاطبة الاخ الاصغر كما كانت تقول دائما ، « هناك طريقة واحدة فقط ، هى ان تسمح لى بانتزاع رغبتك منك » فسألها الشاب « ولـكن كيف عرفت بان لى رغبة واحدة ؟ » فأجابت ان لـكل انسان طلبا واحدا ،

فسألها الشاب « وكيف يمكننى اعطاؤك رغبتى ؟ فالرغبة ليست كيسا من الجوز يمكن تداوله بالايدى » فأجابت العجوز « كلا ليست هى كيسا من الجوز ، لـكن ادراك هذه الحقيقة يعنى بانك تعرف بعض الشىء ، وهو بداية الحـكمة ، بل ان معرفة كنه الرغبة هى بداية العبقرية ، ومعرفة كيفية اعطائها للاخرين هى بداية الورع والقوة » فأجاب الشاب متعجبا « الورع والقوة ! هذه كلمات كبيرة وليست صعبة كما تتصورين يا عزيزتى العجوز ، فاذا كنت شابة ، وجميلة ، فسيكون سهلا جدا ، اذ كنا نقع فى حب بعضنا بعضا وتصبح رغبتى جزءاً منك ، وحبك لى يجعلها ملـكا لك » .

فأجابت المرأة العجوز : « نعم ولـكنى لست شابة ولست جميلة ، ينبغى اذاً ان نأتى بطريقة اخرى . »

وراح الشاب يسير جيئة وذهابا بقرب الشجرة حتى قال أخيرا

« اذا قدر لى ان أموت فهل تنطلق رغبتى حرة وتعيش فيك من جديد ؟ »

فردت العجوز « هذا صحيح أيضا ، لـكنك الآن ، حديث السن ووافر الصحة ، وانت على سفر طويل ، وعليه يجب ان تجد طريقـة اخرى . »

فجلس الشاب على الارض والشمس تشرق من بين الاشجار وكان مسرورا لانه لا يزال فى ريعان الشباب له رغباته وامانيه ، لـكنه كان حزينا فى الوقت نفسه ، لان المرأة العجوز قبيحة وسجينة فى عالم جميل كهذا ، ولقد اعيته الحيلة لاطلاق سراحها ، وكان شديد الذكاء ففكر فى الف طريقة وطريقة ، يستخدم بها المطارق والعصى والفؤوس والبكرات لانقاذها ، لـكنه مع ذلك كان يشعر بان البكرات سترفض ان تدور ، والعصى ستتكسر ، والفؤوس ستطير من يده ، واخيرا ولانه كان حزينا ومسرورا فى آن واحد فقد راح يغنى اغنية عن الحب مهداة الى الاميرة تلك المرأة العجوز كما لو كانت شابة جميلة وطليقة ، وعندما انتهت الاغنية كانت تقف أمامه ، شابة انيقة ، وجميلة جدا ..

فقالت له : « والآن يبدو ان لك آلاف الرغبات لا رغبة واحدة ، كلما انشدت انشودة فانك تهدى واحدة منها ، وعندما تهدى الرغبة تكون قد تحققت • »

فأجاب الشاب : « ان هذا شيء حسن جدا ، ولـكن ترى ما الذى سيحل باخويَّ » على حين انها لم تعد تهتم بالرجال الاقوياء •• فقالت الفتاة « اما عن اخويك ، فسيعود المتحفظ الى فأسه الثمينة التى تركها هنا على الارض •• وسيرغب فى تحطيمها ، وهكذا سيجد نفسه مساءً حيثما كان صباحا ، اما الاخ الخائف فقد واجه دباً وتحول الى اسد ، ولن نسمع منه شيئا اللهم الا زئيره • »

ولن اجرد اسطورتى هذه من حسناتها عن طريق تفسيرها ، فلابد وانك قد ادركت عنها حقيقتين : الاولى هى ان الدافع الى الخيال الخلاق ليس عقليا بل يتعلق بشكل من الاشكال بالفرح المفرط ، اذ ربما يكون الشاب قد نجح عن طريق الحب أو عن طريق الموت ، وقد نجح فعلا عن طريق انشاد أغنية غزلية بطريق الشعر •

والحقيقة الثانية هى ان الخيال انما هو عملية مشتركة ، فهو نتاج قوتين متفاعلتين ، قوة العطاء ، وقوة التسلم فالشاب لم يرغب فى اطلاق سراح العجوز فحسب ، بل اعطـاها امنية ، واشبعها خياله ، فاستلمت الامنيـة واستجابت لها •• وسوف اتوسع فى شرح هذه الافكار واطبقها على أمثلة اخرى من الخيال المبدع •

وسأشير باختصار الى ناحية واحدة ، هى مسألة الدعاء ، لان الموضوع اوسع من ان يُلَمَّ به تارة ولانى لا أرغب فى تحـدي المعتقدات الدينية تارة ، لـكن الحقيقة المسلم بها عند جميع فقهاء المذاهب المختلفة هى ان الدعاء واسطة يستطيع الانسان ان يحدث بها تغييراً روحيا ، وسواء أكانت نتائجها المادية اكثر ام لا ، فان ذلك ليس موضوع بحث الآن ، ان وظيفة الخيال المبدع هى احداث التغيير الروحى كى يتغير قلب الانسان وطبعه ، وهذه

الناحية من الدعاء فقط هى موضوع اهتمامنا الآن ، فالدعاء الذى يحدث مثل هذا التغيير الذى يطابق تماما الشرطين اللذين اعتقد انهما من خصائص عملية الخيال المبدع ، هو عملية انفعالية فكرية ، وهو فعالية مشتركة بين الانسان والهه ، وهو تسلم واشباع ، لـكن الانسان فى هذه الحالة ليس هو الشخص المعطى والمشبع ، فان صلواته وجميع انظمته الدينية الصارمة ، وتمارينه العظيمة سواء كانت كاثوليكية أو بروتستانتية ، بوذية أو هندوكية ، تهدف فيما تهدف الى تطهير نفسه من الادران الروحية ، وتفتح قلبه كى يستقبل الهه ويدعو الروح السامية للدخول فيه واحتلاله • ان جميـــع الـكتابات الصوفية التى عثرت عليها تروى قصة مماثلة لهذه ليس ذلك لان الانسان استطاع الوصول الى الخالق بل لانه تمكن فى النهاية من التغلب على مقاومته الجسدية (المادية) والعقلية للخالق وكان القديسون فى العصور الوسطى يتكلمون باستمرار بلغة مجازية غزلية مشبهين انفسهم بالعرائس تتهيأن لاستقبال أزواجهن ، وقد تختلف هذه الاستعارة فى الشكل بيد ان جميع النصوص الصوفية المـكتوبة لمختلف الشعوب تعطينا وصفا مماثلا لعملية الخيال المبدع التى تتم بواسطة التفاعل المشترك بين الرجل النشوان والروح الاعلى فى تقبل واشباع يعصف بهما الحب •

ولنتمهل قليلا لنتأمل المدى الذى بلغناه ••• قلنا ان الخيال الخلاق ، هو واسطة لاجراء تغيير روحى يكون الحب شرطا فيه ، لان الحب جوهر القيم الروحية ، ويجب تميزه بحذر عن الرغبة فى الشىء والحاجة اليه ، كما يجب تميزه بحذر مماثل عن الوهم واحلام اليقظة ، فالعلاقة المميزة هى ان هذه الاعمال ، أى الحاجة والرغبة والتوهم ، هى أعمال مفردة تخص الشخص نفسه ويستطيع القيام بها بنفسه بينما يحتاج الخيال الخلاق لوجوده ما تحتـــاج اليه القوة المغناطيسية من قطبين ، سالب وموجب ، فهى عملية مشتركة ، وليست فردية ، تحتاج الى جذب موصل بين المعطى والمتسلم ، وما الفن الا نوع من هذا الجذب •

— ٢ —

وبهذا أكون قد بلغت صلب موضوعى ، فانا على وشك القول باننا عندما ننْقُدْ عملا فنيا كثيرا ما نميل الى مناقشته بلغة الاصطلاحات ونقيم احكامنا على أساس الاجوبة التى نضعها لانفسنا ، ومهما تكن الاسئلة مهمة فان اهميتها قليلة بالنسبة للسؤال الذى نطرحه على انفسنا والذى هو الاساس الذى يقوم عليه ، أو بالاحرى ، يجب ان يقوم عليه موضوع التذوق الفنى ، فهو أساس التذوق الفنى لانه أساس الحياة ، فقد اعتاد الناس ان يتساءلوا عن أى كتاب أو أية صورة يعثرون عليها ، هل هى رومانتيكية ؟ هل هى طبيعية ؟ هذه الاسئلة كانت تبدو مهمة وحيوية بنظر معاصرى « موسيه » ومن ثم معاصرى « زولا » ولو انهم اجابوا بنعم فقد فعلوا ذلك باستحسان ، واذا اجبنا نحن اليوم عن نفس السؤال بنعم فربما فعلنا ذلك باستياء ، فقد تبدل الاتجاه ، الم يعم الصخب فى احدى المسارح قبل مائة عام تقريبا لان « فكتور هيوكو » ظهر وكأنه قد احدث ثورة فى الفن عن طريق ادخال استعمال « التدوير » فى الشعر الدراماتيكى من وزن « الالـكساندرين » ؟

ونحن نرى اليوم بان عمله ذلك لم يأت بأى خرق لاى مذهب فنى مهم ، كما اننا لا ننفى صفة الفنان عن « هيوكو » لمجرد ان راسين يتمتع بها • ويبدو ذلك النقد المعاصر غير وارد أو صحيح الآن بخصوص تأثيره على طبيعة الفن نفسه على الرغم من كونه معقولا وطريفا لاسيما وانه ينبه الاذهان الى تنوع الاشكال الادبية ، فاذا كان غرض النقاد هو التحقيق فيما اذا كان « هيوكو » فنانا أم لا فانهم قد اخطأوا فى صياغة السؤال ، وكذلك الحال معنا •• فالتحدى الشائع اليوم للـكاتب المعاصر هو التساؤل عما اذا كان ذلك الـكاتب مجددا وفيما اذا كان يتماشى مع روح العصر ، وقد نذهب أبعد من ذلك فى التساؤل عما اذا كان يعترف بان أهوال الحرب تهدد العالم ؟ وهل ان كتاباته تعكس هذا الهم الذى يشغل العالم ؟ فاذا لم يكن كذلك فهو اذاً « رومانتيكى » يستحق اللعنة •

وهناك سؤال آخر تقام الاحكام الفنية الجمالية على أساسه وهو : هل ان هذا الـكاتب من الحزب الذى نتمى اليه ؟ وهل هو يسارى ام يمينى ؟

ولست بحاجة الى التأكيد على مدى شرور ومضار مثل هذا السؤال فيما اذا القى فى هذا المعهد المكرّس للعلم والمعرفة الحيادية .. ولكنى التمس منكم ان تلاحظوا أن سؤالا واحدا كهذا يؤدى بنا الى التساؤل عما اذا كان الفنان عصريا ، وهذا بدوره يؤدى الى التساؤل عن الناحية التى يعد بها فنانا عصريا ، ولا يبتعد هذا كثيرا عن السؤال عن الحزب الذى ينتمى اليه ..

فالى هذا السؤال سوف تقادون انتم فى فرنسا ، ونحن فى انكلترا اذا استمر كل منا فى تساؤله الخاطىء عند الحكم على العمل الفنى ، فليس السؤال المعقول هو عما اذا كان الانتاج « رومانتكيا » أو « واقعيا » أو « رمزيا » بل هو عن كونه عملا من الخيال الخلاق ام لا ؟ وهل يحتوى فى طياته بذورا تمكن الناس من القيام بعملية التصور الخلاق ، ولأجيال عديدة أيضا ؟ من المؤكد انه لا يوجد عمل فنى خالد بنفسه ، فخلوده وموته لا يتوقفان على ماهيته التى يتم الحكم عليها بمقاييس معاصريه فحسب ، بل على قوة التحول الكامنة فيه ، فاذا قدر له ان يدوم ويبقى ، فيجب ان يتم خلقه باستمرار فى اذهان اولئك الذين يتقبلونه ، ويجب ان يكون له معنى جديد بالنسبة لكل جيل ، فاذا اردت ان تثمن « راسين » فهل تعتقد بانك ستثمنه لنفس الاسباب التى جعلته عظيما فى القرن السابع عشر ؟ ..

فالمسرح الفرنسى والفكر الفرنسى فى العصر الحاضر لم يعودا يتطلبان من الكاتب المسرحى ان يتحدث عن التقدم عن طريق الرسل ، ويوضح أشخاصه بواسطة المؤتمنين على الاسرار ، وباختصار فان البناء المسرحى الكلاسيكى الذى سار عليه راسين بصرامة يعارض تماما روح النقد الحديث ، ومع ذلك ، ورغم الهجوم الذى يلقاه من الكثير من النقاد فراسين لازال حيا ، مستقولون : [ماذا ؟ هل نعتبر « راسين » مثلا فى الخيال الخلاق ـ راسينا الذى مهما تكن مزايا شعره ، فهو كأى مثل ردىء يمكننا اختياره من بين الفنانين المبدعين العظام الذين يؤججج خيالهم نارا فى قلوب المعاصرين] وستقولون ان لراسين مزايا بارزة عديدة استحسنها « بوالو » ولكن لماذا اخترته أنت الانكليزى الجاهل ، لتوضيح مقالتك هذه ؟ لقد كان من الاسهل

جدا اختيار « موليير » أو حتى « كورنى » لـكنى اخترت « راسين » لانه صعب ، واذا ما نجحت فى اقناعكم بانه لا يزال حيا لانه كان يملك فى داخله بذور الخيال لخلاق فسأكون قد خطوت خطوة واسعة فى سبيل تثبيت وجهة نظرى هذه ، واعتقد بانكم ، وخاصة اولئك الشباب منكم والذين هم فى ثورة دائبة ضد الاشكال الادبية الـكلاسيكية ، لن تستطيعوا الجلوس لو كنتم فرنسيين وذوى حس مرهف ، أثناء عرض مسرحية « فيدر » دون أن تهتز مشاعركم بين آن وآخر بالرغم من الممانعة التى تبديها نفوسكم ، اليس كذلك ؟ لـكم ان تقولوا ما تشاؤون ، ان كمال راسين يجلب الملل وهو لهذا السبب يعد ضعيفا ، وأنا بصفتى انكليزيا يعشق الشذوذ الرائع الذى يحتويه انتاج شكسبير الفنى اميل الى تأييدكم ، ولـكنى واثق من وجود أبيات شعرية فى « فيـــدر » تنتزعنى من نفسى ، وتجعلنى اكبت انفاسى ، وتبعث فى روحى السحر وفى خيالى الحياة ، مهما تعجز أذنى عن تحسس الـكمال الموجود فى لغتكم ، على الرغم من ان ما توحيه الىّ هو ما لم يتصوره راسين • ولا ازعم انى مهتم جدا بمصير أى واحد من أشخاص مسرحيته ، لـكنه يحمل فى عبقريته ذلك السيف الحيوى الذى يضربنى به فيسبب لى حياة جديدة مستقلة ويجبرنى على التخيل بنفسى ، وهذه هى المقدرة الحقيقية والخلود الحقيقى للفنان •

ويمكننى اذا سمحتم ان اورد مثلا آخرا من لغتى الانكليزية ولا يختلف فى النوع •• لقد جرت العادة فى انكلترا ان نصف شكسبير بأديب مسرحى عظيم ، ونعتبر انتاجه الادبى يضم خلاصة الحـكمة البشرية ، ولا اشك فى حكمته وسعة تجاربه أو عمق وتنوع تعاليمه الخلقية التى نجدها فى كتبه ، فهذه الاشياء تزيد فى عظمته ، لـكنها ليست جوهر تلك العظمة ولا السبب فى خلوده ، والبرهان على ذلك كائن فى نشـــوة الرجل وصفته التى توسع فجأة خيال الســـامع ، ويمكن ان نجدها فى قصائده الغنائية مثل :

اين تمرحين يا سيدتى ..
هلا تمهلت وانصت ، فحبيبك المخلص ،
الذى يجيد الغناء بألوانه ، قادم
لا ترحلى من هنا ايتها الحبيبة الجميلة
فان الاسفار تنتهى بلقاء المحبين
وهو ما يعرفه كل انسان مبصر

★ ★ ★

ما هو الحب ؟ انه مما لا نجده فى العالم الآخر
فالجذل الانى ، يجلب الضحك فى الحاضر
اما ما يأتى به المستقبل فليس بأكيد
والتأخير لا يجلب الكثير
فتعالى قبلينى ايتها الحبيبة ، ابنة العشرين
فالشباب مادة لا تدوم

★ ★ ★

وانت ترى أن ما يقوله شكسبير فى هذه القصيدة لا يزيد عما يأتى : [انت شابة • الحياة قصيرة • قبلينى الآن •] ولا يحتوى هذا القول على فلسفة اصيله أو تجربة فريدة ، ولا تعاليم خلقية عميقة ، فهو يردد ما قاله معاصروه الاليزابيثون باستمرار لانهم كانوا فى فزع دائم من ان يشوه الجدرى جمالهم ويلتهمهم الموت فى سن مبكرة • وبينما راح كثير من معاصريه يكتبون باسهاب فى هذا الموضوع حتى أصبحت كتاباتهم لا تثير اهتمامنا نحن الذين لا نخشى الجدرى ، كتب هو بنفس الموضوع ما اعتقده أعظم قصيدة صغيرة فى اللغة الانكليزية •

واذا ما أصبحت « هملت » فى عداد النسيان يوما ، فانى اعتقد بان هذه القصيدة سوف تذكر وتردد .. لماذا ؟ ليس ذلك بسبب محتواها بل لما توحيه وتنقله الينا من خارج نفسها ، فانا اشعر عندما اقرأها كأنى ازيد معرفة وخبرة بالحياة فيزداد شعورى بالشباب والحب الحقيقين اللذين تخفيهما المظاهر •

وتختلف بهذه الناحية عن القصائد التى هى أقل شأنا ، والتى تحفل بالشباب وبحب امرأة معينة مهما كانت تلك القصائد جميلة • ولنا ان نضع المسألة بهذه الصورة ، فنقول ، ان القصائد الاقل شأنا تلقى ضوءاً على وجه معين أو عدة وجوه ، لـكن هذه القصيدة الغنائية تملأ نفس القارىء باشعاع مقدس حتى اذا ما قرأها شعر بانه أصبح ـ ولو للحظات ـ اله يتمتع بسلطة الآلهه وحبهم ورحمتهم ، ويحدثنا « ديستويفسكى » عن رجل كان يركع امام امرأة وهو يناجيها بقوله : [اننى لا اركع لك ، ولـكن للبشرية المعذبة بك] وهذا وميض مماثل من العبقرية • ولا يوجد فنانون ثلاثة يختلفون فيما بينهم كما يختلف راسين وشكسبير ودستويفسكى ، كما لا يوجد فنانون يختلفون فى أساليبهم كما يختلف هؤلاء ، لـكنهم يشتركون فى الامثلة التى اعطيتها بصفة واحدة : وهى انهم يتمتعون بقوة يصبحون بوساطتها الوميض الذى يسهل الاتصال بين الالهه والبشر ، ويرتفع بخيال القارىء عن المستوى المادى فيرى الله ويدخل فى ملـكونه ، ويمكنك ان تفسر لفظة « الله » التى استعملتها كما تشاء ، فلست بعالم دينى ، لـكنى اعلم بانه اذا لم يكن لهذه الـكلمة عندك من معنى ، فلا يمكن ان يكون للفن عندك من معنى ، ولا للخلق من معنى ، ولا للخيال من حدود ••

★ ★ ★

ـ ٣ ـ

فكيف ينبغى اذاً ان يعيش الفنان ويعمل ؟ لقد كتب « جورج مور » فى رسالة وجهها الى فتاة شابة جـدا كانت تتدرب على طريقته الفنية ، الـكلمات التالية :

[اذا ما فضلت الخروج للترفيه عن نفسك عندما تشعرين بعجز عن الـكتابة ، فان فنك سوف يتدهور وينعدم ، فحياة الفنان فى هذه الناحية اشبه بحياة « البهلوان » الذى يجب ان يتدرب على حرفته يوميا سواء كان

الوحى بجانبه أو بعيدا عنه ، اذ يجب ان لا ينتظر الوحى بل يواصل استدعاءه دائما •• ولابد للوحى ان يستجيب له يوما ما •• واذا اردت التمتع بحديث عرائس الشعر فعليك ان تعدى لها ساعات من الهدوء ، وان لا تشعرى بالخيبة اذا ما خالفت الوعد الذى ضربته لها • ولكى تستقبلى عرائس الشعر الاستقبال اللائق بها يجب ان تكون لديك شقه خاصة ، وان تتناولى الطعام فيها بمفردك دائما ••]

ولابد انك قد لاحظت بان « مور » و « بودلير » يقارنان بين حياة الفنان وحياة « البهلوان » : فهو يجب ان يتدرب باستمرار على صناعته وان يمرن عضلاته دائما •• لكنى أقول ان الفنان يجب ان يحكم على حياته فى ضوء حياة القديسين الذين لا يتدربون على صناعتهم فحسب فى طقوسهم الدينية بل يهيئون انفسهم ويروضونها للرضوخ والاستسلام ، ويشير « مور » نفسه الى هذه الفكرة فيقول : [يجب ان تتناولى الطعام فيها بمفردك دائما •]

ويجب ان نبحث أولا فى مسألة تمرن الفنان على صناعته ، فلو ان الصناعة كانت هى الغاية بذاتها لاصبحت عديمة الفائدة ، فكثير من الناس يشمئزون من الرجل الذى يقضى شهرا كاملا فى دراسة مقطع واحد ، ذلك لانهم انفسهم غير قادرين على الصبر والتحمل ، ويزعم هؤلاء النقاد بان الحرف المعقدة ليست الا ضربا من الغرور والكبرياء ، فهم يقولون [هل يعتقد المستر جونس بان اهميته قد بلغت حدا تلزمه بان ينتقى كل كلمة من كلماته وكأن القدر ومصير العالم مرتبط بها ؟] والجواب على ذلك بسيط جدا • ان الصناعة اليدوية الدقيقة هى عمل يدل على التواضع لا الكبرياء ، فالرجل المتكبر الذى تغمره مشاغل العالم يعتمد على نفسه ، فهو يؤمن بحكمته هو ، كما انه معجب بذكائه فهو يسطر ما يجول بخاطره كما يرتجل السياسى على قارعة الطريق خطبة فارغة ، وبالعكس فان الفنان

عرف فى قرارة نفسه انه لا شىء ، ويشعر بانه ليس الا اداة ، وان واجبه يستدعى تحسين هذه الاداة وليس هو المسؤول عن اشباع خيال الاجيال القادمة ، وان المسؤول عن كل ذلك هو تلك القوة الخالدة الخارجة عن نفسه والتى يسميها بعضهم الله ، ويدعوها بعضهم الآخر « عرائس الشعر » والتى تعمل بوساطته •

وثمة عقبة اخرى يجب مجابهتها ، فكثيرا ما قيل ، انه لما كان الناس الاعتياديون ليسوا من محترفى صناعة الادب لذا كان الاسلوب بنظرهم عبثا ، وعليه فهو مضيعة للوقت • ولـكن هل يمكن القول انه لما كان أغلب الناس الذين يرتادون المسارح ليسوا من الممثلين أو النقاد لذا فلا يمكن ان يتأثروا بأسلوب التمثيل ؟

وهناك جواب بسيط على ذلك ، فانا أعتقد بان قليل من الفرنسيين فقط هم الذين يمكن ان يخالفونى بأن اثر ترجمتهم للـكتاب المقدس فى تفكير فرنسا كان ولا يزال أقل من الاثر الذى احدثته [النسخة المصدقة] فى لغة وتفكير انكلترا • وذلك لان اثر [النسخة المصدقة] لـكتابنا المقدس شىء يتعلق بالاسلوب وهو معجزة أدبنا البارزة ويقال ان هذا الاسلوب قد ابتدعته لجنة قام بتعينها الملك « جميس الاول » فاذا صح ذلك فهى الخدمة الوحيدة التى اسدتها لجنة انكليزية للفن ، فمحتواها وتاريخها وتعاليمها الخلقية كلها متضمنة فى انجيلـكم ولـكن انجيلنا غرة رائعة فى الاسلوب وقياس لجميع مؤلفاتنا الادبية ، والمصدر المطلق لقواعـد النحو والصرف عنـــدنا ، والحرارة الـكامنة فى الحـــديث الاعتيادى للفـــلاح والتاجر والارستقراطى التى تتناقلها الاجيال •• فلقد صنع الانجيل الشىء الـكثير فى سبيل وحدة وعظمة وبناء الشخصية الانكليزية ، مما لم يفعله أى شىء آخر الا البحر ، وليس ذلك للمادة التى يحتويها ـ ذلك لان تراجم اخرى

صنعت من نفس الاصل ولـكنها لم تحدث نفس الاثر ـ بل لان الاداة التى استخدمها الفنان كانت فى غاية الـكمال •

فمـاذا نعنى بالوصول بالاداة الى غـاية الـكمال ؟ وما هو الاسلوب الـكامل ؟ أليست أساليب الفنانين جميعا متباينة ؟ فكيف جاز لنا وضع قواعد ؟ من الطبيعى ان يتعذر علينا ذلك • ولـكننا اذا ما بحثنا هذه النقطة من ناحية الخيال الخلاق وليس كصراع بين الواقعية والرمزية والانطباعية فستظهر لنا بعض الافكار القيمة ، لقد استعملت فى كتاب لى سابقا هـذه الـكلمات « ان الفن هو اخبار عن الحقيقة التى لا يمكن التعبير عنها بصورة مغايرة » •

اذ لا يمكن التعبير عن الحقيقة (الحقيقة التى تقفيها المظاهر) لسببين : ليس لانها غامضة بذاتها ، لان جميع الصوفيين الذين يزعمون أنهم اهتدوا اليها يقولون انها ، فوق كل شىء ، بسيطة ••

« كأنها هالة عظيمة من شعاع صاف ليست له نهاية ، وهدؤها التام يضاهى بريقها » ولـكن لاسباب تتعلق بضيق لغتنا وقصورنا فى التعبير فاللغة تقوم على ملاحظة المظاهر بينما تتعدى الحقيقة جميع المظاهر وتتسامى بعيدا عنها ••

فاللغة اداة خصصت للتمييز بين أشياء معينة ولتحديد وجوه الشبه والاختلاف بينها فى الوقت الذى تتعدى الحقيقة جميع الفروق وتؤلف منها وحدة كاملة ، لا وحدة الاشياء المخلوقة فقط بل وحدة الخالق والمخلوق • وهذه هى أهم نقاط الضعف فى اللغة ، والغرض من الاسلوب هو التغلب عليها بان تُستعمل اللغة بحيث يتشبع بها خيال القارىء ومن ثم يأتى بثمار طيبة فيجتاز بها جميع الفروق التى تمليها المظاهر الى عالم الوحدة الحقيقية • وكلما زدنا استقصاءً عن ماهية الاسلوب الذى يمكن القراء من الوقوف

على (اخبار الحقيقة) من خلال الضجة التى تحدثها الكلمات فان الجواب ، كما يبدو ، يتوقف على عاملين : الشكل والقوة الكامنة فى النص ، فالشكل الذى ينبغى للفنان استخدامه يجب ان يقرره هو طبقا لطبيعته ، اذ تتوقف شخصيته على اختياره للشكل ، ولكى يصبح عمله خالدا يجب ان يكون له شكل منتظم ، أى انه يجب ان يعطينا باستمرار وفى كل جزء من أجزاءه سواء فى جمله أو فقراته أو مجلداته انطباعا مماثلا لذلك الانطباع الذى نحصل عليه من قصده « السونت » Sonnet أو من الحياة نفسها ، وهو ان النهاية هى نفسها البداية وان الاشياء الناقصة تسير فى طريق الكمال • ان الغرض من القافية هو التجاوب مع اللفظة السابقة ، وقيمة جميع الاشكال الادبية كائنة فى خلقها فى النفس حالة من التوتر أو الاحساس العنيف والتأثر الروحى والشعور العميق بالتوقع والامل الذى هو بمثابة المحرك للخيال ، وذلك عن طريق الايحاء بامكانية اشباع ما لم يشبع بعد • وكما يرى فى الموت تحقيق أمل معين وفى الحب تحقيق أمل آخر اذ يفتح كل واحد منهما مجالا لتوقع أكبر من الذى تحقق فعلا ، كذلك يمكن ان يكتشف فى أى لون من النتاج الفنى ذلك الضمان السلمى الذى ينبع منه الخيال • ولكن الشكل الادبى وحده غير كاف ، ففى الاسلوب العظيم تكمن قوة هائلة تتحسسها كلما مضيت فى قراءتك حيث تشعر بان جميع عوالم الحقيقة تتفاعل فى ذهن الكاتب فتمد بصرك الى السماء وتبدأ فى التصور فتتفتح سماواتك الخاصة أمام عينيك ، وانا عندما اطلب من الفنان اداء واجبه الاول ، وهو تحسين الاداة التى يستخدمها فى عملية الفن ليس لاعتبارى الاسلوب زخرفة لفظية ، بل لانى اؤمن بان الشكل والقوة الهائلة الكامنة فى العمل الفنى انما هما تطهير للنفس البشرية •

وللفنان وظيفة أخرى أكثر خطورة ، هى التمرن على الاستسلام ، فقد قال (جورج مور) « اذا اردت ان تنصت الى عرائس الشعر فعليك

تهيأة ساعات من الصمت لها » ويجب ان لا تكون الساعات ساعات صمت فحسب بل ساعات استسلام أيضا ، ويجب ان لا تشك فيها أو تجزع لغيابها ، كما يجب ان لا تستخدمها عندما تأتى اليك لاغراضك الخاصة من قوة وغرور وانما كما تشاء هى فى ان تستخدم ، واذا ما دعاك الناس « استاذاً » فليس لانك أنت الذى علمتهم ذلك ، واذا كرهوك وضحكوا منك فلا تكرههم أو تعاملهم بالمثل ، وانما الق على نفسك سؤالا واحدا فقط ـ هل خنت عروس الشعر ؟ ـ وعند ذاك يمكن تبرير مقتهم لك ، اما اذا لم يكن فى الامكان تبريره فلا تتوان فى تحمل ذلك المقت من أجلها هى ، ويجب ان لا تكيل الصاع بالصاع وان لا تشغل نفسك بالجدل الشخصى أو أى نقاش الا فى الدفاع عن حرية الفنانين ليكونوا فنانين ، كما يجب ان لا يشغلك امر معاصريك كثيرا الا فى الكشف عن الخير الذى يكمن فيهم ويجب ان لا تنظم الى أى حزب أو طائفة ، بل ينبغى ان تكون وحيدا فى سلام •

ويجب ، قبل كل شىء ، ان لا تخشى الهزء ، وان لا تخشى الكشف عن نفسك ، فالخوف من ان نكون موضع سخرية الناس هو لعنة الادب المعاصر ، فكثيرا ما يقال لنا بان روح عصرنا هذا ساخرة ومشككة وان جميع كتاباتنا يجب ان تؤخذ بتحفظ ، ان هذه النظرة ناتجة عن رهبة مهلكة ستؤدى بدورها الى مهارة مجدبة ، كالقصائد المبنية على الحقد الفلسفى ، والروايات التى كتبها رجال سرعان ما يحتقرون شخصياتهم الروائية لئلا نضحك منهم لاختيارهم واعجابهم بشىء كثير العيوب كالرجل أو لحبهم شيئا ناقصا كالمرأة ، بيد ان الرجال والنساء بطيشهم وآلامهم ، بآمالهم والخير الذى يكمن فيهم ، يكوّنون المادة التى يتألف منها الفن عندنا ، وعلى الفنان ان يخضع لها كما يخضع للاشياء الاخرى • فوجود الفنان فى العالم لم يكن للتضحية بالبشرية بل لخدمتها •

ومع ذلك فطالما قيل ان الكاتب الذى يقضى حياته فى الطريقة التى ذكرتها ويكرس جزءاً كبيرا منها للتأمل ولاجراء التحسين البطىء على صناعته يكشف عن المشاعر الانسانية نحو اخوانه البشر ، ويكون انانياً فى انكماشه الظاهرى عن المجتمع ، فكثيرا ما يتساءل الناس عن قيمة فنه فى عالم مضطرب وعن المعنى الذى يمكن ان يتضمنه بالنسبة للرجال الذين ينشدون عملا ، والنساء والاطفال الجياع وبالنسبة للكتل البشرية العظيمة المكافحة من اجل الاطمئنان والسلام • كما يجرى التساؤل عن قيمة القصة بالنسبة للرجال الذين يرهبهم الموت ، لاسيما القصة التى لا تعكس مبادىء أى حزب معين والتى لا تعنى بالكفاح المعاصر من أجل العيش ، ويطلق على اولئك الكتاب الذين يؤلفون مثل هذه القصص أحيانا تعبير (المطلقين للحياة) فاذا كان الجواب على ذلك بنعم عندئذ تؤدى الدهشة من وجود ملايين القراء المتحمسين لهذه القصص فى أنحاء العالم الى اتهام آخر وهو ان هؤلاء القرّاء انفسهم (مطلقين للحياة) أو انهم متلهفون للفرار من الحياة • وأنا أتذكر بانى عندما زرت ألمانيا لآخر مرة فى حزيران ١٩٣٤ استقصيت بكل عناية موقف الحكومة من الفن • وكنت أفهم جيدا سبب خنقها للآراء المعادية للنظام القائم ، لان ذلك العمل مألوف فى الاقطار التى قامت فيها ثورات ، فالحكومة التى تقام بالقوة والتى ليست متأكدة من مكانتها ، لا ترغب فى مواجهة النقد ، ولكنى امعنت فى الاستفسار عن الموقف الرسمى نحو الاعمال الفنية التى تمتنع عن الخوض فى الامور السياسية كلياً ـ وتعنى قليلا بالشعر الغربى المحض كما فى (روميو وجوليت) أو (ينابيع الربيع المتدفقة) (لترجنيف) فأُخبرت بانه على الرغم من عدم منع مثل هذه الكتب الا انها تُعامل بازدراء واهمال وذلك لانها لم تؤيد الحكومة بالفعل ولم تعكس وجهة النظر النازية ، فاولئك الذين يتحدثون عن الفنان بصفته (مطلقاً للحياة) انما هم نازيون دون ان يعلموا • فهم يفرضون ان لا شىء يستحق الكتابة عنه ما عدا نظراتهم الخاصة للعالم ، تلك التى عبر عنها النازيون بلفظة Weltanschauung (النظرة الى العالم) •

ولنبحث نفس المشكلة من وجهة نظر أخرى ـ ليس من وجهة نظر الكاتب نفسه بل من وجهة نظر القارىء العادى ، فكثيرا ما قيل بان الكاتب الذى لا يعنى مباشرة بمشاكل العصر والذى يفكر بالرجال والنساء كأفراد لا كوحدات فى كتل بشرية سواء أكانت تلك الكتل اما ، أو عناصر أو طبقات اقتصادية ـ فان مثل هذا الكاتب لا يقوم بأى مجهود لزيادة السعادة أو تقليص شقاء الجنس البشرى ، أو انه اذا ما قام بأى وظيفة فانه يقوم بها بفعل المخدر ، وليس هذا بصحيح ، واذا ما طبقنا فكرة الخلاق على القارىء العادى فسنجد انه ليس بصحيح وسنشعر بوجود علاقة بين الفن والحياة فى العصر الحاضر والتى لم يعترف بها اولئك الذين يطلقون على انفسهم بكل كبرياء لفظة (معاصرين) •

ولكى نميز بوضوح بين السعادة والمتعة الحسية ، نقول ان المتعة تعتمد على الاشباع الآنى للرغبة • اما السعادة فهى الشعور الذى يلازم الانسان احيانا بان للحياة قيمة وانها تسير نحو هدف عظيم وانها فوق كل ذلك تحقق كمالها بنفسها • والشقاء هو تشتت وانقسام الفكر وشعور بالخيبة والضلال والحياة القائمة على الصدفة التى لا تخضع لنظام أو شكل ثابت ، فالحياة الشقية اشبه بكتاب ردىء ينتقل من هنا الى هناك دون الالتزام بشكل نظامى • والصعوبة الرئيسية فى الحياة هى الصعوبة التى يجدها الجميع فى الوقوف على الشكل الحقيقى للحياة التى نحياها أو ادراك ما اذا كان لها أى شكل منظم •

ان من خصائص حياتنا الحاضرة (وهى صفة تميزنا عن اسلافنا وتضفى معان خاصة على لفظه « حديث ») هى انه عندما يكون الناس تعساء فان شقاءهم ينبع من هذا الانقسام فى الفكر ، من الحنين غير المجدي الى النظام والتعقل فى الحياة • ان هذا هو عصر الشك ، فعندما تخلى كثير من الناس عن معتقدات آبائهم أخذوا يبحثون عن عقائد تحل محلها • فعصرنا هذا

هو عصر العلم الذى طغت فيه معلومات الانسان على حكمته وأخذت تتملكه فكرة القوة المخربة الكامنة فى اختراعاته والتى لا يستطيع السيطرة عليها • انه عصر تناقض مخيف نجد فيه نظام التوزيع ناقصا جدا ، فبينما تُتلف المواد الغذائية فى جزء من العالم ، نجد الرجال والنساء يصرخون فى طلبها فى جزء آخر منه ، وهو بالاضافة الى كل ذلك عصر التساؤل الذى لا يجد فيه الشباب مخرجا لتحمسهم ، فهم دائما فى سؤال : لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ ما هو معنى حياتى هذه ؟ ما هو النظام الذى نسير وفقه ؟ ما هو شكل الاشياء القادمة (فى عبارة هـ • ج ولز) ؟ وعندما لا نجد لهذه الاسئلة جوابا يحل الشقاء والاضطراب أو الضجر العقيم ، فهذه هى طبيعة الشقاء الحديث •

ولنطرح السؤال « لماذا ؟ » ثانية • اننا اذا ما فشلنا فى ادراك الشكل الذى ستتخذه الاشياء فى المستقبل وتعذر علينا من بين الارتباك الذى يطغي على الحياة الحاضرة ، الوقوف على نظام لها يتمم نفسه ، اما يعزى الفشل عند ذاك الى جدب فى الخيال عندنا ؟ فاننا فى قرارة انفسنا نشعر بوجود شكل حيوى ينتظر الكمال ـ فاذا لم نشعر بذلك فلا يوجد سبب يدعونا الى الحياة الا قليلا ولا فى الكفاح من اجل الحياة بصورة أحسن مطلقا ـ ومع ذلك فنحن نعجز عن تصور الشكل وهو كامل • وهذه هى اهمية الادب للقارىء العادى ، والصور للمشاهدين ، والموسيقى للمستمعين والفن للبشرية • فبدلا من أن تخدره نراها تدفعه لكى يتصور تلك الاشياء التى لا يستطيع بغير تصورها معرفة نفسه أو أسعادها وجلب الاستقرار لها • فبهذا المعنى فقط يمكن ان نطلب من الفن وظيفة (العمل كمرآة للطبيعة) ، فليست قيمته الاساسية كائنة فى تمثيل الحقائق التى تجرى ملاحظتها فى الحياة أو التعليق على تلك الحقائق ، انها قيمة كبيرة فى قابليتها فى العمل كمرآة للانسان بحيث يستطيع ان يرى ما كان عليه وما سيكون عليه ، وان يدرك (عن طريق عمل خيالى خلاق) نفسه جزءاً من الطبيعة ، وان يكتشف الخالق فى نفسه • فعن طريق الشكل الفنى وقوته الدافعة فيه

يستطيع الفنان العظيم ان يوصل فكرة الشكل المنظم الى البشر ، كما هى الحال مع الشاعر فى القصة الخرافية التى رويتها • ويستطيع الفنان ان يهب رغبته حيث يتسلمها الناس سراً فى قلوبهم فتتضاعف وتؤدى مهمتها • فالفنان لم يخلق فى العالم من أجل المجد والقوة • انه موجود لكى يصغى كما انه موجود ليتحدث وكى تستطيع الانسانية (المرأة العجوز سجينة الشجرة) بوساطته ، وهو الرسول المخلص والاداة الالهية ، من اعادة خلق نفسها باستمرار •

العصر الحديث ودبلوماسية المؤتمرات الدولية

الدكتور فاضل زكى محمد

قبل البحث فى الموضوع يجدر بنا القاء نظرة عامة نستعرض فيها مدى الفرق بين مفهوم الاجتماعات الدولية (Conferences) وبين المؤتمرات الدوليـــة (Congresses) • اذ أن استخدام هذين المصطلحين من دون توضيح سوف يبقى أمامنا الابهام الذى طالما هو مبعث للوقوع فى الخطأ فى كثير من الاحيان •

فنهاك الاعتقاد لدى بعض الكتاب بوجود فروق أصيلة بين الاجتماعات والمؤتمرات الدولية • وعلى هذا الاساس فانهم ينظرون الى المؤتمرات نظرة تختلف عن نظرتهم نحو الاجتماعات الدولية • فالمؤتمرات بالنسبة لهـم تتميز بكونها أكثر رسمية واهمية وعمومية من الاجتماعات الدولية[1] • فقد رأى الفقيه الـكلاسيكى فوشى (Fauchille) ان « الفرق بين المؤتمرات والاجتماعات الدولية ينحصر فى ان المؤتمرات تضم رؤساء الدول أو كبار وزرائها ، فى حين ان الاجتماعات الدولية تضم الوزراء الثانويين أو الممثلين السياسيين[2] » • اما الاستاذ جونيه (Jonnet) فانه يرى « ان الغـــاية من المؤتمرات (Congresses) اعادة السلم وتوطيد أركانه ، فى حين ان الاجتماعات الدولية (Conferences) ترمى الى صيانة السلم والحؤول دون نشوب الحرب بين الدول • وتعقد المؤتمرات عادة لاسباب سياسية فى حين ان الاجتماعات الدولية لا تحصر نطاق عملها بالشؤون السياسية فقط بل تتعداه الى شؤون أخرى اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية ••• »[3] • ولم يكتف الاستاذ جونيه بهذا الحد من التمييز وانما ذهب ليقول ان « الاجتماعات الدولية أقل

---

(١) انظر Internatinal Organization: Potter ، (ص ١١٧) •
(٢) انظر جونيه • موجز الدبلوماسية ، تعـــريب سموحى فوق العادة ، (ص ٢٥٦) •
(٣) المصدر السابق نفسه •

أهمية من المؤتمرات لان الحلول التى تقترحها قد لا تؤدى الى النتيجة المتوخاة ، وان الاجتماعات الدولية تسبق عادة انعقاد المؤتمرات التى تُعتبر أبحاثها السياسية أكثر من الابحاث الاقتصادية أو الحقوقية التى تعالجها الاجتماعات عادة ... » الى ان يقول ان المؤتمرات والاجتماعات الدولية ، عدا ما ذكر من فوارق ، « متشابهة من حيث صفتها الدبلوماسية وصفة موظفيها الدبلوماسيين والشؤون الدولية التى تعالجها وأصول العمل المتبع فيها . »[1]

على ان المحلل لما تقدم يجد انه قد يكون صائبا من الوجهة النظرية . ولكنه ليس كذلك من الوجهة العملية . وهذا ما يثبته تاريخ الاجتماعات والمؤتمرات الدولية ذاته . فاى استعراض عام لتاريخ هذه الاجتماعات والمؤتمرات .. مبتدأً من القرن التاسع عشر الى الوقت الحاضر .. يرينا ان العبرة ليست بعظمة الاحتفالات وانما بالاهداف التى تجتمع من أجلها والغايات البعيدة التى ترمى الى تحقيقها والنتائج الفعلية التى تترتب عليها . ويكفى ان ندلل على ذلك باجتماع لاهاى "The Hague Conference" عام ١٨٩٩ واجتماع لاهاى عام ١٩٠٧ ، وكذلك اجتماع باريس (Paris Conference) عام ١٩١٩ . اذ أن أقل ما يمكن ان يقال عن هذه الاجتماعات انها تمثلت بالرسمية والعمومية والاهمية الكبيرة . ولو كان الامر كما جاء به الفقيه فوشيل وجونيه والفقهاء الآخرون الذين ينهجون نفس النهج لسميت اجتماعات لاهاى وباريس ، بمؤتمرات لاهاى وباريس . ولكن الواقع انها سميت بالاجتماعات (Conferences) .

وبناء على ما تقدم ، يمكننا من القول انه لا توجد فوارق اصيلة تميز بين الاجتماعات والمؤتمرات . على اننا يجدر بنا القول أيضا ان مصطلح « مؤتمر » قد أصبح فى العصر الحديث الاسم الشامل لكل الاجتماعات والمؤتمرات مهما يكن نوعها . وان الذى يميز المؤتمرات المهمة عن غيرها ، التسميات المقترنة بها . فاذا كان المؤتمر يضم رؤساء الدول الكبرى ،

---

(١) المصدر السابق نفسه .

سُمى بمؤتمر الدول الكبرى ، وحين يضم وزراء الخارجية يسمى بمؤتمر وزراء الخارجية وهكذا حين يكون طابع المؤتمر سياسيا أو قانونيا أو اقتصاديا فيسمى حينئذ بالمؤتمر السياسى أو القانونى أو الاقتصادى •

يتميز العصر الحديث عن سابقه من العصور بحله المشاكل السياسية عن طريق جماعى • وعلى هذا الاساس فانه سُمى بعصر الدبلوماسية أو عصر دبلوماسية المؤتمرات الدولية • فلم تكن العصور القديمة تحل مشاكلها بطريقة جماعية • وانه وان وجدت بعض اثارها فى القديم وخاصة فى عهد اليونان ـ المؤتمرات الأمفكتيونية ـ فانها كانت ذات اثر محدود ولا تخرج عن حدود دول المدن اليونانية • اما المؤتمرات الحديثة فانها قد خرجت بعيدا عن مفهومها القديم بحيث أصبحت الاداة الفعالة لبناء صرح قواعد عالمية للسلم والاستقرار • وبهذا الثوب الجديد أخذت تتطرق الى جميع نواحى الحياة من اقتصادية واجتماعية وسياسية • كما أخذت تنظر الى المشاكل التى تعرض عليها بروح ايجابية • ويعود هذا الاتجاه الجديد فى الاغلب الى التطور الذى حصل فى المجتمع العالمى • ذلك التطور الذى ادى الى تشابك مصالح أجزائه والى الحاجة الى التعاون فى المجالات المختلفة ، وكل ذلك للوصول الى ايجاد توازن بين مصلحة كل دولة وبين ضمان التقدم والرفاه العالمى •

ولعل عدم توفق العصور القديمة فى حل مشاكلها على أساس جماعى يعود فى الاغلب الى طبيعة المجتمعات السياسية القديمة التى امتازت بالتعامل على أساس المصلحة المطلقة • وطبيعى ان ذلك لم يكن ليسمح باشتراك الدول سوية فى حل مشاكلها العامة • اضف الى ذلك الشعور النفسى المنبثق من طبيعة الحياة الاجتماعية والسياسية فى تلك العصور ، والذى يوحى بعدم الحاجة الى عقد الاجتماعات على المستوى العالمى من جهة ، والى الخوف الذى كان يساور الدول القديمة من الجلوس على مائدة مستديرة تجمع عددا من الدول تتقاسم حل المشاكل من الجهة الاخرى • اذ كانت تعتقد ان مثل هذا العمل هو مبعث للتدخل فى سيادتها وسياستها •

وبنمو المصالح المشتركة بين الدول منذ أواسط القرن التاسع عشر وبصورة واسعة جدا فى القرن العشرين ، ـ نتيجة للاختراعات الحديثة وتحسن المواصلات ووسائل الانتاج وفيض السلع ـ ، كان ان ادى الى نمو الاحتكاك بين الدول جميعا ، وادى كذلك الى ظهور الحاجة الماسة لتنسيق الجهود ، والى التعاون فى الميادين المختلفة • وأول مظهر لتنسيق الجهود وتوحيدها بين الدول انتشار فكرة عقد المؤتمرات التى تضم عددا من الدول • وكانت الغاية من ذلك طرح المشاكل المشتركة والتوصل الى ايجاد حلول يتفق عليها المجموع ويضمن فيها مصلحته جميعا •

ولقد تميزت هذه الوسيلة الدبلوماسية الجديدة عن التفاوض المباشر ببعض الميزات • فهى قبل كل شىء أكثر مرونة وسرعة من الدبلوماسية المباشرة : سواء من ناحية المواضيع التى يتناولها المؤتمر أو من ناحية الاعضاء المساهمة فيه[1] • وبجانب ذلك أيضا فان الدبلوماسية الجماعية أو دبلوماسية المؤتمرات تمكنت من تحقيق جـــو أقل ما يمكن وصـــفه به انه أكثر انسانية[2] • وهذا يقودنا الى القول ان هذا الجو الانسانى هو أقل رسمية وأقل تعقيداً من الطرق الدبلوماسية الاخرى (كالتفاوض المباشر ، والمساعى الحميدة ، والوساطة) •

والمحلل لطبيعة اقدم المؤتمرات الدولية يجد انها كانت تعقد على صورة مستقلة • ويعنى ذلك ان كلا منها كان يتصف بطابع وحدة الكيان وعدم الارتباط مع غيرها • وعلى ما يظهر فالمؤتمرات الدولية التى سبقت قيام عصبة الامم وهيئة الامم المتحدة لم تكن لتستخدم كوسيلة دائمية لحـــل المشاكل الناشئة بين الدول • وكان نظام الاجتماعات وبرامج الاعمال يوضع فى كل مرة على حدة من قبل الدولة صاحبة الاقتراح أو عن طريق لجنة خاصة تعين لهذا الغرض • وعلى هذا الاساس تكونت بعض التقاليد عن طريق الممارسة وظل يرعاها من بعدها الآخرون •

---

(١) انظر Potter ، مصدر سبق ذكره ، (ص ١١٥) •
(٢) المصدر السابق نفسه •

ولم تصبح دبلوماسية المؤتمرات الدولية كوسيلة ثابتة لحل المشاكل الدولية الا بظهور المنظمات الدولية الدائمية • وتعتبر منظمة عصبة الامم المنظمة الاولى من هذا النوع ويليها منظمة الامم المتحدة • وقد كان طبيعيا لهاتين المنظمتين ان تأخذا بقواعد واحكام المنظمات غير الدائمية التى سبقتها • الا ان طبيعة عقد مؤتمرات دائمية ضمن النوع الجديد من المنظمات ، اوجبت اجراء بعض التعديلات على نظامها • ومن هـذه التعديلات ادارة اللجان والاقسام المختلفة وبضمنها الجمعية العامة ومجلس الامن اجتماعاتها على أساس نظام المؤتمر الدورى • وبهذه الوسيلة أصبح بالامكان تحديد الدول المشتركة سلفا ، وأصبح بالامكان أيضا تحديد أوقات انعقاد المؤتمر • وبذلك قُضى على الارتباك السائد فى مواعيد عقد المؤتمرات المستقلة • والجـدير بالذكر ان باب المؤتمرات المستقلة ظل مفتوحا على الرغم من ظهور المنظمات الدولية الدائمية والمؤتمرات الملحقـة بهـا • ويكفى ان ندلّل على بقـاء دبلوماسية المؤتمرات الموقتـة والمستقلة ، بمؤتمر جنيف لوزراء خارجية الدول الـكبرى الذى انعقد عام ١٩٥٨ بصدد مشكلة برلين •

كيف تنشأ فكرة عقد المؤتمر الدولى ؟

ويبدأ الشعور بالحاجة لعقد مؤتمر دولى مستقل عادة من قبل احدى الدول حيث تقترح على عدد من الدول الاخرى مشاركتها فى حل قضية مشتركة ولها مساس بالعلاقات والتوازن الدولى • فقد تكون الدولة صاحبة الاقتراح هى نفسها ذات علاقة مباشرة فى الخلاف مع دولة أخرى وترى من الاوفق الدعوة الى عقد مؤتمر دولى يضم عددا من الدول للتعاون فى حل ذلك الخلاف • فمثلا كانت الدعوة الى عقد مؤتمر دولى فى برلين عام ١٨٨٤ لمناقشة المشاكل الافريقية موجهة من قبل كل من ألمانيا وفرنسا باعتبارهما الدولتين المعنيتين فى الامر بصورة مباشرة • وقد تكون الدولة صاحبة الفكرة بعقد مؤتمر دولى يمسها الامر من ناحية غير مباشرة فقط • ومن الامثلة على ذلك ، دعوة الولايات المتحدة الامريكية عن طريق رئيس جمهوريتها ثيودور روزفلت عام ١٩٠٦ لعقـد مؤتمر فى الجزائر لغرض المداولة فى المشاكل القائمـة بين فرنسا والمانيا فى مراكش • وبجانب

ما تقدم ، فقد تكون الدولة صاحبة الاقتراح فى موقف حيادى تام ولا يتصل بها موضوع البحث مطلقا • وكل ما يهمها ان ترى الاستقرار والسلام قائما بين الدول • ومن الامثلة على ذلك دعوة قيصر روسيا الاسكندر الثانى لعقد مؤتمر دولى فى سانت بيترسبرك عام ١٨٦٨ للحد من استعمال القسوة فى الحروب •

وقد جرت العادة ان يضم المؤتمر الدولى ثلاث دول على أقل تقدير[١] • الا ان مثل هذا النوع من المؤتمرات يكون من الناحية الفعلية مؤتمر دولى من نطاق ضيق • ولكن متى تجاوب شعور أكثر من ثلاث دول بضرورة عقد مؤتمر للنظر فى مسألة ذات طابع دولى ، فان مستوى المؤتمر ينتقل من مستواه الضيق الى المستوى الواسع النطاق • وفى تلك الحالة توجه الدولة صاحبة الاقتراح دعوتها الى كافة الدول الاخرى التى يمسها الموضوع من ناحية من النواحى بحيث قد يصل العدد الى الثلاثين او الاربعين • والجدير بالذكر هنا ان اى مؤتمر على نطاق واسع يضم عددا كبيرا من الدول سوف يكون أكثر تنظيما من حيث الاستعداد والمنهاج والمكان والمدة وغير ذلك من الاستعدادات التنظيمية الاخرى[٢] •

كيف توجه الدعوة الى الاعضاء ؟

والقاعدة العامة فى توجيه الدعوة ، هى ان الدولة صاحبة الفكرة تكون حرة فى اختيارها للاعضاء • ولكن هذه الحرية هى حرية نسبية • ذلك ان الدولة صاحبة الفكرة لابد لها من توجيه الدعوة الى الدول التى لها تماس بالموضوع • فهى تأخذ بنظر الاعتبار الجهات المتقاربة والمختلفة فى الرأى تجاه مسألة دولية على أساس ان عقد

---

(١) يقول الاستاذ بوتر فى كتابه (International Organization) (ص ٤٠٢) ، ان المؤتمرات التى تضم دولتين فقط ليست غير واردة اطلاقا • ويدلل على ذلك بقوله ان أى اجتماع بين قطبين من أقطاب السياسة هو بمثابة مؤتمر دولى • ومن الامثلة على ذلك محادثات روزفلت ـ تشرشل عام ١٩٤١ ومحادثات ترومان ـ آتلى عام ١٩٥٠ وغيرها •

(٢) راجع فى هذا الصدد International Organization: Hill (ص ٤١٠) •

مؤتمر دولى سيساعد على التوصل الى اتفاق عام بين الجميع • وهى تقدر كذلك الآثار الناجمة من دعوة الدولة صاحبة المراكز والتأثير فى المنطقة التى نشأت فيها المشكلة الدولية • فقد تدعو مثلا الدولة التى قامت بوساطة أو بمساع حميدة ، أو انها تدعو الدولة أو الدول التى ترتبط بمنظمات اقليمية ويهمها الاستقرار فى تلك المنطقة •

والمتعارف عليه بين الدول ، ان الدولة صاحبة الاقتراح توجه دعوتها عن طريق الممثلين الدبلوماسيين لديها • وترسل الدولة الراغبة فى عقد مؤتمر دولى عادة مع كتاب الدعوة ، مسودة يحدد فيها الموضوع المختلف عليه • وهذه المسودة تتضمن حلولا مبدئية واقتراحات بشأن القضية المعنية • وتتضمن المسودة كذلك التعليمات الخاصة بجدول الاعمال وتاريخ ومكان ولغة المؤتمر • والغاية من كل ذلك هو ان تدرس الدولة المدعوة الحلول المبدئية المقدمة اليها من الدولة صحبة الاقتراح ، ولتتشاور مع من تشاء من الدول الصديقة وذلك بغية تحديد موقفها[1] : أى بقبولها أو عدم قبولها[2] الانضمام الى المؤتمر المرجو عقده •

كيف يختار الوفد ؟

وحين توافق الدولة المدعوة على اشتراكها فى المؤتمر الدولى تبدأ باختيار أعضاء الوفد الذى سيمثلها فى المؤتمر • ومن حيث العموم لا توجد طريقة معينة لاختيار أعضاء الوفد • والاساس العام الذى تستند عليه الدول هو ان يمتاز العضو بالكفاية والثقافة وسعة الاطلاع والتجربة فى الشؤون الدولية • اما من حيث عدد الاعضاء ، فان الدول حرة فى تحديد عدد اعضاء وفودها ، اللهم الا اذا كانت هناك تعليمات تقضى بتحديد العدد • ومن الامثلة على ذلك مؤتمر باريس عام ١٩١٩ الذى حُدد فيه عدد أعضاء الدول الكبرى بخمسة أعضاء والصغرى بين (١ – ٣) • اما فى الاحوال الاخرى التى لا يحدد فيها العدد فتختلف

---

(١) جونيه ، مصدر سبق ذكره (ص ٢٢٦) •

(٢) قد تمتنع بعض الدول من الاشتراك بصورة رسمية ولكنها ترسل مراقبين (Observers) عنها يحضرون كمستمعين •

مؤتمر دولى سيساعد على التوصل الى اتفاق عام بين الجميع • وهى تقدر كذلك الآثار الناجمة من دعوة الدولة صاحبة المراكز والتأثير فى المنطقة التى نشأت فيها المشكلة الدولية • فقد تدعو مثلا الدولة التى قامت بوساطة أو بمساع حميدة ، أو انها تدعو الدولة أو الدول التى ترتبط بمنظمات اقليمية ويهمها الاستقرار فى تلك المنطقة •

والمتعارف عليه بين الدول ، ان الدولة صاحبة الاقتراح توجه دعوتها عن طريق الممثلين الدبلوماسيين لديها • وترسل الدولة الراغبة فى عقد مؤتمر دولى عادة مع كتاب الدعوة ، مسودة يحدد فيها الموضوع المختلف عليه • وهذه المسودة تتضمن حلولا مبدئية واقتراحات بشأن القضية المعنية • وتتضمن المسودة كذلك التعليمات الخاصة بجدول الاعمال وتاريخ ومكان ولغة المؤتمر • والغاية من كل ذلك هو ان تدرس الدولة المدعوة الحلول المبدئية المقدمة اليها من الدولة صحبة الاقتراح ، ولتتشاور مع من تشاء من الدول الصديقة وذلك بغية تحديد موقفها[1] : أى بقبولها أو عدم قبولها[2] الانضمام الى المؤتمر المرجو عقده •

كيف يختار الوفد ؟

وحين توافق الدولة المدعوة على اشتراكها فى المؤتمر الدولى تبدأ باختيار أعضاء الوفد الذى سيمثلها فى المؤتمر • ومن حيث العموم لا توجد طريقة معينة لاختيار أعضاء الوفد • والاساس العام الذى تستند عليه الدول هو ان يمتاز العضو بالكفاية والثقافة وسعة الاطلاع والتجربة فى الشؤون الدولية • اما من حيث عدد الاعضاء ، فان الدول حرة فى تحديد عدد اعضاء وفودها ، اللهم الا اذا كانت هناك تعليمات تقضى بتحديد العدد • ومن الامثلة على ذلك مؤتمر باريس عام ١٩١٩ الذى حُدد فيه عدد أعضاء الدول الكبرى بخمسة أعضاء والصغرى بين (١ – ٣) • اما فى الاحوال الاخرى التى لا يحدد فيها العدد فتختلف

---

(١) جونيه ، مصدر سبق ذكره (ص ٢٢٦) •

(٢) قد تمتنع بعض الدول من الاشتراك بصورة رسمية ولكنها ترسل مراقبين (Observers) عنها يحضرون كمستمعين •

بقية هذه القواعد فانها مشتقة من اصول مناقشات المجالس النيابية للدول المختلفة •

وتتم مناقشة المواضيع المختلفة فى المؤتمرات الدولية عن طريق كل من الجلسات العـــامة التى تضم كافة الوفود وعن طريق اللجان الاصلية والفرعية التى يتناول كل منها دراسة ناحية خاصة من نواحى الموضوع المتعـددة • وترسم الخطوط الرئيسية للمواضيع المطلوب مناقشتها عـادة فى الجلسات العامة • اما المناقشات والدراسات التفصيلية فانها تتم عن طريق اللجان • وتنظم أعمال وادارة الجلسات العامة باشراف رؤساء الجلسات حيث تناط بهم مهمة افتتاح المناقشات وتوجيهها وحصرها ضمن الموضوع المحدد ، كما يعطى لهم صلاحية اقفـال باب المناقشـــات وعرض الاقتراحـــات للتصوت عليها •

وتجرى المناقشات فى اللجان بجو هو أكثر حرية واقل رسمية من الجلسات العامة • اذ عن طريقها ، كما ذكرنا ، تتم الدراسات التفصيلية • كما وتزداد الصراحة فيها عندما لا تكون مناقشاتها علنية • فهناك دائمـا مسائل عويصة لا يدركها الا المتخصصون ، كما لا يمكن الادلاء بها أمام الرأى العام بالنظر لما تسببه من هياج وعدم رضا ناتج فى أغلب الاحيان من عدم التفهم لدخائل الامور • وعلى الرغم من ان الاتجاه العالمى أخذ يسير منذ نهاية الحرب العالمية وراء تشجيع المناقشات العلنية فى المفاوضات الدبلوماسية ، الا ان بعض علماء الحقوق الدولية ظل يؤكد على ان المناقشات الحساسة لا يمكن ان تعرض بكاملها أمام الرأى العام ، لان الرأى العام يحتاج فى كثير من الاحيـان الى التفهم والادراك الـكلى لحقيقة العلاقات الدولية • الا ان مساوىء الدبلوماسية السرية فى المفاوضات قد تركت هى الاخرى اثارا سيئة بحيث ادى ذلك الى مطالبة بعض الساسة والعلماء فى الشؤون الدولية بنبذها • ومن هنا نجد ان المبدأ السائد فى المناقشات اليوم ظل يجمع بين السرية والعلنية • ومعنى هذا ان بعض جلسات المؤتمر تكون

علنية ـ كجلسات الافتتاح وجلسات الاختتام ـ والبعض الآخر ، فانه يتم وفق مبدأ الكتمان ، وحتى لو كان ذلك الى حين وذلك لغرض انجاح المفاوضات وعدم اشراك عوامل جديدة قد تفسد سير المفاوضات •

والمبدأ الثانى الذى تسير بموجبه المناقشات فى المؤتمرات ، بجانب مبدأ الجمع بين الكتمان والعلنية ، هو مبدأ المساواة فى المعاملة • ومعنى هذا انه مهما كانت الدولة قوية عسكرياً أم اقتصادياً أم سياسياً ، ومهما كانت مساحتها ومهما كانت أهمية مركزها الجغرافى فلا يجوز لها ان تملك أكثر من صوت واحد فى التصويت • وغنى عن البيان ان مبدأ عدم المساواة فى الماضى كان مبعثا لكثير من المنازعات بين الدول ومبعثاً لأمتناع البعض منها ، وعلى الاخص الدول الصغيرة ، من الاشتراك فى المؤتمرات الدولية • اما اليوم فقد استفادت الامم من تجاربها ، اذ عرفت كيف تمنع وقوع اساءة الدول الكبرى على الدول الصغرى ، وذلك باحلال مبدأ « المساواة » بينها جميعا • وبهذه الوسيلة زادت ثقة الدول الصغرى بالمؤتمرات ، وزاد عدد الدول المشتركة فيها ومنه زادت أهمية المؤتمرات ذاتها فى حل المشاكل الدولية • فلقد اثبتت الحوادث على ضوء تجارب المؤتمرات المختلفة ان الآراء القيمة ليست ملكا للدول الكبيرة • كما اثبتت ان الحلول المنطقية والمبدعة قد تأتى من الدول الصغيرة والكبيرة على حد سواء • والذين لهم اطلاع بسير المناقشات الدولية الحديثة يعلمون مدى الخدمات الجلى التى تقدمها الدول الصغيرة •

ومن قواعد المؤتمرات الدولية ، بالاضافة الى مبدأ الجمع بين الكتمان والعلنية ومبدأ المساواة فى المعاملة ، قاعدة الاجماع فى التصويت[1] • وقاعدة الاجماع فى التصويت تقضى بان لا يوضع أى قرار مؤتمرى موضع التنفيذ ما لم ينل ذلك القرار تأييد جميع الاعضاء • وترجع قاعدة الاجماع فى التصويت الى زمن بعيد حين كانت ترى الدول ان مصلحتها تقضى بعدم

---

(١) انظر فى هذا الصدد American Journal of International Law المجلد (٤) لسنة ١٩٤٦ ، (ص ٧١) •

الزام نفسها بأى قرار هى غير مؤيدة به • ومعنى ذلك ان القرار الذى لا ينال تأييد جميع الاعضاء يصبح نافذا بالنسبة للمؤيدين له فقط • ومع ان مثل هذه القاعدة ظلت مطبقة الى العصر الحاضر فى المؤتمرات الدولية المستقلة ، الا ان بعض الدول أخذت تلمس صعوبة تطبيقها من الناحيـــة العملية • ومن هنا نشأت فكرة الاغلبية فى التصويت ، التى هدفت الى التخفيف من صلابة الموقف ، ولتحقيق فوائد أكبر من المؤتمرات الدولية • ويرى فريق من العلماء ان مبدأ الاجماع هو فى طريقه الى الزوال بصورة نهائية ، خاصة بعد ظهور المنظمات العالمية الدائمية ـ كهيئة الامم المتحدة اليوم ـ التى ارتبطت بها أغلبية الدول وأخذت تقر ما جاء بمواثيقها[1] •

وتقدم التوصيات التى تتوصل اليهـا اللجـان المختلفة الى سكرتارية المؤتمر العامة • وهذه بدورها تنتظر ايعاز رئيس المؤتمر لدعوة جميـــع الوفود بعقـد عـدد من الجلسات العـامة للتصويت على توصيات اللجـان ومناقشتها • والعادة الجارية هى ان يؤخذ كل من هذه التوصيات على حدة ، ليناقش من قبل الاعضاء وليفسح المجال لهم بتقديم اقتراحاتهم حين يرون حاجة لاجراء تسوية على التوصيات أو قسم منها • وفى مثل هذه الحالة تقـدم الدول باقتراحاتهـا الى الرئيس بصـورة تحـريرية ليعرضهـا بدوره للمناقشة • والقاعدة العامة هى ان يسجل كل ما يدور فى سجل يسمى بمحضر الجلسات[2] • وما يجب ذكره هنا أيضا هو ان الاعضاء المتناقشين لا يمثلون انفسهم وانما دولهم • ومعنى ذلك انهم يسيرون على ضوء التعليمات التى يتلقونها من دولهم • ثم ان القرارات التى يصوتون

---

(١) جاء فى المـادة (١٨) من ميثاق الامم المتحـدة « تعتبر قرارات الجمعية العامة فى المسائل المهمة نافذة المفعول اذا حظيت بثلثى الاصوات » •
وتطبق نفس القاعدة ـ قاعدة الاغلبية ـ بالنسبة لمجلس الامن أيضا • فتذكر المادة (٢٧) من الميثاق ان قرارات مجلس الامن تعتبر بأكثرية سبعة أصوات من أصل (١١) صوتا على ان يكون ضمن هـذه الاكثرية جميـع الاعضاء الدائمين فى المجلس •

(٢) تفتتح كل جلسة عادة بذكر عبارة « تليت خلاصة أعمال الجلسة السابقة فصدقت » •

عليها لابد وان يحصلوا على تأييد دولهم لها كى تصبح نافذة المفعول : أى مقررات رسمية •

ومتى ما توصل المؤتمر الدولى الى مقررات رسمية ، فان ذلك يعنى انه قد حقق نجاحا • هذا وان نجاح المؤتمرات الدولية يتوقف بوجه عام على مدى تفهم الدول بعضها لبعض ، وعزمها جميعا فى بناء علاقات طيبة تؤدى الى السلم والاستقرار • وبالطبع فان مثل هذا لا يمكن ان يحصل الا اذا بذلت كل دولة جهودا ايجابية فى هذا السبيل : أى العمل بحزم على ازالة العوامل التى تقف دون التكاتف والتعاون وتبعد كل ما يسمى بسياسة التعصب والانعزالية والمصلحة المطلقة •

المأساة عند اسكيلس

(*AESCHYLOS*)

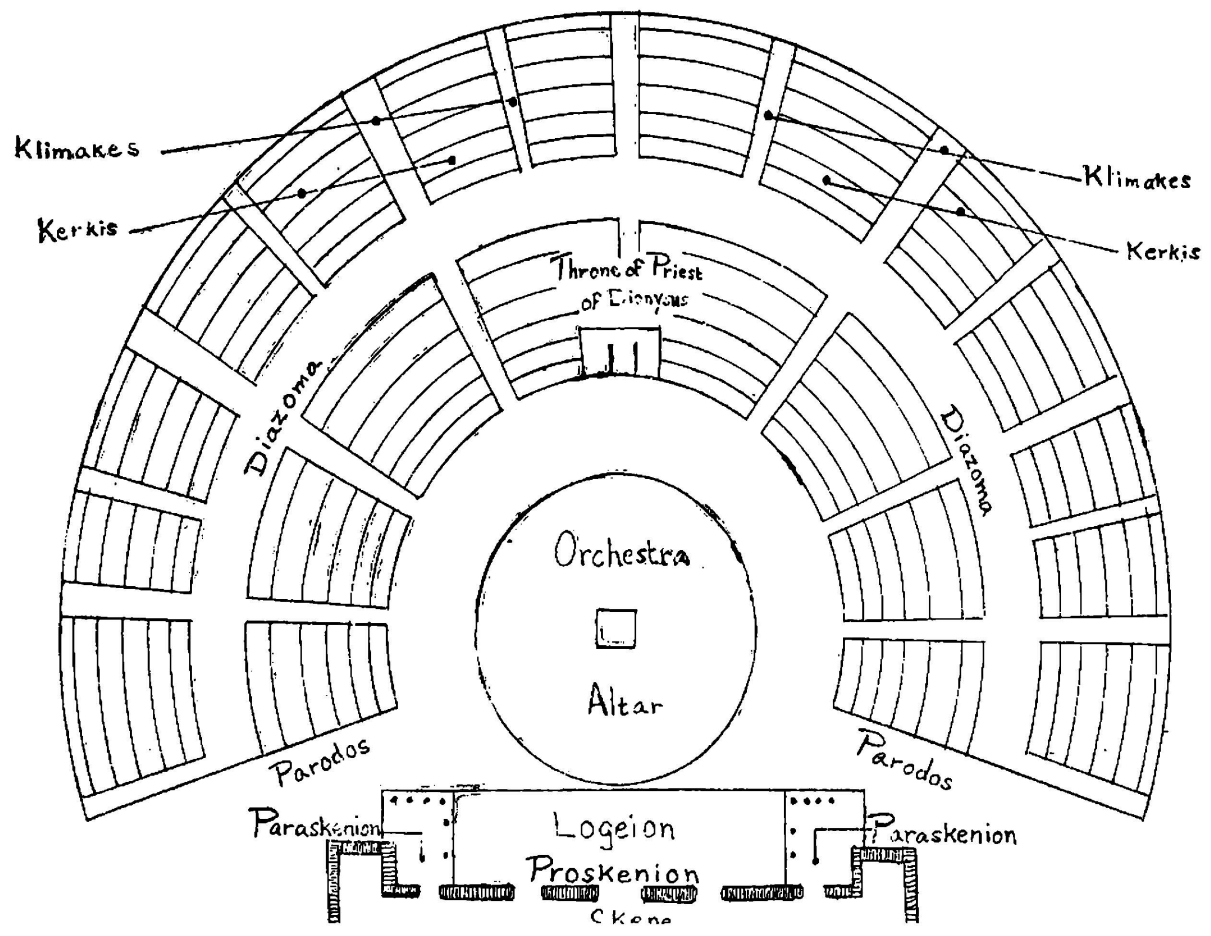
بقلم الدكتور كمال قاسم نادر

لابد لمن يبحث فى المسرحية الاغريقية من التكلم عن المسرح الاغريقى • لان تركيب المسرحية يعتمد كل الاعتماد على نوعية المسرح الذى تعرض عليه تلك المسرحيات • فالمتفرج الاثينى خلال النصف الاخير من القرن الخامس قبل الميلاد كان مسرحه يختلف كل الاختلاف عن المسارح المألوفة لدينا اليوم • فقد كان يذهب لمشاهدة المسرحيات فى مكان يسمى الثيترون "Theatron" أو كويلون "Koilon" وهى قاعة نصف دائرية ذات مقاعد محفورة ومدرجة تمتد على طول سفح التل المسمى بالاكروبيس "Acropolis" والقاعة تتسع لما يقارب (١٧٠٠) شخص ولكى يصل المتفرج الى كرسيه عليه ان يتسلق درجات (Klimakes) والمقاعد فى القاعة مقسمة الى مناطق كل منطقة تسمى كركيس "Kerkis" وهذه على مستويين وهناك ممر يوصل بين هذين المستويين يسمى بالديازوما "Diczome" وفى المستوى السفلى منه ينتصب عرش قس الاله داينونيسيس "Dionysas" وهذا القس يشرف على التمثيلية ويترأس الاحتفال وهو جالس فى عرشه •

وعلى المستوى الارضى وأمام مقاعد المتفرجين فسحة دائرية الشكل تسمى الاوركسترا "Orchestra" ومعناها مكان الرقص • وفى منتصف الاوركسترا ينتصب المحراب الذى طالما يشار اليه فى المسرحيات الاغريقية ، وفى الاوكسترا تقف الجوقه "Chorus" دائما • وتظل واقفة هناك لا تخرج منذ بدء المسرحية حتى نهايتها • وفى الاوكسترا تقوم الجوقه بأنشاد أغانيها ورقص رقصاتها • كما ون فى بعض الحالات يمثل الممثلون فى فسحة الاوركسترا • ولكن هذا جد نادر •

وهناك مدخلان للقاعة احدهما فى الجهة اليمنى والآخر فى اليسرى • والمدخل اسمه "Parodi" • وخلف دائرة الاوركسترا مباشرة ينتصب

THEATRON OR KOILON



البناء المسمى سكين "Skene" وهو الديكور • ولم يكن هذا الديكور فى بادىء الامر سوى منصة خشبية ثم تطورت هذه فأصبحت منصة مبنية من الآجر وفى أغلب المسرحيات الاغريقية يرمز الديكور اما الى واجهة قصر أو معبد • ومن وقت الى آخر كانت تستعمل بعض الوسائل لكى يميز نوع المكان وما يرمز اليه فى المسرحية • وتوجد فى الديكور عادة ثلاثة أبواب وهذه بمثابة مداخل اضافية يدخل ويخرج منها الممثلون • وامام الديكور مباشرة هناك دكه ترتفع بمستوى درجة واحدة عن قاع الاوكسترا وتسمى هـذه الدكه بروسكينيون "Proskenion" وعلى هذه الدكه يقوم أغلب التمثيل ولو ان هناك حالات يظهر فيها الممثلون فى الاوركسترا أو على سطح الديكور ولكن الغالب فى التمثيل ان يكون على البروسلينيون •

وبعد هذه النظرة الموجزة لتركيب المسرح الاغريقى نعود الى تفحص المآسى التى كتبها اسكيلس لكى تعرض على هذا المسرح •

كان الحديث فى البحث السابق[1] يدور حول اسكيلس أول كاتب مسرحى اما الآن فسيتناول البحث تحليل ماكتبه من مآسى لاظهار ماهية تلك المآسى والاسس التى استند عليها ثم بيان القصد الذى كان يتوخاه اسكيلس لتحقيق هذا الغرض •

ولد اسكيلس فى مدينة بليوسيس "Eleusis" عام (٥٢٥) ق•م • وكان قمبيز (Cambyses) امبراطور فارس فى ذلك الحين يقود جيوشه المنتصرة نحو مصر • وقد حدثت أمور جسام عندما كان اسكيلس صبيا • فقد كانت اثينا المدينة الساحلية الصغيرة آخذة بالازدهار وفى نفس الوقت كان جيش فارس الزاحف يقترب منها تدريجيا مهددا سلامتها • وعندما بلغ اسكيلس الثالثة عشرة من عمره اكتسح داريوس ، خليفة قمبيز ، بجيوشه شبه جزيرة البلقان • ولما بلغ اسكيلس الخامسة والثلاثين اشترك هو واخ له وجمع من مواطنيه فى معركة ضد جيوش فارس الغازية • وقد دارت تلك المعركة على الساحل الشرقى من اثينا وانتهت المعركة بأندحار

(١) مجلة كلية الآداب العدد الثانى شباط ١٩٦٠ •

الجيش الفارسي الذي كان مرسلا لتدمير اثينا • وظلت ذكريات هذه المعركة عالقة في الاذهان سنين طويلة • واصبح بلاء الشاعر اسكيلس فيها اسطورة ترويها الاجيال • وهو نفسه كان يذكرها بكل اعتزاز • فعندما بلغ اسكيلس التاسعة والستين من عمره وقد بلغه الكبر وقارب الموت وكان آنذاك في جزيرة صقلية • فكتب أبياتا نقشت بعد ذلك على قبره مجد بها دوره في تلك المعركة معركة مارثون "Marthon" •

ولكن معركة مارثون لم تكن المعركة الاخيرة فقد دام الصراع بين فارس واليونان الى سنين بعد ذلك • فبعد عشر سنين من معركة مارثون وفي مكان يسمى ثيرمو بولي "Thermoplea" دارت معركة طويلة مضنية بين الاسبارطيين والفرس وقد اندحر فيها الاسبارطيون لقلة عددهم • وشبت النيران بعد تلك المعركة في اثينا • وكاد ان ينمحي اثرها • ولكن سفن الاغريق الصغيرة صمدت بوجه الاسطول الفارسي الضخم ودحرته في معركة سلاميس وعلى اثرها تقهقرت القوى المعتدية الزاحفة من الشرق • وبنيت مدينة اثينا ثانية ونمت وتطورت وانتجت للعالم تلك الحضارة الراقية •

من يتصفح نتاج اسكيلس يستطيع بسهولة تحسس ما لهذه الازمات والمعارك والانتصارات من أثر في ما كتبه من مسرحيات • فالعظمة والشموخ أهم مظاهر مسرحياته • ولابطاله من علو الهمة ورفعة الشأن ما يضاهي ما كان لابطال اثينا من امجاد وسؤدد • والانسان في مسرحيات اسكيلس يبدو وكأنه اله والآلهة لا تتميز بشيء عن الانسان •

ثم كان لهذه الازمات والحروب رد فعل مباشر عند اسكيلس • ففي عام ٤٧٢ ق•م (أي بعد معركة سلاميس بثمان سنين) كتب اسكيلس مسرحيته الثانية والتي اسماها (الفرس) • وهذا رد فعل متوقع عند كاتب عاصر تلك الحوادث وعاشها وشارك فيها فكان لابد له من ان يصورها في فنه •

ومسرحية (الفرس) شيء فريد في بابه بين المسرحيات الاغريقية • لان اسكيلس استمد موضوع مسرحيته من حوادث معاصرة قريبة من أذهان جمهوره • بينما استمدت أغلب المسرحيات الاغريقية الاخرى مواضيعها من اساطير البلد الدينية والتأريخية وأهم من هذا هو نجاح المسرحية في عرض

صراع حديث العهد بأسلوب حيوى وبفطرة عالية • فمسرحية الفرس ليست مسرحية مناسبات تتوخى الدعاية الرخيصة أو الربح على حساب آنيـة الموضوع • فلقد استطاع اسكيلس بما أوتى من ابداع وبيان ان يخلق مسرحية ذات فن عالٍ وان يتبصر بروح عالية تلك الحوادث المريعة •

اختار اسكيلس أرض سوزا "Suza" مكانا لحوادث مسرحيته هذه • وسوزا بعيدة عن اثينا • وهكذا استطاع ان يخلق لمسرحيته مشهدا غريبا عن جمهوره • كما وانه ملأ المسرحية بأسماء فارسية غريبة وجعل الجوقة تتألف من شيوخ ورجال فارس • وبهذه الاساليب استطاع خلق جو خيالى لمسرحيته كى لا يقيد نفسه بالواقع الجامد • ولو انها ظلت من حيث الزمن قريبة من اذهان جمهوره • فالمسرحية تجرى حوادثها بعد معركة سلاميس بمـدة وجيزة • عندما كان اخشويرش "Xerzes" بن داريوس يحارب فى اليونان تدخل الجوقه فتعلن عن قلقها على الملك وتدخل اتوسا "Atossa" أم الملك وتشترك معهم فى الحديث وخلال الحديث بين الملـكة والجوقه يعبر المؤلف عما لأثينا من أهمية ومكانة • فعندما تسأل الملـكة اين اثينا وما هى مكانتها يجيبها قائد الجوقه •

القائد : بعيدا فى الغرب ، حيث تغرب الامبراطورة الشمس •
اتوسا : أو يبغى ولدى احتلال هذه المدينة ؟
القائد : نرجو ان يتم ذلك فتخضع لسلطانه اليونان بكل ولاياتها •
اتوسا : هل ارسلت اليونان كل قواتها المحاربة للمعركة ؟
القائد : قواتهم كبيرة •
اتوسا : أى ملك يحكمهم ويدير سلطانه جندهم ؟
القائد : ليس عندهم سيد ولا مسود • وليس بينهم ملوك •

ويكون لهذه الجملة الاخيرة وقع طيب على مسامع الاثنيين المعتزين بجمهوريتهم • ويدخل بعدها الرسول فيصف معركة (سلاميس) التى اشترك فيها اسكيلس نفسه • ويقرأ قائمة طويلة بأسماء مشاهير القتلى من الفرس فتصرخ الملـكة المفجوعة وتقول بأسلوب دراماتيكى مؤثر •

من لم يسقط ؟ اهناك قادة آخرون يجب بكائهم ؟ أى قائد آخر مات وترك جنده من بعده مشردين ؟

فيطمئنها الرسول ويخبرها ان ابنها الملك لا يزال حيا متمتعا بضوء الشمس ولكن المصيبة كبيرة فقد اندحر جيش فارس ومات خيرة بنيه • فتبكى الجوقة صرعى الوطن وتنادى الملكة بالويل والثبور • فيخرج لها شبح زوجها الميت داريوس فيخاطبها ويقول رأيه فى سبب الاندحار • وهذا فى الحقيقة هو رأى اسكيلس وضعه على لسان الشبح • فالمصيبة قد حلت بفارس لغرورهم الزائد وطمعهم •

اذن فسبب مأساة فارس هو الغرور وحب الاستيلاء على الغير وهذا ما جلب عليهم الدمار •

فينشد الشبح ترافقه الجوقه أغنيـــة ملؤها الاسى ولكن اسكيلس لا يستغل اندحار فارس ليغالى فى مدح قومه المنتصرين بل بالعكس نجده يحاول استمالة القلوب على المندحرين الذين ولت دولتهم وحلت بهم المصيبة لكبريائهم •

ومسرحية الفرس مسرحية جامدة لان الحدث المسرحى فيها محدود جدا بل انه يكاد يكون معـــدوما كما وانه ليس هناك صراع داخلى فى المسرحية • أى ان اسكيلس لم يصـــور لنا ما يجول فى نفوس وعقول شخصيات مسرحيته وهم يمرون بهذه الاحداث الجسام • ولكن عظمة الفكرة فى هذه المأساة تهبها جوا مشحونا وهذا يعوض الخسارة الحاصلة عن قلة الحدث المسرحى •

كان اسكيلس يرتكز فى مواضيع مآسيه على علاقة الانسان بالكون وبمعنى آخر ان المأساة عند اسكيلس ما هى الا تصوير مسرحى لمواضيع ترتبط بعلاقة الانسان بالكون • فالمأساة اذن عنده لا تبحث فى العلاقات الاجتماعية انما فى مدلول ميتافيزقى يعالج معضلة الخير والشر الأزلية • كن اسكيلس كثير التفكير بالعلاقة التى تربط بين الانسان والالهه • واشتغال فكره بهـــذا الموضوع جعله ينتج مسرحيته الثالثة المســـاة بروميثيوس مقيـــدا (Prometheusbound) •

كتب اسكيلس هذه المسرحية عام (٤٧٠) ق٠م وما هذه المسرحية الا جزء من ثلاثة أجزاء وقد ضاع الجزءان الآخران منها • والمفروض أن الجزء الذى وصلنا هو القسم الثانى وقد ضاع الجزء الاول والاخير ، لذا فان فكرتنا عن المسرحية لا يمكن الا ان تكون ناقصة ، لاننا لا نعرف الحل الذى يعطيه المؤلف للمشكلة التى يعالجها والمتفق عليه ان الجزء الاول يبحث فى صلة بروميثوس بالناس • بروميثيوس آدمى قربته الالهة منها واطلعته على أسرارها • وقد ساء بروميثيوس ان يرى ما عليه الانسان من شقاء وجهل بينما تنعم الالهة بكل الخيرات فأراد بروميثيوس ان يمد يد العون لاخيه الانسان وينتشله من بؤسه وحرمانه • فقدم بروميثيوس للانسان ذلك الكنز الجميل ـ النار ـ • النار رمز المعرفة ، وتحدى بروميثيوس بعمله هذا ارادة رب الارباب زوس • لان زوس كان قد حرم الانسان من معرفة النار • فغضب زوس على بروميثيوس وأراد أن يعاقبه لخيانته • فأمر ان يقيد الى صخرة كبيرة فى الجبال ويترك عريانا تنهش جسمه وتعذبه الرياح القارسة • وهنا يبدأ الجزء الذى بين يدينا •

تبدأ المسرحية بدخول بروميثيوس على المسرح يرافقه الآلهه الحداد هالفستوس (HEiphaistos) وشخصيتان رمزيتان هما ـ القوة والسلطة • وبأمر من زوس يتقدم هؤلاء الثلاثة ليقيدوا بروميثيوس الى الصخرة ويقوم بهذه العملية الاله الحداد تحت اشراف القوة والسلطة • ويتم تقييد بروميثيوس الى الصخرة ويترك وحيدا صارخا مستعطفا السماوات أن ترق لحاله ، وبينما هو يصرخ ويولول تدخل الجوقه • والجوقة فى هذه المسرحية تتألف من بنات البحر وهى أرواح صغيرة حفيفة • وعندما يسمع بروميثيوس أصواتهن يصرخ قائلا :

ليت شعرى ما مصدر هذه الاصوات المدمدمة
ها هى ذى تدمدم ثانية
كحفيف أجنحة الطيور الطائرة
والهواء يمتلىء بحفيف الاجنحة الخفاقة
ومهما تكن فهى تخيفنى •

وقد جاءت الجوقة لترثي لحال بروميثيوس ولتعطف عليه • ثم يدخل ابوهن اوشانس (ملك البحر) فلا يقدم حل مجد لمصيبته ، فهذا الملك امّعة خائر العزم • ينوى الخير ولـكن يعوزه الاقدام • فيخرج ولم يحصـل بروميثيوس منه سوى النصائح • وبعـد خروج الملك تدخل آيو (Jo) وهى أيضا ضحية لغضب زوس ، فقد غضب عليها رب الارباب واحالهـا مخلوقا نصفه بقرة ونصفه انسان وتركها هائمـة فى القفار • فتلتقى مع بروميثيوس صفوها بالمصيبة فتشرح له مصيبتها وسببها • وهنـا يتحدى بروميثيوس الرب زوس ويسخر منه ويطمئنها أن سلطان الظالم لا يمكن أن يدوم ، وهنا يدخل هيرميز (Hermes) وهو رسول الاله زوس • وهذا الرسول شخصية فضولية متملقة • فيقف بروميثيوس صلباً بوجهه ويسخر منه ، وتنتهى المسرحية بغتة ، اذ ترعـد السماء وتبرق وتتلاشى الصخرة ويختفى معها بروميثيوس •

أن قصة المسرحية هذه عديمة الحركة ، فبروميثيوس يقف مقيدا الى الصخرة منذ ابتداء المسرحية حتى نهايتها • وهذا ما يجعل المسرحية جامدة لان الحدث المسرحى معدوم فيها • لذا فان المؤلف يواجه موضوعا ليس من السهل تصويره مسرحيا ، ولـكن اسكيلس بما اوتى من براعة فنية استطاع التغلب على هذا النقص فمثلا عندما يدخل الاله الحداد وقوة وسلطة لتقييد بروميثيوس فى أول المسرحية ، يستحوذ على انتباهنا رد الفعل الذى يحدثه هذا العمل فى نفوس القائمين به • فنجد ان الاله الحداد لا تطاوعه يداه لتقييد بروميثيوس • فهو مجبر على القيام بالعمل وتردده يدل دلالة واضحة على عدم ارتياحه لما يصيب بروميثيوس • فيقول لزميله قوه : « يجب علىّ أن أقوم بهذا العمل فلا تلح علىّ كثيرا •

لا ريب ان نظرة اسكيلس الى رب الارباب زوس شخصية طاغيـة مستبدة • اما بروميثيوس فيتصوره انسانا مغرورا • اجريمته انه حنث بالوعد الذى قطعه على نفسه ولـكن مع هذا فان بروميثيوس ينال اعجابنا وتقديرنا لانه يرفض الانحناء أمام جبروت زوس وقوته الغاشمة •

وهذه المسرحية قد لا تستهوى القارىء المعاصر لـكثرة ما فيها من

اساطير اغريقية ، ولـكن الذى ينال اعجابنا هى المقارنات الحاذقة التى رسمها المؤلف بين شخصيات المسرحية المختلفة كالمقارنة بين بروميثيوس وبنات البحر ، فبينما ينتصب بروميثيوس بجسمه العملاق الاسود مقيدا الى صخرة ، نرى فى نفس الوقت بنات البحر الخفيفات البيض يطفن حوله بخفة وطلاقة كطلاقة أمواج البحر ، وهناك مقارنات أخرى فى هذه المسرحية تعطيها حيوية نادرة وتجعلها شائعة .

يخبرنا المؤرخون ان اسكيلس كتب ٩٠ مسرحية لم يبق منها الا سبع . وقد ضاع الباقى ، وحتى هذه المسرحيات السبع المتبقية لم تصل الينا كاملة فقد ضاع بعض أجزائها وبقيت أجزاء مبتورة منها ، وهذا ما لاحظناه فى المسرحية السابقة ـ بروميثيوس مقيدا . وهناك لحسن الحظ سلسلة ثلاثية واحـــدة (Trilogy) كاملة . وهذه هى سلسلة الاورستيا . (The Orestia) وقد كتبها اسكيلس حوالى عام (٤٥٨) ق.م . وتتألف هذه السلسلة من ثلاث مسرحيات :

مســـرحية الأگممون (Agamemnon) ومســـرحية الـكوفورى The Choephori ومسرحية اليومنيدبز (The Eumenides) .

وهـــذه المسرحيات الثلاث كلهـا تدور حول اگممنون وعائلته . واگممنون هو ابن اتروس (Atreus) ولاتروس هذا قصة غريبة . فقد كان له اخ اسمه ثيستيس (Thyestos) وقد اعتدى ثيستيس على زوجـة انروس . ولـكى ينتقم منه فقد دعا اتروس اخاه ثيستيس الى وليمة قدم فيها لحم أطفال ثيسيس طعاما . ولهذا العمل الفضيع قررت الالهة انزال لعنتها على آل آتروس فشملت اگممنون بن اتروس . وقد تزوج اگممنون فتاة اسمها كلايتمناسترا (Clytemnestra) ولما هربت هلين الى الطرواده (Troy) وتزوجت من باويس . قرر الاغريق ارسالة حملة الى طرواده لاسترجاع هلين وعندما أراد الاسطول الاقلاع من الميناء هبت ريح معاكسة منعته من الابحار ، وكان اگممنون قائد تلك الحملة فنحر ابنته قربانا لآلهة ، فذعنت الريح واستطاعت السفن ان تترك الميناء الى طرواده . وقد دامت الحملة على الطرواد عشر سنين غاب خلالها اگممنون عن بيته وزوجته . وأثناء غيابه

خانته زوجته مع ابن ثيستيس ومسرحية اگممنون تبدأ قبيل رجوع اگممنون من الحرب ففى ضوء الفجر الخافت يبدو شبح على سطح القصر وهذا هو بيت اگممنون والشبح حارس نصبته كلايتمناسترا ليرقب مجيء زوجها اگممنون وبعد لحظات يلوح ضوء مصباح على تل بعيد • وظهور الضوء معناه سقوط الطروادة • وهذه هى الاشارة المتفق عليها ، وعندما يرى الحارس النور يهرع نازلا يخبر سيدته النبأ • وهنا تدخل الجوقة لتنشد أغنية تمدح بها الـ اتروس • والجوقة فى انشودتها تخبرنا ان رب العائلة قد غاب عن بيته عشر سنين ، ثم يقصون كيف نحر اگممنون ابنته :

ويلاه تحجر قلبه ،
ليسند حربا من جل امرأه ساقطه ،
فنحر ابنته
وقدم دمها المسفوح قربانا
كى تسرع السفن فى ابحارها
وقد اعمت اولى الامر شهوة الحرب وسدت اذانهم ،
فلم يكترثوا ولم يلتفتوا الى صوتها المتضرع :
ارحمنى ، يا ابتاه ، ولم يرقوا لدعائها ،
ولا لنضاره سنها الباكر
وعندما تمت ترنيمة الضحية
طلب ابوها الى القسس الشبان
ان يرفعوها ، كالشاة الصغيرة ، الى صخره المحراب ،
وامرهم ان يخرسوها ،
لئلا تنزل اللعنة على آل اتروس •

ان الـكلمات الاخيرة « لئلا تنزل اللعنة على آل اتروس » تكشف لنا عن نهج اسكيلس فى هذه المأساة وهناك من جهة لعنة الالهه التى تلاحق هذا البيت والتى لا مفر لهم منها • فالقدر ــ الى حد ما ــ قد حكم بالهلاك على آل اتروس • وليس لهم ان يختاروا طريقا غير الذى رسمه لهم القدر • ولـكن الغريب فى الامر هو ان هناك نوع من التناقض فى هذه المسرحية ،

فقد سبق ان عرفنا ان اگممنون قد اقترف جريمة بقتله ابنته ، وبهذا يكون اگممنون نفسه هو المسؤول ـ الى حد ما ـ عما يصيبه من بلاء • وبهذا تكون شخصية البطل هى القدر ، اى ان تصرفاته التى تمليها عليه طبيعته هى المسؤوله عما ينال من عذاب • فلمن الحكم اذن ؟ أهو للقدر أم لشخصية البطل ، وهذا هو التناقض فى هذه المأساة •

وبعد ان تكمل الجوقة (وهى مؤلفة من رجال كبار مقعدين) انشودتها تدخل الملكه ، لتخبرهم نبأ وصول اگممنون • ثم يدخل الرسول فيؤكد الخبر • فتنشد الجوقة أغنية تعبر فيهـــا عن الدمار الذى أصاب الطرواده ويتحدثون عن تلك المرأة (هلين) التى سببت كل تلك الحروب • وما تلاها من ويلات ومصائب • يدخل اگممنون بكل ابهة على ظهر عربة ملكية تحف به الحاشية وهناك عربة ثانية تلى عربته فيها سبيته كساندرا بنت الملك برايم وقد اغتصبها عنوة • ثم يتكلم اگممنون الى الجوقة بكلمات ملؤها الخيلاء • ثم تحادثه زوجته بكلمات معسولة وتفرش له بساطا أحمر يمشى عليه من العربة الى القصر ، واگممنون عندما يسير على البساط الاحمر يعرف معرفة جيدة انه من حق الالهة فقط ان تسير على هذا البساط ولكن كلمات زوجته المعسولة وغروره يدفعانه الى ان يضع نفسه فى مصاف الالهة فيمشى على البساط الاحمر الى القصر • وقبل ان يدخل القصر يوصى زوجته بالاعتناء بخليلته فتثور ثائرتها لذلك ، ويخرج الجميع الا الجوقه وعندما تبقى الجوقة وحيدة على المسرح تفصح عن مخاوفها السود ، وتعود الى المسرح كلايتمناسترا ثانية تجر وراءها كساندرا وتخاطبها بأسلوب قاسى • تخرج الملكة من المسرح وهنا تتكلم كساندرا وقد كانت صامتة طيلة هذا الوقت وكساندرا نبية وعرافة فتنبأ بما سيحل فتقول :

الهى ! مشهد جديد ! شباك ، فخ جهنمى ،
صاغته بيدها ، مصيدة جهنمية ،
زوجة حلال ، تقتل زوجها
وتساعدها على ذلك يد اخرى •

والجوقة بادىء الامر لا تصدق تنبأ كساندرا ولكن عندما تستمر فى

حديثها تبدأ الشكوك تنال من الجوقة ويصيبها الذعر والارتباك ، ثم تخرج كساندرا وما ان تخرج حتى يتعالى الصراخ داخل القصر • ويلى ذلك مشهد درماتيكى عنيف ، ترتبك الجوقة وتتسأل عن مصدر الصراخ وسببه • ويقم بينهم الفوضى • ثم تنفتح الباب ويجمد أعضاء الجوقة فى أماكنهم • وتدخل الملكة وقد تلطخ جبينها • وتقول قصيدة تفتخر بها وبفعلتها • وترد عليها الجوقة لائمة اياها على فعلتها • وتمتدح الجوقة الملك القتيل وتعدد محاسنه وتعبر عن تقديرها واحترامها له • اما الملكة فترد عليهم مذكرة اياهم بالمساوىء التى ارتكبها بحقها سواء بقتله ابنته أو بأخذه امرأة اخرى خليلة له • وهنا يدخل ايكستس فخورا انه استطاع الانتقام من عائلة الرجل الذى قدم لحم اخوانه طعاما لابيه • ويغضبه لوم الجوقة فيثور ويندفع لقتلهم الا ان كلايمناسترا ترده لانها لا تريد المزيد من هدر الدماء ، وتبدو الملكه فى كلماتها منهارة تعبه •

« كفى ، كفى ، يا بطلى ، فاننا لن نضرب أو نذبح انسانا آخر ، فقد حصدنا من الارواح ما يكفى وجنينا من الجريمة ما يغنى ، يكفينا قتلا وذبا • ولا تدع دما أكثر من هذا ينهدر • فأنت وأنا سنحكم فى القصر وندبر الامور على أحسن وجه » • ان كلامها هذا مملوء بما يسمى فى لغة المسرح (بالسخرية المسرحية) (Dramatic Irony) • أى ان الواقع الذى يعرفه الجمهور هو نقيض ما تتفوه به الشخصية المسرحية لاننا سنرى فى المسرحية التالية كيف يُنتَقم من القتلة • لان القتل ليس نهاية (كما تعتقد كلايتمناسترا) بل انه مجرد بداية لمصائب لابد من ان تأتى فى اعقابه •

ولكن قبل ان ننتقل الى المسرحية الثانية يجب ان نستعرض قصد اسكيلس المسرحى فى مسرحية الاگممنون • ان مسرحية الاگممنون محبوكة من حيث تركيبها الفنى • فالتأشير المسرحى فيها متنوع ومرتب ترتيبا جيدا • فالبداية هادئة • الوقت قبيل الفجر والضوء خافت • والحارس تعب منهك فى حراسته • فجأة يظهر النور البعيد • يلى ذلك هياج كلايتمناسترا وتخوفها ، ثم تشكك الجوقة ، ثم دخول اگممنون المنتصر المزهو ، واستقبال زوجته الصامت له ، ثم اهانتها لكساندرا ، ويتلو ذلك

هذيان كساندرا ، ثم الجريمة ، وبعدها دفاع كلايتمناسترا عن جريمتها ، ثم صراع الجوقة مع ايكستس .

هذه حوادث مسرحية عنيفة كفيلة بان تسيطر على اذهان المتفرجين ومشاعرهم . وفي وسط هذه الحوادث تشع الشخصيات المسرحية بكل جلاء ، فكلايتمناسترا تكن الحقد لزوجها وايكستس وقد سيطر الحب على لبه وقرر الانتقام لعائلته ، واگممنون يمتاز بالبطولة النادرة الا انه متكبر مغرور . ودقة التصوير للشخصيات المسرحية يجعل هذه المسرحية أكثر انسانية من أية مسرحية أخرى كتبها اسكيلس . والقصة طبعـــا لا تنتهي بمقتل اگممنون . فقد كان لاگممنون ولد اسمه اورستيز (Orestes) وكـان غائبا عند رجوع أبيه من الحرب . وارستيز هو بطـــل المسرحية الثانية ـ مسرحية كوفورى (Choephori) . وقد سميت المسرحية بهذا الاسم لان الجوقة فيها تتألف من مجموعة من حملة القرابين وهن صديقات الـكترا (Electra) اخت اورستيز . وتبدأ المسرحية الثانية أمام قبر اگممنون . ويظهر رجلان ويبدو من لباسهما انهما قطعا مسافة طويلة ثم يكشفان عن نفسهما ، وهما اورستيز وصديقه پايلادس (Pyledes) . يضع اورستيز بكل احترام خصلتين من شعره على المحراب . وبعد هذا المشهد تدخل الجوقة ومعهن اليكترا وترى اليكترا الخصلتين فتعرف انهما يعودان الى اخيها . وهنا يكشف اورستيز لها عن نفسه فتضمه اليها والدموع في عينيها . ثم تعلم ان اورستيز جاء بناءاً على امر من الاله ابولو (Apollo) لينتقم من قتلة أبيه . فتنطلق الجوقة تغني أغنية السرور . ثم يدخل اورستيز القصر فنسمع صرخة ايكستس المؤلمة قبل موته وبعدها يواجه الولد المنتقم امه وجهـــا لوجه . فيستولي عليه الحنان للحظات .

كلاينمناسترا : يا للحزن ، يا للحزن ايكستس ، زوجي وحامي حماي قد قتل .

اورستيز : ماذا ؟ أتحبين الرجل ؟ اذن ارقدي معه في القبر وكوني خليلته في الممات ولا تهجريه مطلقا .

كلايتمناسترا : قف يا طفلي ، تخوف من الضربة ، يا ولدي ان هذا

الصدر قد توسدته مرارا ونمت ملء الجفون ، وفمك العديم الاسنان ، رضع حليبى •

اورستيز : أأستطيع ان أترك أمى حية ؟ تكلم يا پايلاوس ؟

پايلاوس : تذكر قول الاله ابولو ويمنيك الذى اقسمته وعليك ان تختار كره الناس وتتجنب كره الالهه •

وهنا يسوق اورستيز امه الى داخل القصر ويقتلها هناك • ولكن ما ان يرتكب القاتل هذه الجريمة حتى تظهر له الارواح المنتقمة (Furies) وهى مخلوقات عجاف بهيئة مزرية وملابس رثه وشعر منثور جئن لتعذيبه •

ان مسرحية الكوفورى مسرحية كان يمكن ان تكون أحسن مما هى عليه وان اسكيلس قد فوت فرصا كان يمكن ان يستغلها مسرحيا • فهناك امكانيات مسرحية كان يمكنه ان يجعلها حقا مؤثرة كمنظر تعرف الاخت على اخيها أو مقابلة الام لولدها • واسكيلس يشعرك فى هذه المسرحية بأنه غير مهتم بحوادثه كما كان مهتما فى اگممنون • وكأنه يريد الانتقال بعجاله الى الجزء الثالث من القصة والتى تدور حوادثها حول التكفير عن الذنوب والعفو عن المذنبين • وهذا ما يتم فعلا فى مسرحية اليومنديز — وهى المسرحية الثالثة •

الجوقة فى المسرحية الثالثة (اليو منيديز) تتألف من الارواح المنتقمة والمشهد الآن هو المعبد فى دلفى (Delphi) وقد جاء اليه اورستيز بعد تشرد طويل وقد انهكه العذاب تلاحقه دوما الارواح المنتقمة • وهنا ينفتح الباب الرئيسى للمحراب فيظهر اورستيز والاله ابولو وكذلك يظهر شبح الملكه الميته كلايتمناسترا وهنا تندفع الارواح المنتقمة لكى تعذب اورستيز بينما يحاول ابولو حمايته ويقول للارواح :

اعلمى ان لفراش الزوجية قدسية
وفوقه يقف الحق حارسا
يحرس قدسية يمين الزواج
فان تعطفن على من ذبحت زوجها
ولا تزدرنيها

فليس من الانصاف ان تعذبن
من قتل امه

ويترك ابولو أمر الحكم على وارستيز الى الهة العدل اثينا • وبعد هذا ينتقل المشهد من دلفى الى مدينة أثينا • والمسافة بين المكانين طويلة • ولكن كل ما يفعله الممثلون على المسرح هو ان يتحركوا من جانب الى آخر • وهذا يوحى للمتفرجين بأنتقال المشهد • وفى أثينا يطرح اورستيز قضيته امام الالهه وكذلك تفعل الارواح المنتقمة للملكة المقتولة • والارواح المنتقمة هذه لا تفهم شيئا غير الانتقام • فهن يردن :

نحن لا نعرف الملابس البيض
نصيبنا السواد
ولنا طقوس أكثر سوادا
ومن يقترف القتل ننزل عليه لنعذبه ونطارده
مهما يكن ومهما تكن قوته
والدم لا يرويه الا الدم

وتقرر اثينا ان القضية يجب ان تحال وتحاكم امام اثنى عشر حاكما وهى أعلى محكمة فى اثينا ويضع الحكام اصواتهم فى وعاء فيظهر ان الحكام منشقين على انفسهم بالتساوى وفى هذه الحالة تعطى اثينا صوتها الى اورستيز وتنتهى المسرحية بأغنية روحية • تنقلب بعدها الارواح المنتقمة الى أرواح خيره (Zumendies) •

عندما نقارن هذه المسرحيات الثلاث الاخيرة بما كتبه أسكيلس سابقا أى عندما نقارنها بالمتضرعات وبروميثيوس مقيد والفرس نلاحظ ان هناك ثلاث تطورات مهمة طرأت على المسرحية وفنهـا • فأذا اعدنا النظر فى مسرحيات المتضرعات وبروميتيوس والفرس نجد ان المكان فى حوادث المسرحية الاولى هو ساحل البحر ، والمسرحيتان الاخرتان تقع حوادثهما فى العراء • اما مسرحية الاكمنون فان حوادثها تقع فى المدينة وامام قصر الملك • ومن هذا نستنتج ان الديكورات قد أخذت بالظهور على المسرح الاغريقى • فبينما كان المسرح الاغريقى فى السابق عاريا من الديكورات فالدليل الآن

واضح بأن الديكورات أخذت تظهر ولو أنها كانت على شكل جد بسيط • قد لا يعدو ان يكون جدارا خلفيا وبعض الاعمدة وتتوسط الجدار بان كبيره على جانبيها بابان صغيران والذى يدعو الى الملاحظة ان الكتاب المسرحيين بعد هذا التاريخ أخذوا يكثرون من استعمال القصور والمدن مشاهد لمسرحياتهم • ويساعدهم على ذلك توفر الامكانيات المسرحية لاظهار مثل هذه المشاهد •

اما التطور الثانى فانه يتعلق بظهور الممثل الثالث على المسرح • فحوالى عام ٤٧٠ ق•م• ظهر سفوكليس وتمكن هذا من اعطاء ثلاثة أدوار كلامية فى مشهد واحد • ومعنى هذا ظهور ثلاثة ممثلين على المسرح فى آن واحد وقد أدى ذلك طبعا الى تطور الحوار المسرحى وتعقيده • كما وأنه أضعف فى نفس الوقت دور الجوقه وأدى تطور الحوار المسرحى بالطبع الى تطور الشخصيات المسرحية وجعلها تكون أكثر كمالا •

والتطور الثالث هو تطور التكنيك المسرحى • فالمأساة الاغريقية قد أخذت لنفسها شكلا معينا ثابتا وأصبحت مجزأة الى أجزاء واضحة • فالمأساة أصبحت تتألف من : أولا المقدمة (Prologue) وفى هذا الجزء يطرح المؤلف موضوع مسرحيته ويشير الى مكان الحادث واحيانا الى الزمن • وبعد المقدمة تأتى الجوقة فتنشد الاغنية الافتتاحية وهذه الاغنية تسمى (Parodos) ثم تبدأ المسرحية وتكون مقسمة الى خمسة أقسام أى خمس قطع حواريه يفصل كل منها عن الاخرى خمس اغنيات للجوقه • وبعدها تأتى الخاتمة المسماة (Exodvs) اكزووس •

ومن تقسيم الحوار الى خمسة أجزاء جاء فيما بعد تجزؤ المسرحية الى خمسة فصول والتى أصبحت بعد ذلك سنة الكتاب المسرحيين الذين تلوا اسكيلس •

المصادر

Kenneth Maggowand and William Melnitz. *The Living Etage,* 1952.

A. M. Nagler, *Sources of The Theatrical History,* 1952.

Allardyce Nicoll, *World Drama,* (1949).

Oates and O'Neill, *The Complete Greek Drama* (1938).



رأس تمثال من الديورايث ، من المعتقد جدا انه يمثل رأس حمورابى وقد وجد فى سوسة عاصمة بلاد عيلام (خوزستان) ٠ ارتفاعه ١٥ سم ٠ (متحف اللوفر) ٠

قوانين حمورابى[1]

والقوانين البابلية الاخيرة

الدكتور محمود الامين

نبذة تاريخية

عند الكلام عن قوانين حمورابى ، لابد من التطرق الى شخصية مشرعها ومكانتها فى تاريخ العراق القديم ، وذكر الاسباب الموجبة لتشريعه هذه القوانين التى كان لاكتشافها فى أوائل القرن الحالى صدى عظيم فى الاوساط العلمية الغربية ومتتبعى دراسات تاريخ الشرق الادنى القديم وحضاراته • والكلام عن حمورابى ، معناه الكلام عن السلالة الملكية التى حكمت فى بابل فى بداية القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، فعرفها المؤرخون بسلالة بابل الاولى •

ان اهمية هذه السلالة فى تاريخ الحضارة العراقية القديمة تنحصر فى كونها صبغت حضارة بلاد وادى الرافدين وثقافته بصبغة سامية غربية[2] واكسبته الطابع السامى الغربى بلغته وثقافته واتجاهاته الفكرية والسياسية • كما كانت عاملا مهما فى تحقيق ما لم يستطع تحقيقه الاكديون (٢٣٥٠

---

(١) حمورابى وتقرأ فى البابلية خمّورابى ومعناه السيد العظيم وكذلك يعنى رئيس العائلة •

(٢) ان مصطلح السامية وان كان تعبيرا مغلوطا من الناحية الانثروپولوجية (علم الاجناس) ولكنه شائع الاستعمال لدى المؤرخين ويطلق على سكان الجزيرة العربية الذين يتكلمون لهجات متعددة تنتمى الى أصل واحد منشأه الجزيرة العربية • ولما كانت بلاد وادى الرافدين مكشوفة منذ العصور الحجرية القديمة أمام سكان الجزيرة ، لذا فان هجراتهم اليها كانت مستمرة بمرور الزمن ، سواء أكانت تلك الهجرات لاسباب اقتصادية أم غير اقتصادية • ولكى يفرق المؤرخون ، الساميين فى بلاد وادى الرافدين عن الساميين فى الجزيرة العربية على أساس اللهجات المحلية ، فقد اطلقوا على ساميى بلاد وادى الرافدين اسم الساميين الشرقيين وعلى ساميى الجزيرة العربية اسم الساميين الغربيين •

ق٠م٠) فى جعل هذا الوشاح الاخضر من شمال شرقى الجزيرة العربية ، ثابتا على صدر الجزيرة العربية الى الابد ، لم يستطع انتزاعه حكم الغرباء ، من الكشيين والاخمينيين والاغريق والساسانيين وهولاكو ومن خلفه من مماليك الشرق ٠

حكمت هذه السلالة من ١٨٣٠ ـ ١٥٣١ ق٠م٠ ففى الوقت الذى كان فيه الزحف العيلامى[٣] بقيادة كودرمابك وولديه وردسن وريمسن ، يتحرك من عيلام ومقاطعة ياموتبل (الواقعة شمالى شرقى منطقة ديالى) نحو مدينة لارسا للقضاء على آخر ملكها صلي أدد ـ كان هناك فى مدينة اكدية صغيرة ، تدعى بابل ، قد استقر فيها زعيم من الساميين الغربيين يدعى سمو آبُم ، يساعده فى هذا الغزو أفراد عشيرته من العموريين أو الآموريين ٠ فأسس هذا سلالة ملكية صغيرة فى بابل واتخذ هذه المدينة العريقة فى القدم عاصمة له ٠

وقد حكم من هذه السلالة احد عشر ملكا ، استغرق حكمهم ٣٠٠ سنة فكانوا كالآتى :ـ

سمو آبُم ١٨٣٠ ـ ١٨١٧ ق٠م٠
سمو لا ايلو ١٨١٦ ـ ١٧٨١ ق٠م٠
سابُم (سابيوم) ١٧٨٠ ـ ١٧٦٧ ق٠م٠
آفيل سن ١٧٦٦ ـ ١٧٤٩ ق٠م٠
سن مبلط ١٧٤٨ ـ ١٧٢٩ ق٠م٠
حمورابى ١٧٢٨ ـ ١٦٨٦ ق٠م٠
شمسو ايلونا ١٦٨٥ ـ ١٦٤٨ ق٠م٠
أبيشو ١٦٤٧ ـ ١٦٢٠ ق٠م٠
أمى ديتانا ١٦١٩ ـ ١٥٨٣ ق٠م٠
أمى صدّوقا ١٥٨٢ ـ ١٥٦٢ ق٠م٠
شمسو ديتانا ١٥٦١ ـ ١٥٣٠ ق٠م٠

تعتبر سلالة بابل الاولى الموجة السامية الغربية الثالثة التى غزت بلاد وادى الرافدين من الجزيرة العربية ، من شـــمالها الشرقى خلال الالف الثالث الاولى المبتدئة بتاريخ عصر التدوين • وقد كانت اولى هذه الموجات الثلاث جماعة مُسيلم صاحب مدينة كيش (تل الاحيمر) قرب المسيب وذلك حوالى ٢٦٠٠ ق•م• وكانت الموجة الثانية ، موجـــة الاكديين فى حوالى ٢٣٥٠ ق•م•

اما الموجة الثالثة ، فهى السلالة التى نحن بصددها وقد عرفها المؤرخون باسم سلالة بابل الاولى • وقد جاءت قبيلتها من أعالى نهر الخابور وانحدرت الى الجنوب مع مجرى نهر الفرات حتى استقرت فى مدينة بابل التى كانت آنذاك خالية من المقاومة لانشغال لارسا فى الدفاع عن نفسـها من الغزو العيلامى • وسرعان ان تمركزت هـــذه الدولة الصغيرة وأخـــذ ملوكها الاول ولاسيما سمو لا ايلو ابن المؤسس واحفاده سابُم وافيل سن يعملون بنشاط فى اقامة التحصينات وبناء الاسوار وانشاء قوة عسكرية • ولـكن سرعان ان بدأ العدو التقليدى يهدد كيان هذه الدولة الصغيرة ـ وهـــذا العدو ، هو العيلاميون الذين طردوا صلي أدد آخر ملك من سلالة نيلانم فى لارسا وجلس مكانه العيلامى ورد سن ولـكن هذا لم يعمر كثيرا اذ خلفه على العرش اخوه ريمسن الذى حكم احدى وستين سنة •

واشتد التنافس بين ريمسن الحاكم فى لارسا وبين حكام بابل للسيطرة على بلاد بابل باجمعها ولـكنه لم يجاهر فى البداية بعدائه للبابليين ريثما يبتلع دويلة ايسن • فاتفق مع آفيل سن وسن مبلط ملـكى بابل ، على القضاء على سلالة ايسن وغزو ممتلـكاتها • وقد تم له ما أراد ، اذ قضى على آخر ملـكها دامق ايليشو وبذلك أصبح ريمسن السيد الذى لا ينازع على حكم جنوب بلاد وادى الرافدين •

وفى سنة ١٧٢٩ ق•م• توفى سن مبلط البابلى ، الذى قام ببعض التشريعات وسن القوانين ، فخلفه فى الحـكم على بابل ابنه حمورابى •

حمـــورابى :

يعتبر حمورابى من اعاظم ملوك تاريخ العراق القديم ، فقد انصرف فى اولى سنوات حكمه الى الاصلاحات الداخلية وترفيه حالة السكان المعاشية واقامة المشاريع وذلك لـكسب رضا الناس ومحبتهم • ثم انصرف الى اصلاح الجهاز الادارى والقضاء على الرشوات ورفع المظالم وتثبيت العدل فى البلاد والاهتمام بحفر الترع واقامة السدود وتقوية الجيش وتثبيت الاسعار • وقد تجنب كل ما من شأنه الاصطدام مع القوى الخارجية المحيطة به • فقد صادق مجيئه فى فترة تعد من أصعب الظروف السياسية فى تاريخ العراق القديم • ففى الشمال كان الملك الاشورى القوى شمشى أدد الاول ودولة مارى (تل الحريرى القريب من البوكمال) والخاضعة لنفوذ الآشوريين • وفى الشرق عدوه القـــوى ريمسن حليف شمشى أدد ومملـكة اشنوناك (القسم الجنوبى من نهر ديالى) • ولذا فقد قضى حمورابى فترة طويلة من حكمه تقدر باحدى وثلاثين سنة بالتريث والانتظار وتجنب التحرش باعدائه ، فانصرف فى أثنائها الى تقوية جبهته الداخلية ، فعمل على جعل الادارة مركزية وانتخب الولاة الذين يعتمد عليهم وقد كان يوصيهم بالسهر على ادارة شؤون المملـكة ورفع مستوى الشعب الاقتصادى والثقافى واشاعة العدل فيما بينهم • وفى ذلك مجموعة كبيرة من رقم الطين التى تتضمن مراسلاته الى هؤلاء الولاة •

وقد ساعدت الظروف هذا الملك النابه القوى على ازاحة اعدائه ومناوئيه من مسرح السياسة واحدا بعد الآخر ، فتحطم النطاق الذى كان مطبقا عليه • وقد بدأ الحظ يخدمه فى ازاحة أقوى عدو له هو الملك العتيد شمشى ادد الجاثم فى قمة البلاد • وانه لجدير ان نذكر لمحة عابرة عن شمشى ادد الذى كان يمسك بزمام الحلف القوى ضد حمورابى • كان شمشى ادد قد ضيق الخناق على بلاد بابل وكان نفوذه فى زمن حمورابى يمتد حتى شمالى مدينة بابل بقليل وكان قد احاط حمورابى بنطاق قوى من احلاف من دول متعددة مثل دولة مارى التى كانت خاضعة له والتى كان يشرف على ادارتها ابنه يسمع ادد (نائب الملك الوالد) • ثم مملـكة اشنونا (ك) وبلاد ياموتبل

وعيلام والدول التابعة لها ثم مملكة لارسا التى كان ملكها انذاك ريمسن القوى • فلما توفى شمشى ادد وخلفه على العرش ابنه اشمى داگان ، لم يستطع هذا ملء مكانة ابيه وقيادة الحلف الذى كان والده قد كونه ضد بابل ، فقد ثارت عليه امارة مارى وطردت اخاه يسمع ادد واجلست على عرشها ملكا قويا هو زمرى لم • واستغل ريمسن ضعف الدولة الآشورية فسيطر على هذا الحلف بمعونة اقربائه العيلاميين وأخذ يشن الهجمات على بابل ويحرض المقاطعات البابلية على الثورة على حمورابى • فما كان من حمورابى الا ان يلتحم بمعركة عنيفة مع خصمه القوى ريمسن وذلك فى السنة الواحدة والثلاثين من حكمه الذى دام ٤٢ سنة • فدحره وهرب ريمسن من عاصمة ملكه لارسا التى سقطت بيد حمورابى وبذلك تمكن حمورابى من تحطيم الحلف • ثم جدّ فى تعقيب ريمسن حتى تمكن منه وقاده اسيرا الى مدينة بابل ، وبذلك استولى حمورابى على جميع جنوب العراق وبلاد عيلام واشنونا(ك) وياموتبل • ثم التفت الى دولة مارى وغزاها وقضى على ملكها زمرى لم • ولكن مدينة مارى ثارت فى وجه حمورابى ، فاحرقها واحرق قصر الملك زمرى لم ثم تقدم نحو بلاد آشور واحتلّ جزءاً منها • وكذلك احتلّ بلاد سوبارتو : المنطقة الواقعة شمال كركوك وشرقيها وبذلك أصبح ملك الجهات الاربع •

لم يكن حمورابى يحلم بتكوين امبراطورية كبيرة كمنافسه القوى شمشى ادد وانما كان يسعى الى توحيد بلاد سومر واكد ، بنفس الفكرة التى كان يحلم بها ملوك سلالة اور الثالثة (٢١٥٠ ـ ٢٠٥٠ ق•م•) •

تسنم العرش البابلى من بعده خلفاء ضعاف لم يستطيعوا المحافظة على ما تركه لهم حمورابى من قوة السلطان وسعة الملك ، فنشبت الثورات الداخلية وكثرت هجمات الكشيين ، القبائل الجبلية الشرقية التى تعيش على قطع الطرق والنهب • وقد كثرت هجماتهم على بلاد بابل ، لاسيما فى زمن ابنه شمسو ايلونا ، كما ثار عليه احد ولاة ريمسن ايلوما ايلو ، والى بلاد البحر واستطاع ان يستقل عن دولة بابل ولم يفلح ابيشو خليفة شمسو ايلونا فى استرجاع منطقة بلاد البحر ، بل خسر مقاطعات اخرى من جنوب

بابل ودخلت جميع المناطق الواقعة جنوب ايسن تحت نفوذ امارة بلاد البحر • ولـكن ابنه امى ديتانا تمكن من استرجاع جميع المقاطعات التى خسرها والده ، كمـــا قضى على امارة بلاد البحـــر التى كان العيلاميون يساندونها • وأخذ يستعيد مجد البلاد ولـكن ذلك لم يدم طويلا اذ سرعان ما أخذت الدولة البابلية تسير نحو الاضمحلال والزوال حتى انقرضت فى زمن شمسو ديتانا على يد الحثيين الذين هاجموا بابل بقيادة ملـكهم مرشيلى الاول سنة ١٥٣١ فقضوا على سلالة بابل الاولى ودمروا المدينة ونهبوا ما فيها من خزائن وحملوا معهم تمثال الاله مردوك وزوجته سرپانيتم •

ان أعظم عمل قام به حمورابى هو تشريعه للقوانين وتبويبها وتثبيتها على الحجر والطين وتوزيعها على المدن البابلية لـكى يقرأها الناس ويتدبروا احكامها ويسير على موادها الحـكام والقضاة لتطبيق العدل بين الناس • وقد دون هذه التشريعات التى جمعها من تشريعات سابقة ، كتشريعات سومرية مثل قوانين اورك عجينا آخر ملوك سلالة لـكش الاولى (٢٣٦٠ ق•م•) واورنمو مؤسس سلالة اور الثالثة (٢١٥٠ ق•م•)[٣] ولبيت عشـــار

---

(٣) لم يعثر على قوانين اورنمو كاملة وانما على كسرات وجدتها البعثة التنقيبية الاميركية التى نقبت فى مدينة نيپور (نفر) فى مستهل القرن العشرين • وهذه الـكسرات محفوظة فى متحف استانبول وتظهر فيها عشرون مادة ولـكن أربع مواد منها واضحة القراءة نوعا ما • وقد قدمت هذه القوانين بمقدمة طويلة مثل المقدمة التى نجدها فى قوانين حمورابى • وللتشابه بين قوانين اورنمو وقوانين حمورابى ندرج المواد التى يسهل قراءتها ، للمقارنة :ـ

المادة ١ ـ اذا مسك شخص رقيقا مهزوما فى حقل بعيد محاولا عبر الحدود ، واتى به فعلى صاحب الرقيق ان يدفع للمعبد شيكلين من الفضة •

المادة ٢ ـ اذا شخص كسر قدم شخص آخر بسلاح فيجب ان يدفع له عشرة شيكلات من الفضة •

المادة ٣ ـ اذا شخص قص عظم شخص آخر بسلاح فيجب ان يدفع له منّا من الفضة •

المادة ٤ ـ اذا شخص قص أنف شخص آخر بآلة قاطعة فيجب ان يدفع له ⅔ المن (مانا) من الفضة •

وقد قرأ هذه القوانين وترجمها العلامة كريمر ونشرها فى كراس :ـ

Samuel Noah Kramer, Urnammu Law Code.

(١٨٧٥ – ١٨٦٥ ق٠م٠) ملك ايسن ، ثم من تشريعات سامية اخرى كتشريعات بيلا لاما ملك اشنونا(ك) (١٨٦٠ ق٠م٠) فجمعها وحذف منها ما كان لا يتفق وطبيعة العصر الذى يعيش فيه واضاف اليها موادا اقتضتها مصلحة الدولة آنذاك ولاسيما القوانين الصارمة الخاصة بالقتل والقصاص بالمثل والتى هى بلاشك سامية غربية لان القوانين السومرية كانت تتجنب القصاص بالمثل وكانت تميل الى التعويض والدية ٠

سجل حمورابى هذه القوانين على مسلة كبيرة من حجر الديوريت الاسود ، طولها ٢٢٥ سم وقطرها ٦٠ سم وهى اسطوانية الشكل ٠ وقد وجدت فى مدينة سوسا أثناء حفريات البعثة التنقيبية الفرنسية ١٩٠١ – ١٩٠٢ فكان لاكتشافها صدى عظيم ٠ وتقع هذه القوانين فى أربعة وأربعين حقلا ، كتبت باللغة البابلية (السامية) وبالخط المسمارى الاكدى ٠ ويظهر فيها ٢٨٢ مادة بوضوح ومن المرجح انها كانت تزيد على ٣٠٠ مادة بقليل ٠ وكان قد نقلها الى مدينة سوسا مع الغنائم والاسلاب التى حملها معه الملك العيلامى شتروك ناخونتى الذى غزا بابل حوالى سة ١١٧١ ق٠م٠ وقد محا عددا من الاسطر ليسجل مكانها على ما يبدو اسمه وتاريخ احتلاله مدينة بابل ٠ وفى قسمها الاعلى تحت بارز يمثل الاله شماش ، الاله الشمس ، جالسا على عرشه يسلم بيده اليمنى الملك حمورابى الواقف امامه بخشوع عصا الرعى (ليكون راعى البشر) وخيط القياس للبناء وتحديد الاسعار والملكية ٠ وتنبعث من كتفى الاله حزمتان من الشعاع للدلالة على انه الاله الشمس ، اله العدل فى السماء والارض ومبدد الظلام والظلم ٠ وقد ظهر حمورابي بوضعية الصلاة للاله فقد رفع يده اليمنى وارتدى رداء الكهنة وهو اللباس الخاص الذى يلبس فى المعبد أثناء الطقوس الدينية ، فى الصلاة وعند المثول أمام الاله أو تمثاله ٠ وارتدى العمامة وهو لباس الرأس عند الساميين الغربيين الذى دخل العراق بدخول الاكديين أو قبلهم بقليل فى منتصف الالف الثالث قبل الميلاد ٠ ويبدو عليه انه يكلم الاله شماش ٠

نصب حمورابى هذه المسلة فى فناء معبد ايزاگيلا ، معبد الاله مردوك

الاله الرسمى للدولة البابلية الاولى • ونصب مثلها فى معبد الاله شماش فى مدينة سپار (تل ابو حبة) ، الاله الرئيس للمدينة • وذلك لكى يراها الناس فيقرأون تشريعاته ويتدبرون معانيها ويعملون بها بمرور الزمن • ولاشك انه دون هذه الشرائع على عدد غير قليل من رقم الطين ووزعها على حكام المدن •

بدأ حمورابى قوانينه بمقدمة كتبت بأسلوب يقرب من الشعر وكلها تثبت شرعية هذه القوانين لتأييد آلهة البلاد له التى اطرى فى تمجيدها وتعظيمها والثناء عليها لتنير له السبيل فى حكم البلاد وتساعده فى توطيد العدل واحقاق الحق وهداية الحكام والولاة فى تطبيق الاحكام على الناس بالعدل • كما ذكر فيها شمول سلطانه جميع بلاد وادى الرافدين من الخليج حتى اقصى الحدود الشمالية • ثم ختم قوانينه بخاتمة طويلة كتبت بنفس الاسلوب الذى كتب بها المقدمة وفيها يذكر جميع ما قام به من الاعمال ويطلب من جميع آلهة البلاد افنا كل من لا يعمل بهذه القوانين ومن يحاول طمسها وتخريبها •

تبويب قوانين حمورابى :

صنفت قوانين حمورابى الى اثنى عشر قسما :ـ

القسم الاول يحتوى على المواد من ١ ـ ٥ التى تتعلق بالقضاء والشهود •

القسم الثانى يحتوى على المواد من ٦ ـ ٢٥ تتعلق بالسرقة والنهب •

القسم الثالث يحتوى على المواد من ٢٦ ـ ٤١ تتعلق بشؤون الجيش •

القسم الرابع يحتوى على المواد من ٤٢ ـ ١٠٠ تتعلق بشؤون الحقل والبساتين والبيت •

القسم الخامس يحتوى على المواد من ١٠٠ ـ ١٠٧ تتعلق بمخازن البيع بالجملة ودكاكين التجار والرهنية والتعامل مع صغار التجار •

القسم السادس يحتوى على المواد من ١٠٨ ـ ١١١ تتعلق بساقية الخمر •

القسم السابع يحتوى على المواد من ١١٢ ـ ١٢٦ تتعلق بالبيع •

القسم الثامن يحتوى على المواد من ١٢٧ ـ ١٩٥ تبحث فى شؤون العائلة وحقوقها وعلاقات أفرادها فيما بينهم •

القسم التاسع يحتوى على المواد من ١٩٦ ـ ٢٢٧ وهى عقوبات التعويض وغرامات نقض الاتفاقيات والعقود والتعهدات •

القسم العاشر يحتوى على المواد من ٢٢٨ ـ ٢٤٠ تتعلق بالاسعار وتعيين أجور بناء البيوت والقوارب وأثمانها •

القسم الحادى عشر يحتوى على المواد من ٢٤١ ـ ٢٧٧ تتعلق بأجور الحيوانات والاشخاص •

القسم الثانى عشر يحتوى على المواد من ٢٧٨ ـ ٢٨٢ تتعلق بتعيين حدود الرقيق وحقوقهم وواجباتهم •

والملاحظ فى قوانين حمورابى خلوها من مواد تتعلق باللواطة ومن المحتمل انها كانت مباحة عند البابليين بدليل وجود بعض الدمى الطينية التى تثبت وجودها فى جنوب بلاد وادى الرافدين ووسطه •

المصـــادر

ان مسلة حمورابى معروضة الآن فى متحف اللوفر فى باريس وكان أول من كتب عنها ونشر صورتها هو :ـ

V. Scheil , Memoires de la Delagation en Perse, IV, 1902, IIff.

اما ترجمة قوانين حمورابى فقد نشرت فى أهم المصـــادر الغربية التالية :ـ

A. Deimel, Codex Hammurabi.

R. F. Harper, The Code of Hammurabi 1904.

D. D. Luckenbill and Edward Chiera in J. M. P. Smith, The Origin and History of Hebrew Law, 1931.

Wilhelm Eilers, Ao (Alte Orient) XXXI, 1931, Heft 3/4.

Pierre Chruveiller, Commentaire du Code D'Hammurabi, 1938.

Kohler, Ungnad Und Peiser, Die Gesetze Hammurabi.

Miles and Driver, The Babylonian Laws.

Pritchard, Ancient Near Eastern Texts. (Theophile J. Meek.)

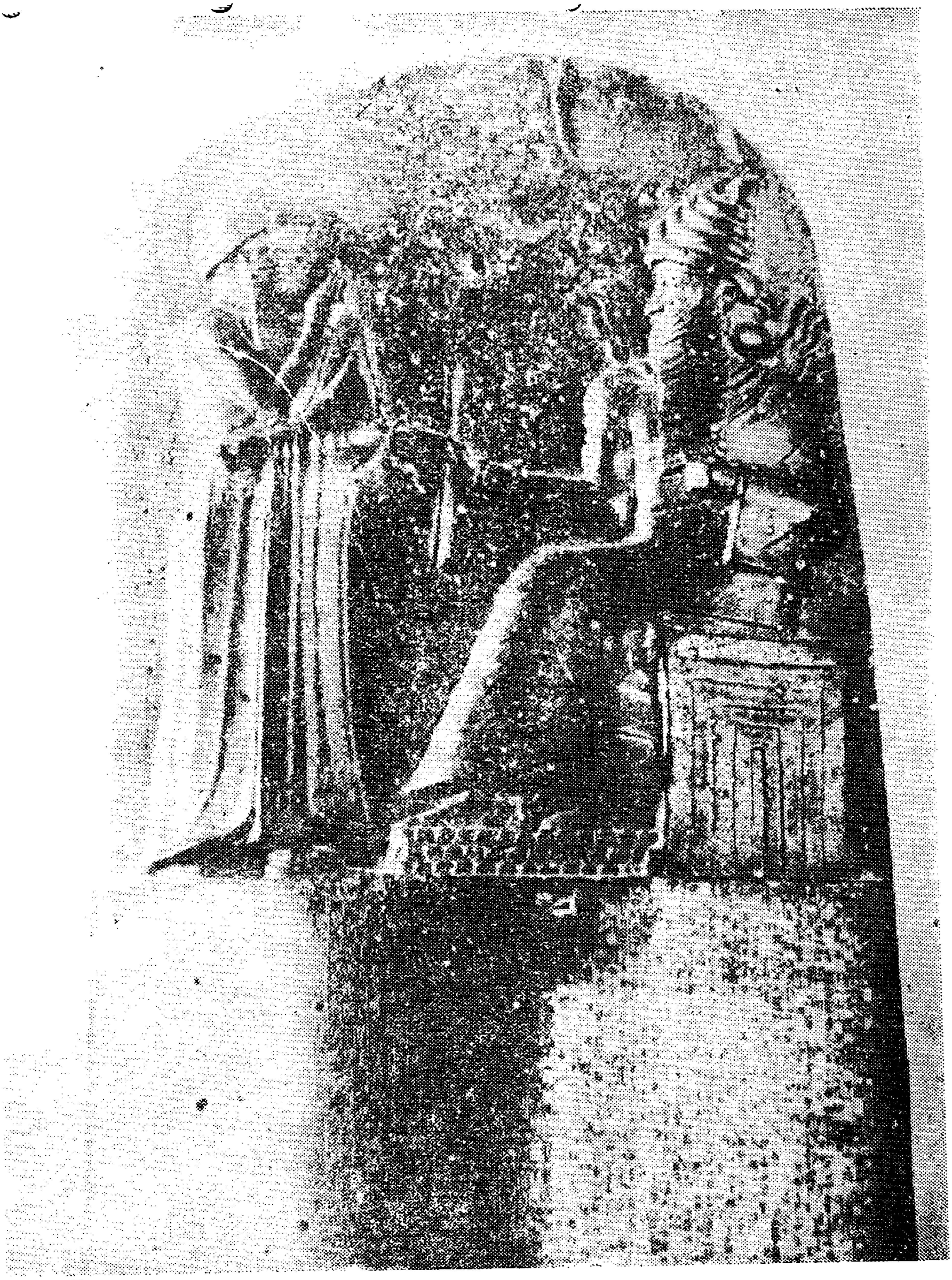
اما المصادر العربية فهى :ـ

ترجمـة قوانين حمورابى : عبده حسن الزيات ، فى مجلة القضاء ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ ٠

قوانين حمورابى : ترجمة عبدالمسيح وزير ، مجلة اليقين ١٩٢٣ ـ ١٩٢٥ ٠

شريعة حمورابى اقدم الشرائع العالمية ، الدكتور عبدالرحمن الـكيالى ، حلب ١٩٥٨ ٠

ويؤسفنى أننى لم اطلع على هذه المصادر العربية لان أغلب ظنى بان المترجمين الاولين يجهلان الخط المسمارى واللغة البابلية القديمة التى كتبت بها قوانين حمورابى ومما لاشك فيه ان ترجمتهما لهذه القوانين كانت عن اللغة الاجنبية ٠ اما المترجم الفاضل الثالث فلا أستطيع ابداء رأيى بترجمته لاننى لم اقع على كتابه الذى لاشك انه قيم ٠ على اننى سعيد لان أقوم بترجمة هذه القوانين عن الاصل مع الاعتماد على الترجمات الموفقة باللغتين الالمانية والانكليزية وفي مقدمتها ترجمة العلامة Eiler وترجمة العلامتين Kohler , Ungnad وكذلك العلامة Th. Meek ٠ وبذلك أكون قد وضعت بين ايدى الباحثين فى تاريخ العراق القديم وحضارته والمتتبعين لتاريخ القوانين ونشأتها ، مصدرا فى اللغة العربية ، اعتقد انها محاولة فى غاية الاهمية لاسيما واننى حاولت التقيد جهد الامكان بالنص وطريقة تركيب الجملة البابلية القديمة ولذلك فان القارىء سيجد فى ترجمتى تأخيرا وتقديما للافعال وأسماء الفاعل والمفعول به والمبتدأ والمضاف والمضاف اليه ٠٠٠ الخ ٠ وذلك لـكى تأتى الجملة العربية مطابقة للجملة البابلية فى التركيب وهذا مما يساعد تلامذة الدراسات المسمارية فى قراءة قوانين حمورابى باللغة البابلية القديمـــة وترجمتها الى العربية ٠



مسلة حمورابى وفيهـا قوانينه ويظهر فى الاعلى الاله شمش يسلم العصا وشر
القياس للملك حمورابى بنفس الوضعية والاسلوب اللتين يقف فيهما اورنمو امام ا
القمر ننار وزوجته الالهة ننگال .

الاســـتهلال

لما قضى الاله آنوم(٤) المتسامى ، ملك آنوناكى(٥) ،
والاله انليل(٦) سيد السماء والارض ،
مُعيّن الآجال فى الارض ،
قضيا لمردوك(٧) الابن البكر لانكى(٨) ،
(ان يستلم) مهمات انليل على كل البشر ،
وجعلاه عظيما بين الايگيگى ،

---

(٤) وهو الاله آنو ، اله السماء ورئيس الآلهة وكان مركز عبادته فى الوركاء فى معبد اى أنّا وهو نفس المعبد الخاص بالالهة اننّا ٠

(٥) هى الآلهة الصغرى التابعة للاله آنو ومقرها فى السماء ، والايگيكى هى الآلهة الصغرى أيضا وتكون حاشية الاله انليل ، الاله الرئيس لمدينة نيپور (نفّر) ٠

(٦) اله الصواعق واحد الثالوث الاعظم : آنو ، ايا وانليل وبيده السلطة التنفيذية وهو الذى سير الطوفان على سكان بلاد وادى الرافدين لانهم فسقوا وظلموا وصدوا عن عبادة الآلهة وهو صاحب قصة الخليقة السومرية الذى قضى على الالهة تيامت ، الهة الشر والفوضى والمحيطات المالحة وهو صاحب اللوح المحفوظ الذى يعين فيه آجال البشر وبيده مصائر الحكام والملوك ٠ مركز عبادته فى مدينة نيپور ويطلق على معبده اى كور Ekur ورمزه التاج المقرن فوق العرش الالهى دلالة على انه ملك الارض والجو ٠

(٧) هو الابن البكر للاله انكى وزوج الالهة سرپانيتم وقد كان اله مدينة بابل منذ أواسط الدور الحجرى الحديث ولما أصبحت بابل عاصمة للسلالة الآمورية ، صار مردوك الهها واله الدولة الرسمى واتسع سلطانه باتساع دولة بابل على يد حمورابى وأخذ جميع واجبات وخواص الاله انليل وأصبح فى اعتقاد البابليين بطل قصة الخليقة وصاحب اللوح المحفوظ ، مقسم الآجال بين البشر وبيده مصير الملوك والحكام ومعبده فى بابل يعرف باسم ايزاگيلا وله زقورة (معبد مدرج) تعرف باسم ايتيمينانكى ورمزه المشخشو ، الحيوان المركب من رأس ثعبان اوتنين وجسمه سمكة وله يدا اسد ورجلا نسر وذيل عقرب ونجده مصورا بطريقة القالب على جدران شارع المحفل لاعياد رأس السنة البابلية فى مدينة بابل ٠

(٨) اله الارض واله المياه العذبة كالانهار والينابيع ، واله الحكمة والعلم والكتابة وهو الذى علم السومريين الكتابة ٠ كذلك اله الرقى والتعاويذ والطب ومركز عبادته فى مدينة أريدو وكان عرشه على الماء ويعرف اي أبسو ٠

وسميا بابل باسمها المعظم ،
وجعلاها الرفيعة فى العالم ،
واقاما له فى وسطها ملـكية أبدية ،
أسسها ثابتة كالسماء والارض •
آنذاك سمّيانى آنوم وانليل
لازدهار خير البشر(٩) ،
أنا حمورابى ، التقى ، الامير الذى يخشى الاله •
لاوطد العدل حتى يسود الارض
لأقضى على الخبيث والشر
لـكى لا يستعبد القوى الضعيف
ولـكى يعلو كالشمس فوق ذوى الرؤوس السود(١٠)
ولـكى ينير البلاد •
انا حمورابى ، الراعى كما دعانى انليل
الذى يجعل الخير فيضاً وكثرة
الذى يموّن نيپور ـ دورانكى(١١)
بكل شيىء مما لا يحصى ،
الحامى الورع لايكور
الملك الـكفء الذى جدد بناء أريدو كما كانت •
الذى يطهر عبادة اي‌أپسو ،
الذى ينشر (سلطانه) على جهات العالم الاربع ،
الذى يجعل اسم بابل عظيماً ،
الذى يبهج قلب مردوك ، ربّه ،

---

(٩) الترجمة الحرفية « ليجعل لحم البشر حسنا » .
(١٠) وهو المصطلح الذى اطلقه السومريون المتأخرون على الناس ويقابل فى العربية سواء الناس .
(١١) دورانكى ، ومعناها رباط السماء والارض وكان هذا الاسم يطلق على مدينة نيپور .

الذى وقف حياته لخدمة اى زاگيلا •
المنحدر من الملـكية ، الذى انجبه سن[١٢]
الذى جعل اور تزدهر ،
التقى ، المتضرع ، الذى اغدق الخير على
اى گش شرگال •
انه الملك الحـكيم ، المطيع لشماش[١٣] العظيم
الذى اعاد تشييد اسس سپار
الذى زيّن بالاخضر مصليّات آيا •
مخطط معبد اى ببّار الذى يشبه مسكنا سماويا ،
المقاتل ، حامى مدينة لارسا[١٤]
الذى اعاد بناء اى ببار لشماس معينه ،
انه السيد الذى نعش[*] اوروك
الذى جهز سكانها بفيض من الماء

---

(١٢) الاله القمر ، ابن انليل ووالد شماش وزوج ننگال وكان مركز عبادته فى اور ويعرف معبده باسم اى گش شرگال ورمزه الهلال • واسمه فى السومرية ننا (ر) •

(١٣) الاله الشمس وهو اله العدل ، يرد للمظلوم حقه وينتقم من الظالم وكان مركز عبادته فى مدينة سبار (ابو حبة) بالقرب من المسيب • ومعبده يعرف باسم اى ببّار وهو زوج الالهة آيه Aya ورمزه النجمة المثمنة والمربعة التى تنبعث منها ألسنة الاشعة أو اللهيب •

(١٤) وتعرف فى الوقت الحاضر باسم السنكرة وتقع فى جنوب بلاد بابل وكانت كذلك مركزا لعبادة الاله شماش ومعبده فيها يعرف أيضا باسم اى ببّار • وهى المدينة السومرية القديمة التى كانت مركز عبادة الاله الشمس السومرى اوتو • وقـد احتلها حمورابى فى السنة الثلاثين من حكمه وقضى على السلالة العيلامية واسر ملـكها العجوز ريمسن ووضعه فى قفص وجاء به الى معبد الاله انليل فى نفر ، فهجم عليه قومه ونهشوه •

(*) وهن من أقدم المدن السومرية فى بلاد سومر وورد ذكرها فى التوراة (قصة الخليقة ١٠ : ١٠) وتعرف اليوم باسم الوركاء وهى مركز عبادة الاله آنو والالهة اننّا وقد عاشت هذه المدينة حتى العهد السلوقى (القرن الثالث ق•م•) • وغزاها حمورابى فى السنة السادسة من حكمه •

الذى رفع عاليا قمة اى أنّا
الذى اغدق الثروة بغزارة على آنوم وانَنّا
الحامى للبلاد ، الذى جمع شمل سكان ايسن المشردين(١٥)
الذى غمر معبد اى گال مخ بالثروة ،
ملك الملوك ، الاخ الكامل لزبّابا(١٦)
الذى اعاد تأسيس مدينة كيش ،
الذى احاط ايميتى ـ اورصاك بالبهجة
الذى جعل معابد اننا أمينة
المقدس لمعبد خرصاك ـ كالاما(١٧)
المرعب للاعداء •
الذى جعله ارّا(١٨) ، رفيقه ليحقق رغبته ،
الذى جعل كوثا رفيعة الشأن ،
الذى قدم كل التسهيلات لميسلم ،
انه الثور الوحشى الذى ينطح العدو ،

---

(١٥) تقع جنوب نيبور وتعرف اليوم باسم ايشان البحريات وقد غزاها رمسن فى السنة التاسعة والعشرين من حكمه واستولى عليها حمورابى فى السنة السادسة من حكمه وهى مركز عبادة الالهة ننكرّاك ومعبدها هو اى گل مش •

(١٦) عبد هذا الاله فى مدينة كيش ومعبده يعرف باسم ايميتى ـ اورصاك • وكان الاله الرئيس لسلالة مسيلم •

(١٧) هو معبد انّنا فى مدينة كيش زوجة الاله زّبابا •

(١٨) ارّا ، اله الوباء والحرب عند البابليين وكثيرا ما يفسر بالاله نرگال ومعبده ميسلم Meslam فى مدينة كوثا Kutha شمال بابل وتعرف اليوم بتل ابراهيم • وقد اشتهرت باسمه اسطورة تتحدث عن الكوارث التى حلت ببلاد سومر واكد من جراء حكم الآلهة السبعة « سيبتى Sibitti » التابعين للاله ارّا وكان هؤلاء موكلين منه بمعاقبة البشر وافنائهم • وتروى الاسطورة بانهم دمروا عددا من المدن السومرية والاكدية كمدينة نيپور والوركاء ، كما ان بابل لم تسلم من شرّهم • ولما زال غضب الاله ارّا ، عادت بابل الى سابق عزها وصارت تسيطر بحكمها على العالم •

محوب توتو[١٩] ، انه الذى يجلب السرور الى بورسيبا ،
الورع ، الذى لم يكن عائقا لـ اى زيدا ،
انه الاله بين الملوك ، مقرونا بالحكمة ،
انه الذى مد رقعة الارض المزروعة التابعة لدلبت[٢٠]
الذى يخزن الحبوب لـ اورش العظيم ،
انه السيد المحلّى بالصولجان والتاج •
انه الذى اكملته ماما بالعقل[٢١]
الذى وضع التصاميم لـكيش
الذى اعد الوليمة الفاخرة لـ ننتو
انه الساهر ، الكامل ،
الذى يهيىء المراعى ومحلات الشرب لـ ـ لـگش وگرصو[٢٢] ،
الذى يقدم الضحايا بسخاء الى اى ننّو ،
انه الذى يقبض على الاعداء ، انه محبوب تيشوم[٢٣] ،
الذى ينجز اوامر الوحى لهلاب[٢٤] ،
الذى يجعل قلب عشتار[٢٥] فرحا ،
الامير اللامع الذى يتقبل صلواته أدد ،

---

(١٩) كان فى الاصل احد القاب الاله مردوك ثم أصبح يطلق على ابنه نابو ، اله مدينة بورسيبا (برس نمرود) واله الكتابة ورمزه قصبة الكتابة ومركز عبادته فى بورسيبا ومعبده يعرف باسم ازيدا Ezida

(٢٠) دلبت ، مدينة تقع بالقرب من بورسيبا وكانت مركز عبادة الاله اورش • وقد ذكر رسام فى كتابه :ـ Ashshur and the Land of Nimrod ص ٣٤٧ بانها تل الديلم ويقول العلامة Unger بانها تقع بين الديلم والمخطط •

(٢١) ماما ، كانت الهة تعبد فى مدينة كش Kesh بالقرب من مدينة لـگش وكانت تعرف كذلك باسم ننتو Nintu •

(٢٢) گرصو ، وهو القسم الثانى من مدينة لـگش (تللو) •

(٢٣) تليثوم ، وهو احد ألقاب الالهة اننا •

(٢٤) كانت مدينة فى بلاد بابل وفيها معبد مهم لعبادة الالهة عشتار ولا يعرف موقعها بالضبط •

(٢٥) عشتار وهو الاسم السامى للالهة اننا وقد اطلق عليها هذا الاسم فى زمن الاكديين •

الذى ينعش قلب أدد ، انه المحارب ، (الساكن) فى بيت ـ كركـ
الذى اقام المناصب فى اى أ'دگلـگل ،
انه الملك الذى منح الحياة لأدب ،
سادن معبد اى مخ ،
رئيس الملوك ، المحارب الذى ليس له شبيه
انه الذى يمنح الحياة لـ مشكن ـ شبريم(٢٦)
الذى يجهز ميسلم بالشرب بوفرة ،
الحـكيم ، الادارى ،
اذى يغوص فى اعماق الحـكمة ،
المنقذ لشعب ملـكا(٢٧) من الشقاء
الذى يبنى لهم مساكن كثيرة
مرضاة لانكى ودمگلنونا
الموسع لمملـكته
الذى يقدم الضحايا الوافرة كل وقت
الأول بين الملوك
المخضع للمنازل بامتداد الفرات ،
بقوة خالقه داگان(٢٨)
الذى حرر سكان ميرا وطوطل(٢٩)

---

(٢٦) مدينة كانت تقع بالقرب من أدب (بسمايا) ويعرف موقعها اليوم بتل الجدر ٠

(٢٧) من المحتمل انها تقع على أواسط نهر الفرات وقد غزاها حمورابى فى السنة التاسعة من حكمه ثم اعاد عليها الـكرة فى السنة الرابعة والثلاثين من حكمه واحل فيها الخراب لانها ثارت عليه وكانت مركز عبادة الاله انكي وزوجته دمگلنونا والدة مردوك ٠

(٢٨) ورد فى التوراة باسم داگون وهو اله الغلال عند الساميين الغربيين وقد دخلت عبادته بلاد وادى الرافدين مع تغلغل الساميين الغربيين فيها حوالى ٢٦٠٠ ق٠م٠ وكان يعبد فى بلاد مارى وشمال غربى الجزيرة العربية ٠

(٢٩) من المحتمل ان تكون مارى التى تعرف اليوم باسم تل الحريرى وقد غزاها حمورابى فى السنة الثانية والثلاثين من حكمه ٠ اما طوطل فمن المعتقد انها هيت ٠

الامير الورع الذى ينور وجه اننا
المقيم للولائم العامرة لـ ننازو(٣٠)
المنقذ لشعبه من البؤس ،
الذى يوطد عيشهم بأمن وسط بابل
الذى ينصب عشتار فى اى أولماش وسط ساحة أكد(٣١)
الذى يجعل القانون يسود ، الذى يقود الناس فى الطريق المستقيم
الذى اعاد الى اشور(٣٢) ملاكها الرحيم الحامى ،
المنتصر على المشاغبين
انه الملك الذى جعل اسم اننا مظفرا فى نينوى(٣٣) وفى اي‌مشمش ،
انه التقى الذى يصلى بخشية للآلهة العظمى ،
انه خليفة سمولا ايل ،
الابن القوى ، الوريث لـ سن ـ مبلّط •
انه النطفة الملـكية العريقة ، الملك القوى ، شمس بابل ،
الذى يرسل النور فيغمر به بلاد سومر واكد ،
انه الملك الذى اخضع اجزاء العالم الاربعة ،
انه أنا محبوب اننا •
فلما ارسلنى مردوك لقيادة الناس فى الطريق السوىّ ،
لادارة البلاد ،

---

(٣٠) ننازو ، هو اله الطب وكان يعبد بالاخص فى مملـكة اشنونا (ك) ويقال لمعبده اي زيگيل •
(٣١) كانت عاصمة الاكديين وقد اسسها الملك سرجون الاول ٢٣٥٠ ق•م• ولا يعرف موقعها اليوم بالضبط وكانت مركز عبادة الالهة عشتار آنونيتا ولها معبد اسمه اي أولماش •
(٣٢) كانت عاصمة الدولة الآشورية ومركز عبادة الاله آشور ، الاله الرسمى • ويدعى هنا حمورابى انه احتلها وطرد ملـكها اشمى داگان واعاد اليها الامن • ولا توجد نصوص تاريخية تؤيد صحة ادعائه •
(٣٣) عاصمة الامبراطورية الآشورية الحديثة وهى الجانب الثانى من الموصل وكانت مركز عبادة الالهة اننا ومعبدها يقال له اي مشمش • وهنا يدعى حمورابى بانه احتلها •

وضعت القانون والعدالة فى لغة البلاد
لتحقيق الخير للناس ،
ففى ذلك الوقت (اصدرت ارادتى ب) :

المادة ١

اذا اتهم سيد[٣٤] سيدا واقام عليه دعوى بالقتل ولـكنه لم يستطع اثباتها فأن المتهم يعدم •

المادة ٢

اذا اشتكى سيد على سيد بتهمة السحر ولـكنه لم يثبتها فان على الذى اقيمت عليه الدعوى بتهمة السحر ان يذهب الى النهر[٣٥] وعليه ان

---

(٣٤) ان الـكلمة الاصلية فى اللغة الاكدية هى awêlum : آويلم أى اوّلم ومعناها الحرفى رجل ولـكن ورودها فى القوانين تعطى مدلولات ثلاثة ، فتعنى فى بعض الاحيان رجلا من الطبقة الرفيعة ، شريفا كان أو نبيلا • كذلك تعنى رجلا حرا من أية طبقة سواء كانت رفيعة أو عادية • وتعنى أيضا اى شخص كان من الملك الى الرقيق كما ورد فى المواد من ٣٩ الى ٤٤ من قوانين حمورابى ولذلك فقد وردت ترجمة آويلم فى هذه المواد بمعنى رجل • وقد استعمل Theophile. J. Meek كلمة سيد العربية لـكلمة أويلم الاكدية •

وبالنظر الى ان قوانين حمورابى لا تقدم لنا صورة واضحة عن المجتمع العراقى القديم فى أيام حمورابى أو تعطينا معلومات كافية عن طبقاته ووظائف هذه الطبقات وواجباتها ، كل واحدة على حدة وعن طبيعة حياتها ، فان كل ما نستطيع استنتاجه من هذه القوانين هو الفوارق التى حددتها بين الافراد الذين يمثلون طبقتهم بالنسبة الى المخالفات والعقوبات والجرائم والتقيدات الاخرى التى لها علاقة بسلامة الدولة وتماسك كيان المجتمع والفارق فى تطبيق المخالفة والجنحة والجناية على الافراد الذين يمثلون الطبقات الاجتماعية التى عرفناها بطريقة الاستنتاجات المستخلصة من طبيعة المواد • وهكذا فيمكننا ان نقول ان المجتمع البابلى يتكون بصورة عامة من الاحرار الذين يسميهم سرجون الاكدى ومن خلفه من الملوك ، بذوى الرؤوس السود SSalmê Kakadê أى سواد الشعب أو الرعية الذين لاجلهم توضع القوانين وتعين لهم الآلهة الحكام الصالحين لكى يوطدوا العدل فى البلاد ويسعدوهم ولا يظلمونهم فتيلا • وطبقة الاحرار هذه أو طبقة ذوى الرؤوس السود أو الرعية ، هى التى يعرف الفرد فيها باسم الانسان : آويلم awêlum , awîlum أى الانسان الحر • ومولول اللفظة يقابل عندنا الكلمة العربية « أول » وهو المدلول الذى أعطاه لهذه الـكلمة ، البروفسور المرحوم

يرمى نفسه فى النهر فاذا غلبه النهر فان على من اتهمه ان يستولى على ثروته فاذا اثبت النهر أن هذا السيد بريىء وخرج منه سالما فان الذى اشتكى عليه بتهمة السحر يعدم • اما الذى القى نفسه فى النهر فعليه ان يستولى على ثروة المتهم •

المادة ٣

اذا أدلى سيد بشهادة كاذبة فى دعوىً ما ولم يثبت صحة الكلمات التى نطقها فان كانت تلك الدعوى تتعلق بدعوى حياة فان ذلك السيد يعدم •

المادة ٤

فاذا جاء بشهادة تخص غلالا أو فضة فان عليه ان يحمل عقوبة تلك الدعوى •

المادة ٥

اذا اعطى قاضى حكما واصدر قرارا وثُبِّت على رقيم مختوم ثم غير حكمه بعدئذ فعليهم ان يثبتوا ان ذلك القاضى قد غير الحكم الذى اعطاه

ايبلنك Ebeling استاذا الدراسات المسمارية فى جامعة برلين •

والى جانب الآويلم أو طبقة الاحرار ، طبقة اخرى ، تتوسط الاحرار والارقاء ، وهى طبقة المساكين التى تعرف بطبقة المشكينم Mushkinum وليست نفسها بالضبط التى وردت الآية الكريمة « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » • سورة التوبة (٦١) وبقية الآيات نجدها فى ص ١٤ ، لان الفارق الزمنى كبير جدا ولم نعد نسمع بالمشكينم فى الزمن البابلى المتأخر ولا فى زمن الاخمينيين والساسانيين • ولعل للمشكينم مدلول فى العبرية بحسب الآية رقم ٨٣ من سورة البقرة • فان صح وجود هذه الطبقة عند اليهود ، فانها بلا شك تتكون من الناس الذين يعيشون من صدقات المعبد والقرابين • ومن المهم جدا الوقوف على وجود هذه الطبقة فى العصر الجاهلى وهل لها علاقة بسدنة الكعبة وخدمها •

(٣٥) المقصود بالنهر هو نهر الفرات ، وقد كانت له قدسية عند البابليين بانه مطهر ومظهر للحقائق وكان الشخص المتهم الذى ليس لتهمته شهود يقيد ويرمى فى النهر ، فان غرق فقد ذهب بجريرته وان طاف فانه بريىء • والمرجح ان القصد من القائه فى النهر هو التخويف للاقرار • راجع مقال الدكتور محمود الامين : « شعار سومر » فى مجلة سومر ج ٨ مجلد ٢ ، ١٩٥٢ •

وعليه ان يدفع اثنا عشر مثل الشكوى التى رفعت فى تلك الدعوى وزيادة على ذلك عليهم ان يطردوه امام الجمع من فوق كرسيه للقضاء وعليه ان لا يجلس[٣٦] ثانية ابدا مع القضاة فى دعوى •

المادة ٦

اذا سرق سيد ثروة تعود للاله أو للقصر[٣٧] فان ذلك الشخص يعدم كذلك يعدم من يتقبل المسروقات من يده •

المادة ٧

اذا اشترى سيد أو استلم على سبيل الامانة اما فضة أو ذهبا أو رقيقا أو أمة أو ثورا أو شاة أو حمارا أو أى شيء آخر من يد ابن سيد أو رقيق سيد بدون شهود وعقود فان ذلك السيد سارق ويجب ان يعدم •

المادة ٨

اذا سرق سيد اما ثورا أو شاة أو حمارا أو خنزيرا أو قاربا ، اذا كان يعود للاله أو للقصر فعليه ان يعطى ثلاثين مثلا أما ان كان يعود الى مسكين[٣٨] فعليه ان يدفع عشرة امثال كاملة ، اذا السارق ليس لديه

---

(٣٦) ومعنى ذلك انه يدفع غرامة قدرها بقدر الشكوى اثنتا عشرة مرة ولا يحق للقاضى ان يعود الى كرسى القضاء ويجلس عليه •

(٣٧) المقصود بذلك هو الثروة التابعة للمعبد أو الدولة •

(٣٨) اختلف العلماء فى تفسير معنى كلمة مسكين التى تعرف بالاكدية باسم مشكينم وهى لا تنطبق تماما على الكلمة العربية مسكين ويعتقد Theophile J. Meek انها تعنى شخصا من الطبقة الوسطى وتعنى كذلك شخصا عاديا • ثم يوضح معناها بحسب ما وردت فى المواد ١٥ ، ١٦ ، ١٧٥ ، ١٧٦ من قوانين حمورابى بانها تعنى شخصا له صلة بالمعبد والدولة • ويرى كل من Peiser , Kohler ان المسكين هو الشخص الذى لا يعيل احدا بخلاف الاميلو amêlu الذى يرد فى قوانين حمورابى وتترجم « سيد » او انسان أو شخص • وهو أى المشكينم احد أعضاء الاسرة المالكة • غير ان Zimmern فى كتابه قوانين حمورابى Hammurabi Gesetze يعرف المسكين بالرجل الفقير وهى الكلمة السومرية مش — اين — كك MASH - IN - KAK .

والمسكين فى اللغة العربية هو الذى لا حول له ولا قوة والمغلوب على امره والذى لا يستطيع كف الاذى عن نفسه ويطلق كذلك على الرجل المسالم الذى لا يؤذى الناس وقد ذكر القرآن الكريم المسكين بحسب وروده فى

عدد من الآيات يمكن معرفة معناه بالقريبة والمناسبة التى ورد فيها ٠

« ان لا يدخلها اليوم عليكم مسكين » سورة القلم ٢٤ ٠

« يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، اياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ٠ فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » سورة البقرة ٠ (١٨٣ و ١٨٤) ٠

« فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم ٠ » سورة المجادلة ٤ ٠

« وما ادراك ما العقبة ، فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسغبة ، يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة » سورة الدهر (٨) ٠

« ولا يحضّ على طعام المسكين » سورة الحاقة (٣٤) ٠

وتتكرر فى المعنى فى سورة الفجر الآية ١٨ « ولا تحاضّون على طعام المسكين » ٠

وتتكرر فى سورة الماعون الآية ٣ « ولا يحضّ على طعام المسكين » ٠

« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا » سورة الاسرى آية (٢٦) ٠

« فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون » سورة الروم آية (٣٨) ٠

« لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد ، فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون » سورة المائدة (٩٢) ٠

« يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك ، صياما ليذوق وبال أمره ، عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام » سورة المائدة (٩٨) ٠

« أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » سورة الكهف (٨٠) ٠

« واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا » سورة النساء آية (٧) ٠

« يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم » ٠ سورة البقرة آية (١٥) ٠

« واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى

التعويض الكافى فانه يعدم[٣٩] ٠

واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير » سورة الانفال ٤١ ٠

« ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب » سورة الحشر (٧) ٠

« واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون » سورة البقرة (٨٢) ٠

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا » سورة النساء (٣٥) ٠

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » سورة التوبة (٦١) ٠

(ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة والزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين من البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا اولئك هم المتقون » سورة البقرة (١٧٧) ٠

« ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم » سورة النور (٢٢) ٠ وقد انتقلت هذه الكلمة الى اللغات اللاتينية فدخلت فى الايطالية باسم مسكينو ٠

(٣٩) ان المواد الخاصة بالسرقة وردت عقوباتها متباينة ، متغايرة وذلك فى المواد الواقعة بين ٦ و١٣ وفى المواد ٢٢ و٢٣ و٢٥ و٢٥٩ و٢٦٠ و٢٦٥ مما يدل على ان هذه المواد تعود الى فترات مختلفة من تاريخ العراق القديم وكان حمورابى قد درجها جميعها فى قوانينه ٠ ويظهر ان المواد ٧ و٩ و١٠ و٢٢ و٢٥ التى تعاقب السرقة بالموت هى قديمة ٠ كذلك يظهر لنا ان المادة ٦ وضعت فى زمن حمورابى وحددت عقوبة الموت على كل من يسرق أموالا تتعلق بالمعبد أو الدولة وطبقت نفس العقوبة بحق من يتقبل هذه المسروقات أيضا ٠ كذلك تعديلا حديثا بالنسبة الى زمن حمورابى فى المادتين ٨ و٢٦٥ اذ تخير المجرم بين الموت أو الغرامة ٠ ثم نجد عقوبة السرقة فى المادتين ٢٥٩ و٢٦٠ تكون بالغرامة فقط ٠

المادة ٩

اذا سيد ، اضاع (قسما) من ماله ، وَوَجَدَ مالَه المفقود فى حوزة سيد آخر • فاذا السيد الذى وجد فى حوزته (المال) المفقود قد صرح ، « أن بائعا قد (باعه) لى ، لقد اشتريته بحضور شهود » ، وصاحب المال المفقود بدوره قد صرح ، « أريد ان اقدم شهودا يؤيدون (مالى) المفقود » ، وعندها قدم المشترى البائع الذى اجرى له البيع ، ثم الشهود الذين جرى بحضورهم الشراء ، ثم قدم كذلك صاحب (المال) المفقود الشهود المؤيدين (لماله) المفقود • فعلى القضاة ان يأخذوا دلائلهم بنظر الاعتبار ، وعلى الشهود الذين حصل الشراء بحضورهم ، مع الشهود المؤيدين (للمال) المفقود ، ان يشهدوا بما يعرفونه امام الاله • واذاً فالبائع هو السارق ، فيجب ان يعدم ، بينما على صاحب (المال) المفقود ان يأخذ ماله المفقود ويستحصل المشترى الفضة التى دفعها من ثروة (بيت) البائع •

المادة ١٠

فاذا لم يقدم المشترى (المعترف) البائع الذى أجرى له البيع والشهود الذين بحضورهم حصل الشراء ، ثم صاحب المال قدم الشهود المؤيدين لماله المفقود ، فالمشترى (المعترف) اذاً هو السارق ويجب ان يعـــدم ، ولصاحب المال المفقود ان يأخذ ماله المفقود[٤٠] •

المادة ١١

فاذا لم يقدم المالك (المعترف) بالمال المفقود شهودا يؤيدون ماله المفقود ، فهو اذاً غشاش وقام بشكاية كاذبة ، فيجب ان يعدم •

المادة ١٢

فاذا كان البائع قد قضى نحبه ، فللشارى أن يأخذ من ثروة البائع خمسة أمثال ما ادعاه فى تلك الدعوى •

المادة ١٣

فاذا كان شهود ذلك السيد ليسوا بالمنال ، فان على القاضى ان يحدد

---

(٤٠) يعتمد التعويض بدلالة المادة السابقة التى تنص بأن صاحب المال المفقود يستحصله من ثروة البائع أو بيته وفى هذه الحالة فان صاحب المال المفقود يستحصل ماله من ثروة المشترى أو من بيته •

له اجلا قدره ستة أشهر ، فاذا لم يقدم شهوده خلال ستة أشهر فان ذلك السيد كان غشاشا وعليه ان يحمل عقوبة تلك الدعوى •

المادة ١٤

اذا سيد سرق الابن الصغير لسيد (آخر) ، فيجب ان يعدم •

المادة ١٥

اذا سيد ساعد اما رقيقا للدولة أو أمة تعود للدولة أو رقيقا لمواطن عادى أو أمة لمواطن عادى على الهروب من باب المدينة فانه يعدم •

المادة ١٦

اذا سيد آوى فى بيته اما رقيقا هاربا أو أمة تعود الى الدولة أو الى مواطن عادى ولم يقده الى مخفر الشرطة فان صاحب البيت هذا يعدم •

المادة ١٧

اذا سيد قبض على رقيق هارب أو أمة هاربة فى العراء وأخذه الى صاحبه فعلى صاحب الرقيق أن يدفع له شقلين[٤١] من الفضة •

المادة ١٨

فاذا لم يسم ذلك الرقيق مالكه ، فعليه ان يأخذه الى القصر لكى تتحرى هويته وعليهم ان يعيدوه الى مالكه •

المادة ١٩

فاذا كان قد احتفظ بذلك الرقيق فى بيته ثم وجد الرقيق بعدئذ فى حوزته فذلك السيد يعدم •

المادة ٢٠

فاذا هرب الرقيق من يد قابضه ، فعلى ذلك السيد ان يؤكد بالاله لصاحب الرقيق وعندئذ يذهب لحاله •

المادة ٢١

اذا بقر سيد ثغرة فى دار ما فعليهم ان يعدموه امام تلك الثغرة ويقيموا عليه الجدار •

---

(٤١) الشقل نوع من الوزن ويزن ٨ غرامات أو ١٨٠ حبة (شيئا) • (راجع حاشية ٦٧) •

المادة ٢٢

اذا سيد قام بالسرقة وقبض عليه (فى أثنائها) فانه يعدم •

المادة ٢٣

اذا السارق لم يقبض عليه ، فان على السيد المسروق ان يشتكى للاله عن كل المسروقات وعما فقد وعلى المدينة والحاكم الذى فى ارضه ومنطقته حصلت السرقة أن يعوضه جميع ما فقد منه •

المادة ٢٤

فان كانت نفس (قد فقدت أثناء السرقة) ، فعلى المدينة والحاكم ان يدفع منّا[٤٢] من الفضة لاهله •

المادة ٢٥

اذا النار شبت فى بيت سيد وذهب سيد لاطفائها ، فحط عينه على أموال صاحب البيت ثم استملك أموال صاحب البيت فان هذا الرجل يلقى فى النار هذه •

المادة ٢٦

اذا جندى عادى أو سماك[٤٣] طلب التحاقه فى حملة للملك ، فلم يذهب أو أجر بديلا عنه[٤٤] وارسله فى مكانه فان ذلك الجندى أو السماك يعدم ، اما الذى أجر من قبله فانه يأخذ بيته •

المادة ٢٧

اذا جندى عادى أو سماك ، أسر فى أثناء الخدمة المسلحة للملك وفى أثناء غيابه اعطوا حقله وبستانه لثانٍ فاوفى ما عليه من الالتزامات (الاقطاعية) فاذا عاد ووصل بلدته ، فعليهم ان يعيدوا له حقله وبستانه وعليه ان يقوم بتعهداته الاقطاعية •

---

(٤٢) المنّ ويزن ٥٠٠ غرام ويعادل ستين شقلا •

(٤٣) ان الكلمة الاكدية للجندى هى ريدوم Redum والكلمة الاصلية للسماك هى بعيروم Ba'irum وتعنى الاولى جنديا مشاة والاخيرة تعنى سماكاً أو صياداً •

(٤٤) أجيراً •

المادة ٢٨

اذا جندى عادى أو سماك ، اسر فى أثناء الخدمة المسلحة للملك ، وكان ابنه قادرا على القيام بالالتزامات الاقطاعية ، فيجب ان يعطى له الحقل والبستان وعليه ان يقوم بالتزامات والده الاقطاعية •

المادة ٢٩

فاذا كان ولده صغيرا لا يستطيع القيام بالتزامات والده الاقطاعية فان ثلث الحقل والبستان يعطى لوالدته لكى تقوم بتربيته •

المادة ٣٠

اذا جندى عادى أو سماك تخلى عن حقله وبستانه وبيته بسبب الالتزامات الاقطاعية ، وغيَّب نفسه ، (و) بعد رحيله استولى ثانٍ على حقله وبستانه وبيته وقام بالالتزامات الاقطاعية لمدة ثلاث سنوات ـ فاذا عاد وطالب بحقله وبستانه وبيته فعليهم ان لا يعطوها له ؛ ان الذى استولى عليها وقام بالتزاماته الاقطاعية عليه ان يستمر فى ادارتها •

المادة ٣١

اذا كان قد تغيب سنة واحدة فقط ثم رجع ، فان حقله وبستانه وبيته يجب ان يعاد اليه وعليه ان يقوم بالالتزامات الاقطاعية بنفسه •

المادة ٣٢

اذا جندى عادى أو سماك أسر فى أثناء حملة للملك وعتقه تاجر واوصله الى بلدته ، فاذا كان فى بيته كفاية للعتق فعليه ان يعتق نفسه ، فاذا لا يوجد فى بيته ما يكفى لعتقه ، فيعتق من بيت اله بلدته ، فاذا لا يوجد فى بيت اله بلدته ما يكفى لعتقه ، فعلى القصر ان يعتقه ولا يجوز ان يعطى حقله وبستانه وبيته لعتقه •

المادة ٣٣

اذا حاكم أو رئيس[٤٥] سعى أو وافق على تخلف جندى عن حملة

---

(٤٥) ان المعنى الحرفى لهذين المصطلحين العسكريين ليس معروفا ولكنهما يختصان برتبة عسكرية : ضابط أو ما شابه ذلك • والاسم الاكدى لهما هو : ديكوم Dêkum ولوپتم Luputtum •

الملك ، وأرسل أجيرا نائبا عنه لحملة الملك ، فان هذا الحاكم أو الرئيس يعدم[٤٦] •

المادة ٣٤

اذا حاكم أو رئيس اغتصب أموال أو اثاث بيت جندى ، نهب أموال جندى أو أعطى جنديا للايجار أو قدم جنديا لمتنفذ عن طريق شكاية أو سلب من جندى هدية كان الملك قد منحها له ، فان هذا الحاكم أو الرئيس يعـــدم •

المادة ٣٥

اذا سيد يشترى من يد جندى ابقاراً أو غنما ، كان الملك قد اعطاها للجندى فانه يخسر دراهمه •

المادة ٣٦

لا يجوز للجندى والسماك أو أى موظف آخر[٤٧] ان يبيع[٤٨] بالدراهم الحقل والبستان والبيت •

المادة ٣٧

اذا سيد اشترى حقلا أو بستانا أو بيتا يعود لجندى أو سماك أو لاى موظف آخر فيجب تحطيم رقيم عقده ودراهمه تذهب ضياعا • ان الحقل والبستان أو البيت يرجع الى مالـكه •

المادة ٣٨

لا يجوز لجندى ، سماك أو أى موظف آخر ان يقطع زوجته وابنته ، حقلا ، بستانا وبيتا أقطعت له أو يعطيها لهما لقاء مسؤولية نحوهما •

---

(٤٦) وقد وردت ترجمة هذه المادة فى الترجمة الانكليزية للمترجم Theophile, J. Meek مغـــايرة للترجمة الالمانية والاكدية بعض الشـــىء ونترجمها للقراء من أجل المقارنة : « اذا عريف أو رئيس حصل على جندى بالاكراه أو بموافقته وارسل بديلا مؤجرا لمعركة الملك ، فان ذلك العريف أو الرئيس يعدم •

(٤٧) المـكلف بدفع الضرائب •

(٤٨) الترجمة الحرفية : ان لا يبيع بالفضة •

المادة ٣٩

يجوز له ان يقطع زوجته وبنته حقلا ، بستانا وبيتا اشتراهما أو حصل عليهما أو يعطيهما لهما لقاء مسؤولية نحوهما •

المادة ٤٠

اذا تاجر أو متمول غريب ، اعطى حقله وبستانه أو بيته لقاء فضة فان على المشترى ان يقوم بالالتزامات الاقطاعية للحقل أو البستان أو البيت الذى اشتراه •

المادة ٤١

اذا سيد اقتنى بالمبادلة حقلا ، بستانا أو بيتا ، يعود الى جندى ، سماك أو أى موظف آخر واعطاه كذلك (ما يتمم) ثمنه ، فعلى الجندى ، السماك أو الموظف ان يستعيد حقله ، بستانه وبيته وعليه ان يحتفظ بالثمن (المتمم) المدفوع له •

المادة ٤٢

اذا سيد استأجر حقلا لزرعه ولـكنه لم يزرع الحقل حبا ، فاذا ثبت أنه لم يحرث الحقل ، عليه ان يدفع غلة لصاحب الحقل حسب حقل السيد المجاور له •

المادة ٤٣

اذا لم يحرث الحقل وتركه بوارا ، عليه ان يدفع لصاحب الحقل غلة بنسبة ما يحاذيه ، ولـكن الحقل الذى بقى متروكا نبت من نفسه ، فعليه ان

---

(٤٩) يترجم Theophile J. Meek هذه المادة بالصيغة التالية :ـ
تستطيع خادمة المعبد (الاردول hierodule) أو التاجر أو المقطع (الذى يقطع أرضا) ان يبيع حقله ، بستانه وبيته وعلى المشترى ان يقوم بالالتزامات الاقطاعية للحقل ، البستان والبيت الذى اشتراه •
ومن الغريب ان نجد كلمة خادمة المعبد أو بغية المعبد (امرأة المتعة) فى هذه الترجمة التى ليس لها ما يفسرها فى النص الاكدى وقد دلل Meek على استعماله هذه الـكلمة من ورود كلمة naditum التى يجهل معناها بالضبط ولـكنه يعتقد انها تعنى مرتبة من المراتب الدينية • اما Kohler , Peiser , Zimmern فيرون انها تعطى معنى التاجر والصراف أو القرّاش وهو المصطلح المألوف عندنا •

يقصه ويُذريه ويقدمه لصاحب الحقل •

المادة ٤٤

اذا سيد استأجر حقلا بوارا لمدة ثلاث سنوات لزرعه ولـكنه تقاعس فلم يعمره وفى السنة الرابعة نبت الحقل من نفسه فعليه ان يدقه ويذرّه ويعطيه لصاحب الحقل ، كذلك عليه ان يكيل له عشرة كور(٥٠) من الغلّة لـكل ثمانية عشر ايكو(٥١) •

المادة ٤٥

اذا سيد اعطى حقله لفلاح لقاء قسيمة واستلم قسيمة حقله وبعد ذلك دمر الاله أدد(٥٢) الحقل أو خربه الفيضان ، فان الخسارة تعود على الفلاح •

المادة ٤٦

فاذا لم يأخذ قسيمة حقله ولـكنه اجرّه لنصف (المحصول) أو ثلثه فان على الفلاح وصاحب الحقل ان يقتسما بحسب ناتج المحصول •

المادة ٤٧

اذا لم يحصل الفلاح على حاصله فى السنة الماضية وأخذ يتذمر من زرع الحقل فعلى صاحب الحقل ألاّ يلين لفلاحه وعليه ان يزرع حقله وعند الحصاد يأخذ غلالا وفق العقد(٥٣) •

---

(٥٠) كور kur نوع من المـكاييل السـومرية ويقـابل عنـدنا الغرفة • ويعادل أل كور حوالى ١٨٠ حقة ويقسم الى ٣٠٠ قو ومن المحتمل ان يعادل الـ قو ملأ الراحتين أو الصاغ •

(٥١) ايكو iku من مقاييس المساحات البابلية ويعادل $\frac{5}{8}$ الفدان •

(٥٢) الاله أدد ، اله الصواعق والامطـار والرياح عنـد البابليين والآشوريين ورمزه الصاعقة •

(٥٣) ورد خلاف فى ترجمـة المادة السابعة والاربعين من قوانين حمورابى بالنسبة الى ترجمة Peiser , Kohler وترجمة Theophile J. Meek فى كتاب :ـ Pritchard, Ancient Near Eastern Texts. p. 168
وقد اقتبسنا ترجمة Kolher, Peiser لانها المعول عليها وحفظا لهـذا التباين فى الترجمة فاننا نورد هنا الترجمة الانكليزية من الـكتاب الآنف الذكر :ـ

المادة ٤٧ ـ اذا طلب الفلاح الى آخر ان يزرع الحقل لان المحصول لم يسد نفقاته للعام الماضى فعلى صاحب الحقل ان لا يعترض • وللفلاح الجديد ان يحرث حقله (حقل المالك) وفى وقت الحصاد يأخذ المالك غلالا بحسب العقـد •

المادة ٤٨

اذا كان على السيد رهن ، وخرّب الاله أدد حقله أو دمره الفيضان ، أو أن الغلّة لم تنبت فى حقله لقلة الماء فلا يعيد الغلة الى دائنه[٥٤] فى تلك السنة وله ان يجدد عقد رقيمه ولا يدفع فائضا لتلك السنة •

المادة ٤٩

اذا اقترض سيد دراهم من تاجر[٥٥] ورهن لدى التاجر حقلا جاهزا لزراعة الحبوب أو السمسم ، فاذا قال له « ازرع الحقل ، ثم احصده وخذ ما ينتج من الحبوب أو السمسم » ، فاذا الفلاح انتج فى الحقل حبوبا أو سمسما ، فعلى صاحب الحقل ان يأخذ بنفسه وقت الحصـــاد الحبوب أو السمسم وعليه ان يعطى للتاجر حبا لقاء دراهمه التى اقترضها من التاجر سوية مع الفائض وكذلك تكاليف الزراعة •

المادة ٥٠

فاذا رهن حقلا مزروعا بالحبوب أو حقلا مزروعا بالسمسم ، فعلى صاحب الحقل ان يأخذ بنفسه الحبوب أو السمسم الذى نتج فى الحقل وعليه ان يدفع الدراهم مع فائضها للتاجر •

المادة ٥١

اذا لم تكن لديه النقود ليدفعها فعليه ان يدفع للتاجر حبوبا أو سمسما قدر قيمتها فى السوق وبالسعر الذى قرره الملك[٥٦] ، بدل نقوده التى اقترضها من التاجر سوية مع الفائض •

المادة ٥٢

اذا لم ينتج الفلاح المستأجر حبوبا أو سمسما فى الحقل فلا يجوز له ان يغير عقده •

---

(٥٤) دائنه ، المقصود به الراهن •
(٥٥) المقصود بالتاجر هنا الصراف أو القرّاش •
(٥٦) اى بالسعر المحدد ، وهذا يدل على ان الاسعار كانت ثابتة على الحاجيات فى بلاد وادى الرافدين •

المادة ٥٣

اذا سيد تهاون كثيرا فى تقوية سدّ حقله ، ولم يقوّ سدّه وحدثت كسرة فى سده فترك الماء يخرب الارض المزروعة ، فعلى الشخص الذى حدث الكسر فى سده ان يعوض الحبوب التى سبب تلفها •

المادة ٥٤

فان كان غير قادر على تعويض الحبوب ، فعليهم ان يبيعوه وأمواله ، وعلى الفلاحين الذين اتلف الماء حبوبهم ان يقتسموا • (الثمن) •

المادة ٥٥

اذا أصبح سيد متهاونا أثناء فتح جدوله للسقى ، فترك الماء يطفو على حقل جاره فعليه ان يكيل حبوبا بقدر ما يجاوره(٥٧) •

المادة ٥٦

اذا سيد فتح الماء فخرب الشُغل الذى تم فى حقل جاره ، فعليه ان يكيل له عشرة كور من الحبوب لكل ثمانية عشر ايكو •

المادة ٥٧

اذا لم يتفق راعٍ مع صاحب الحقل على رعى غنمه من العشب ، ولكنه ترك الغنم ترعى فى الحقل بلا موافقة صاحب الحقل ، فعندما يحصد صاحب الحقل حقله ، فعلى الراعى الذى ترك الغنم ترعى فى الحقل بلا موافقة صاحب الحقل ، ان يعطى لصاحب الحقل عشرين كوراً من الحبوب لكل ثمانية عشر ايكو •

المادة ٥٨

اذا الراعى ، بعد ان كانت الاغنام قد انسحبت من المرعى وبعد ان تكون جميع الاغنام قد دخلت باب المدينة وغُلق عليها الباب ، يقود الغنم الى الحقل ويدعها ترعى من الحقل ، فعلى الراعى ان يهتم بأمر الحقل الذى رعى فيه وعليه وقت الحصاد ان يكيل لصاحب الحقل ستين كورا من الحبوب لكل ثمانية عشر ايكو •

---

(٥٧) ويقصد بذلك بقدر ما هو مزروع فى حقل جاره •

المادة ٥٩

اذا سيد قطع شجرة من بستان سيد آخر بلا موافقة صاحب البستان ، فعليه ان يدفع نصف مانا من الفضة •

المادة ٦٠

اذا سيد يعطى حقلا لبستانى ليزرع بستانا ثم زرع البستانى البستان ، فعليه ن يعمر البستان لمدة اربع سنوات ، وفى السنة الخامسة يقوم صاحب البستان والبستانى باقتسام البستان بالتساوى ، وعلى صاحب البستان ان يختار نصـــيبه •

المادة ٦١

اذا لم يزرع البستانى كل الحقل ، فترك قطعة بواراً فعليهم ان يحسبوا القطعة البوار ضمن نصيبه •

المادة ٦٢

اذا لم يعمر الحقل الذى أعطى له ، بستانا ، بل زرعه ، فعلى البستانى ان يدفع لصاحب الحقل محصول الحقل للسنوات التى اهملت ، بقدر التى تجاوره ، وعليه ان ينجز العمل فى الحقل ويُرجع الحقل لصاحبه •

المادة ٦٣

اذا كان الحقل جديدا[٥٨] ، عليه ان ينجز العمل فى الحقل ويعيده الى صاحبه وأن يكيل[٥٩] ١٠ كور من الحب لـكل ١٨ ايكو لـكل سنة •

المادة ٦٤

اذا أعطى سيد بستانه لبستانى لادارتها[٦٠] ، فعلى البستانى أن يعطى مالك البستان ثلثى محصول البستان ، أجرة للبستان طوال المدة التى يحتفظ فيها بالبستان ويأخذ لنفسه الثلث •

---

(٥٨) اى أرضا بكرا •
(٥٩) أى يكيل لصاحب الحقل •
(٦٠) ويقصد بالاعتناء والادارة ان يشتغل فيها ويلقحها ويشرف على ادارتها • ويترجمها Meek للتقليح •

المادة ٦٥

اذا كان لم يعتنِ البستانى بالبستان فسبب قلة المحصول فعلى البستانى أن يكيل محصول البستان بقدر التى لجاره •

ـ(فجوة كبيرة مخربة ، مكونة من خمسة حقول)ـ

المادة ٦٦

اذا اقترض سيد نقودا من تاجر وأعطى التاجر بستانا من نخيل وقال له : « خذ التمر الذى فى بستانى بدلا من نقودك » ، ولـكنْ هذا التاجر لم يقنع ، فعلى صاحب البستان أن يأخذ التمر الذى فى البستان وعليه أن يدفع النقود مع فائضها طبقا لعقده(٦١) أما الزيادة من التمر الذى فى البستان فيأخذها صاحب البستان(٦٢) •••

المادة ٦٧

اذا سيد بنى بيتا وجاره •••

ـ(الموضع على المسلة مخرب)ـ

المادة ٦٨

مخربة •

---

(٦١) اى رقيمه •

(٦٢) ومن هنا يبدأ المـكان المعطوب • وهذا العطب مع غيره فى المسلة قد اشرنا اليه فى المقدمة التاريخية عن سلالة بابل الاولى •

لقـد اعتمدنا فى ترجمـة هـذه المادة على ترجمـة Peiser , Kohler , Ungnad لانها فى اعتقادنا وبحسب النص الاصلى ، هى الاصح ولـكن نورد هنا ترجمة Meek فى كتاب

Pritchard, Ancient Near Eastern Texts, p. 169 .

للمقارنة •

المادة ٦٦

اذا سيد اقترض نقودا من تاجر ، وتاجره طالبه بالحاح وليس لديه ما يدفع ، فاذا أعطى بستانه للتاجر بعد تلقيحها(٦٣) وقال له : « خذ مكان نقودك كل ما تثمره البستان من التمر » ، فلا يجوز ، لذلك التاجر ، وعلى صاحب البستان نفسه أن يأخذ التمر الذى أثمر فى البستان ويدفع للتاجر النقود مع فائضها طبق ما هو مدون فى رقيمه ، وعلى صاحب البستان بدوره أن يأخذ ما تبقى من التمر الذى نتج فى البستان •

(٦٣) أى تهيأتها •

المادة ٦٩

مخربة •

المادة ٧٠

مخربة ولم يبق منها سوى : ••• يجب ان يدفع •

المادة ٧١

اذا اعطى حبوبا أو فضة أو بضائع بسبب عقار مرهون يعود الى عقار يجاوره بغية شرائه ، فانه يخسر ما دفعه وعليه اعادة العقار الى اهله • اذا كان ذلك العقار لا شيء عليه[٦٤] ، فيمكنه شراؤه ويستطيع ان يدفع حبوبا أو فضة أو مالا لقاء عقار كهذا •

المواد من ٧٢ ـ ٧٧ مخربة ما خلا بضع كلمات يستدل منها ان لها علاقة ببناء البيوت •

المادة ٧٨

ان بداية هذه المسلة تقع فى الحقل الثالث من المسلة وقد اصابها العطب ويمكن حدسها بالمقارنة ولذلك نضعها بين قوسين قائمين :ـ

[اذا سيد أجّر بيتا لسيد و] السيد المستأجر دفع الدراهم كاملة عن ايجاره لمدة سنة الى صاحب الدار ثم أمر صاحب الدار المستأجر بالخروج من الدار قبل انتهاء المدة ، فعلى صاحب الدار أن يدفع غرامة ، الدراهم التى دفعها له المستأجر جزاءً لاخراجه المستأجر من الدار قبل انتهاء المدة •

المواد من ٧٩ ـ ٨٧ مخربة •

المادة ٨٨

اذا اقرض تاجر حبوبا بفائض[٦٥] ، فانه يستلم ستين قو من الحبوب لكل كور ، فائضا[٦٦] فاذا يقرض دراهم بفائض فانه يستلم ١/٦ الشِقل ،

---

(٦٤) لا شيىء عليه ، أى لا توجد التزامات اقطاعية على العقار • والكلمة البابلية هى Lâ'îshu •

(٦٥) يعتقد Meek فى ترجمته لهذه المادة ان الكاتب ارتكب هنا خطأ اذ يجب ان تكون الكلمة « فضة » •

(٦٦) الكور kur يعادل ٣٠٠ قو (راجع حاشية ٥٠) أى ان الفائض يكون ٢٠٪ •

٦ حبات لـكل شـِقل من الفضة كفائض[٦٧] •

المادة ٨٩

اذا كان على سيد دين وليس لديه دراهم لدفعه ولـكن عنده حبوبا [فعلى التاجر] أن يأخذ حبوبا مكان دراهمه [مع فائضها] بنسبة السعر الذى حدده الملك •

المادة ٩٠

اذا التاجر يزيد الفائض أكثر من [٦٠ قو] لـكل كور [من الحبوب] (أو) ½ الشـِقل ، ستة شىء (حبة) لـكل شـِقل من النقود واستلمها فانه يغرَّم كل ما اقرضه •

المادة ٩١

اذا اقرض تاجر حبوبا بفائض ثم استلم دراهم [عن الفائض كله] على الحبوب فلا يجوز اضافة الحبوب والدراهم على الحساب •

المادة ٩٢

مخربة •

المادة ٩٣

[اذا كان التاجر] ••• أو لم يطرح كمية الحبوب كلها [التى استلمها] ولم يكتب عقدا جديدا أو انه اضاف الفائض الى رأس المال فان على ذلك التاجر ان يرد كمية الحبوب التى استلمها ، بقدر مثلين كاملين •

المادة ٩٤

اذا تاجر اقرض حبوبا أو دراهم بفائض وعندما اقرضها بفائض دفع الدراهم بوزن خفيف ، والحبوب بمكيال صغير ولـكن عندما استردها ، أخذ الدراهم بوزن [ثقيل] والحبوب بمكيال واسع • [فان ذلك التاجر يغرَّم] كل ما اقرضه •

---

(٦٧) وبالنظر الى ان كل ١٨٠ حبة (شيء she) تعادل شقلا أو شيقلا (شيكل Shekel) فان الفائض يكون ٢٠٪ •

المادة ٩٥

اذا [اقرض تاجر حبوبا أو دراهم] بفائض واعطى ... ، فانه يغرّم ما اقرضه .

المادة ٩٦

اذا اقترض شخص من تاجر حبوبا أو دراهم وليس لديه حبوبا أو دراهم ليعيدها ولـكن عنده أموال[٦٨] . فعليه ان يدفع لتاجره أى شىء يوجد فى حوزته وعليه ان يؤكد أمام شهود بانه سوف يجلبها بينما على التاجر ان يقبلها بدون ابداء اى اعتراض .

المادة ٩٧

... ، ويجب ان يعدم .

المادة ٩٨

اذا أعطى شخص شخصا (آخر) دراهم للمشاركة فعليهما ان يقتسما بالتساوى بحضور الاله ، الربح أو الخسارة التى يتكبدانها .

المادة ٩٩

اذا اقرض تاجر بياعا متجولا دراهم بفائض لغرض البيع [والشراء] وارسله خارجا الى الطريق . فان على البياع ... فى الطريق [الدراهم التى اودعها] اليه .

المادة ١٠٠

اذا كان قد حقق ربحا اينما ذهب فعليه ان يسجل الفائض على مقدار الدراهم الـكامل الذى اقترضه وعليهم ان يحصوا عليه الايام وعليه ان يدفع لتاجره .

المادة ١٠١

اذا لم يحقق ربحا اينما ذهب فعلى البياع المتنقل ان يدفع للتاجر ضعف الدراهم التى اقترضها .

---

(٦٨) أموال أخرى .

المادة ١٠٢

اذا اقرض تاجر بياعا متنقلا مالا على سبيل المساعدة[٦٩] وتكبد خسارة حيثما ذهب فعليه ان يعيد المال الاصلى للتاجر •

المادة ١٠٣

فاذا كان سائرا فى الطريق وسلبه عدو ما كان يحمله فعلى البياع المتنقل ان يقسم بالاله وعندئذ يُخلَّى سبيله •

المادة ١٠٤

اذا اقرض تاجر غلة أو صوفا او زيتا او بضاعة ما الى بياع متنقل ، فعلى البياع المتنقل ان يسجل الثمن وان يدفعه للتاجر وان يستلم البياع المتنقل وصلا مختوما بالدراهم التى دفعها الى التاجر •

المادة ١٠٥

اذا كان البياع المتنقل مهملا ولم يحصل على وصل مختوم بالمال الذى دفعه للتاجر فان المال الذى لم يكن به وصل مختوم لا يمكن اعتباره ضمن اعتماد الحساب •

المادة ١٠٦

اذا اقترض بياع متنقل مالا من تاجر ومن ثم انكره على تاجره ، فان على التاجر ان يبرهن بحضور الاله والشهود بان البياع المتنقل قد اقترض المال ، وعلى البياع المتنقل ان يدفع للتاجر ثلاثة امثال المبلغ الكامل للمال الذى اقترضه •

المادة ١٠٧[٧٠]

اذا تاجر اءتمن بياعا متنقلا بشيىء ما وكان البياع المتنقل قد اعاد الى

---

(٦٩) أى بدون فائض •

(٧٠) وردت صورة أخرى لترجمة هذه المادة فقد ذكرت الترجمة الالمانية Kohler, Ungnad النص البابلى كما يلى :ـ

المادة ١٠٧

اذا تاجر غش العميل بان اعاد العميل لتاجره كل ما كان قد اعطاه التاجر ، ولكن التاجر انكر كل ما اعطاه العميل ، فان على العميل هذا أن يبرهن أمام الاله والشهود والتاجر بان التاجر قد كذب على عميله ويجب عليه ان يدفع للعميل ما أخذه منه ، ستة امثال مجتمعا •

تاجره ما كان التاجر قد اعطاه ، فاذا انكر التاجر ما قد دفعه له البياع المتنقل فان على البياع المتنقل ان يبرهن ذلك ضد التاجر امام الاله والشهود وعلى التاجر ان يدفع للبياع المتنقل ستة امثال ما استلمه لانه انكره على بياعه المتنقـــل •

المادة ١٠٨[٧١]

اذا استلمت بائعة خمر نقودا بالوزن الثقيل ثمنـــا لشربة بدلا من استلامها غلة وجعلت قيمة الشربة اقل من قيمة الغلة فعليهم ان يثبوا هذا على بائعة الخمر[٧٢] ويقذفوها فى الماء •

المادة ١٠٩

اذا تجمع متآمرون[٧٣] فى حانة لبائعة للخمر ولم تلق القبض على هؤلاء المتآمرين ولم تقدهم الى القصر ، فان بائعة الخمر هذه تعدم •

المادة ١١٠

اذا بغية المعبد[٧٤] او العَيْنة[٧٥] لا تقيم فى الدير وفتحت باب حانة

---

(٧١) وردت ترجمة هذه المادة فى الترجمة الالمانية الآنفـــة الذكر بالصورة التالية :ـ

المادة ١٠٨

اذا رفضت بائعة خمر أخذ حبوب ثمنا لشربة وأخذت دراهم على أساس الوزن الـكبير وقللت ثمن الشربة عن ثمن الغلال ، فاذا ثبت ذلك على بائعة الخمر هذه ، فيجب ان ترمى فى الماء •

(٧٢) وردت فى صورة اخرى وهى : « عليهم ان يوثقوا بائعة الخمر هذه • »

راجع :ـ UMv, No., 93. Col. IV, lines 37—38

(٧٣) ويقصد المتأمرين على الدولة •

(٧٤) بغية المعبد وهى الاردول hierodule • وتعرف بالسومرية نوگي nugig وبالاكدية والبابلية والآشورية قدشتو qadishtu • وقد كان لـكل معبد بغايا من النساء والغلمان لغرض البغي وقد ذكرهم هيرودت عند زيارته لبابل بين سنة ٤٧٠ و٤٦٠ ق•م•

(٧٥) العينة entum وهى رئيسة الـكاهنات •

او دخلت حانة قصد الشرب ، فعليهم ان يحرقوا تلك المرأة[٧٦] .

المادة ١١١

اذا اعطت بائعة خمر من شراب البيخُم[٧٧] دينا[٧٨] ، فعليها ان تستلم خمسين قو من الحبوب وقت الحصاد .

المادة ١١٢

اذا ارتبط سيد برحلة تجارية واعطى فضة أو ذهبا أو أحجارا كريمة أو أموالا تعود له ، الى سيد وأتمنه على نقلها ، فاذا لم يسلّم ما وجب نقله الى حيث ما يجب ان تنقل وامتلكها ، فعلى مالك الاموال المفروضة نقلها أن يثبت التهمة على السيد فى القضية التى يجب ان تنقل والتى لم ينقلها وعلى ذلك السيد ان يدفع لصاحب الاموال المفروضة نقلها خمسة امثال ما سُلّم اليه .

المادة ١١٣

اذا سيد يحتفظ بحبوب أو دراهم دينا على سيدٍ ، وأخذ حبوبا من العنبار أو من أرض البيدر بلا موافقة صاحب الحبوب ، فعليهم ان يثبتوا ان ذلك الشخص قد أخذ الحبوب من العنبار أو أرض البيدر بلا موافقة صاحب الحبوب ، وعليه ان يعيد كاملا كمية الحبوب التى أخذها ويجب ان يغرّم كذلك كل شىء آخر اقرضه .

---

(٧٦) وردت هذه المادة بترجمة تختلف عمـــا اوردناه ، وذلك فى Ungnad, Kohler, Peiser نوردها للمقارنة .

المادة ١١٠

اذا كانت بغية المعبد لا تقيم فى الخدر وفتحت حانة أو ذهبت الى الحانة قصد الشرب ، فيجب حرق هذه المرأة .

(٧٧) ان المعنى الحقيقى لـكلمة pîkhum غير معروفة .

(٧٨) ان الـكلمة الاصلية هى di - ip - tim ولـكنها غلطة من الكاتب البابلى وتحريف لـكلمة qi - ip - tim .

المادة ١١٤[٧٩]

اذا سيد لا يحتفظ بغلّة أو دراهم دينا على سيد[٨٠] ، ولـكنه احتجز احدا كفيلا له فيجب ان يدفع ⅓ مانا من الفضة لـكل مُحتَجرٍ •

المادة ١١٥

اذا احتفظ شخص بغلّةٍ أو دراهم دينا على شخصٍ[٨١] وأحتجز احدا ، كفيلا له ، ثم مات الـكفيل موتا طبيعيا فى بيت مُحتجزه فان هذه القضية ليست سببا للشكوى •

المادة ١١٦

اذا مات المحتَجز فى بيت محتجزه من الضرب أو سوء المعاملة ، فان على صاحب الـكفيل أن يثبت ذلك على تاجره • فان كان أبن سيدٍ فيجب ان يقتل ابنه ، وان كان رقيق سيد فيجب ان يدفع ⅓ مانا من الفضة وان يخسر كل ما أقرضه •

المادة ١١٧

اذا حان الاستحقاق[٨٢] على سيد وباع[٨٣] زوجته أو ابنه أو ابنته أو ارتبط بالخدمة فيجب عليهم أن يعملوا فى بيت من اشتراهم أو الدائن ثلاث سنوات وتعاد لهم حريتهم فى السنة الرابعة •

المادة ١١٨

اذا أُعطىَ رقيق أو أمة للخدمة[٨٤] واستملـكه التاجر ، فيستطيع بيعه

---

(٧٩) ترجـــم Kohler, Peiser هذه المادة بتصرف قليل فجاءت مغايرة بعض الشىء عن الاصل ولذلك نوردها هنا للمقارنة •

المادة ١١٤

اذا لم يكن سيد قد وضع لدى سيد (آخر) غلّة أو فضة ولـكن قدم له كفيلا فيجب عليه ان يدفع لـكل كفيل ⅓ مانا من الفضة (تعويضا) •

(٨٠) أى على سيد آخر •

(٨١) أى على سيد آخر •

(٨٢) اى استحقاق الدين •

(٨٣) أى باع خدمة زوجته ••• الخ •

(٨٤) أى قدمهما للدائن ليكونا : رقيقا أو أمة لدى الدائن بدل دينه والـكلمة البابلية هى اعطاهما للعبودية •

ولا يحق له[٨٥] بمطالبته •

المادة ١١٩

اذا استحق الدين على سيد وباع بالدراهم[٨٦] ، أمته التى ولدت له أولادا ودفع صاحب الامَةَ الدراهم التى كان التاجر قد دفعها له • فله الحق ان يعتق أمته •

المادة ١٢٠

اذا أودع سيد غلّته فى بيت سيدٍ لخزنهـا وتضررت بسبب نشوب حرب ، أو أن صاحب البيت فتح العنبار وأخذ الغلّة ، أو أنه انكر الغلّة كلها ، التى خزنها فى بيته ، فان على صاحب الغلّة ان يشتكى امام الاله ويجب على صاحب البيت الذى أخذ الغلّة ان يدفع ضعفها لصاحب الغلّة •

المادة ١٢١

اذا سيد خزن غلّة فى بيت سيدٍ ، فعليه ان يدفع فى السنة ٥ قو من الغلال لـكل كور من الغلال اجرة للخزن •

المادة ١٢٢

اذا اراد سيد ان يعطى فضة أو ذهبا أو أى شىء لسيدٍ قصد المحافظة عليها ، فيجب عليه ان يُشهِد على ما يعطيه شهودا وان يجعل بذلك عقودا ومن ثم يودعها للمحافظة •

المادة ١٢٣

فاذا سلمها للمحافظة بلا شهود وعقود وانكروا عليـــه استلامها فى المـكان الذى جرى فيه التسليم فلا تقبل لهذه القضية شكوى •

المادة ١٢٤

اذا اعطى سيدٌ سيداً فضة أو ذهبا أو أى شىء آخر أمام شـــهود للمحافظة عليها ، فانكرها ومن ثم أثبتوا ذلك على هذا السيد ، فيجب عليه ان يدفع ضعف ما انكره •

---

(٨٥) أى لا يحق له المطالبة باستعادة الرقيق أو الأمة •
(٨٦) أى باع خدمة أمته ••• الخ •

المادة ١٢٥

اذا اعطى سيد" شيئا من امواله قصد المحافظة[٨٧] وفى المكان الذى اعطاها فقد ماله مع أموال صاحب البيت نتيجة لسرقة أو نهب ، فيجب على صاحب الدار الذى كان مهملا فسبب فقدان ما وُضع لديه للمحافظة أن يعوض كاملا لصاحب المال كل ما وضع لديه للمحافظة ، وما فقد منه ، ويجب على صاحب الدار أن يبحث على المال المفقود ويأخذها من سارقها •

المادة ١٢٦[٨٨]

اذا سيد لم يفقد شيئا من ماله ولكنه يقول « أنّ ماله قد فقد » ويريد ان يشتكى بسبب الخسارة[٨٩] المزعومة ، فبالنسبة لماله الذى لم يفقده ، وشكواه امام الاله بالخسارة المزعومة ، يجب عليه ان يدفع كل ما اشتكى بسببه مثلين ، بدل الخسارة المزعومة •

---

(٨٧) ويقصد بالمحافظة ، الايداع على سبيل الامانة أو بالاجرة •

(٨٨) وردت ترجمة هذه المادة فى :
Theophile Meek, Pritchard, Ancient Near Eastern Texts.
مغايرة بعض الشىء للترجمة الالمانية Ungnad, Kohler, Peiser وقد قارنا الترجمة الثانية مع النص الاصلى فوجدناه مطابقا ولذلك فقد اعتمدنا عليه فى الترجمة العربية ، وللمقارنة ندون ترجمة Meek :ـ

المادة ١٢٦

اذا لم يفقد ، سيد ماله ولكنه صرح ، « ان مالى قد فقد » خادعا بذلك مجلس بلدته ، فان على مجلس بلدته أن يشرع فى التحقيق بالنسبة له (لادعائه) امام الاله من أن ماله لم يفقد ويجب عليه ان يدفع لمجلس بلدته مثلي ما ادعاه •

(٨٩) ان Ungnad, Kohler, Peiser ، اعتبروا الكلمة البابلية التى وردت فى هذه المادة ، وهى بابتشو babtashu ، التى معناها الحرفى مأخوذ من كلمة بابم babum ، بابشو babshu ، اعتبروها بمعنى الخسارة ، الفقدان • وان التاء هى علامة التأنيث لكلمة باب : الخسارة •
ولكن Meek اعتبر معناها الضمنى ؛ مجلس المدينة وقال بان بابتشو babtashu مأخوذة من كلمة باب فى صيغة التأنيث : بابتم babtum مذكرها بابم babub باب أو مدخل وهى تماثل كلمة sha'ar البابلية وتعنى « مدخل » • راجع :ـ Ruth, 3; 11; 4:10

المادة ١٢٧[٩٠]

اذا سيد أومأ[٩١] بابهامه على عينة معبد أو على زوجة سيد ولـكن لا يُثبت عليها شيء فيجب جلب ذلك الرجل امام القضاة ويعلّموا جبينه قصـــاً •

المادة ١٢٨

اذا اخذ سيدٌ امرأة ولم يعمل عقودها فان هذه المرأة ليست زوجة •

المادة ١٢٩

اذا قبض على امرأة سيد مضطجعة مع سيد ثانٍ ، فيجب عليهم ان يوثقوها ويلقونهما فى الماء ويمكن لزوج المرأة ان يُبقى زوجته على قيد الحياة ، ان رغب ، كما يمكن للملك ان يخلى حياة أمته •

المادة ١٣٠

اذا اغتصب شخص عفاف زوجة سيد لم يسبق لها ان تعرفت على رجل ، ولمّا تزل فى بيت والدها ، ونام فى حضنها وقُبض عليه اثناء ذلك ، فان هذا الرجل يُقتل وهذه المرأة تترك •

المادة ١٣٣

اذا زوجة سيد اتهمت من زوجها ولـكن لم يقبض عليها أثناء نومها مع رجل آخر فعليها ان تؤكد بالاله وترجع الى بيتها •

المادة ١٣٢

اذا وُجّهت الاصبع على زوجة سيد بسبب رجل آخر ولـكنها لم

---

(٩٠) وردت ترجمة هـذه المادة فى Meek (١) مغايرة بعض الشيء لترجمـــة Kohler , Peiser ... الخ • وبالمقارنة مع النص الاصلى اعتمدنا على الترجمة الالمانية التى وجدناها أصح من الترجمة الانكليزية لـ Meek ولاجل المقارنة نوردها هنا :ـ

المادة ١٢٧

اذا سيد أشر باصبعه على عينة أو على زوجة سيد ولم يظهر عليها شيء ، فعليهم ان يسحبوا ذلك الشخص امام القضـــاة وان يقصوا كذلك نصف شعره •

(٩١) أومأ بابهامه أو أصبعه أى قال عنها انها فاحشة •

تُقبض اثناء اضطجاعها مع الرجل الآخر ، فعليها ان تلقى نفسها فى النهر لاجل زوجها •

المادة ١٣٣ (آ)

اذا أُسر سيد وكان فى بيته من الاكل فيجب على زوجته [ان لا تترك بيتها وعليها أن تحافظ على نفسها بعدم] دخولها بيت سيد آخر(٩٢) •

المادة ١٣٣ (ب)(٩٣)

اذا لم تحافظ تلك المرأة على نفسها ودخلت بيت شخص آخر فعليهم ان يثبتوا هذا على تلك المرأة ويلقونها فى الماء(٩٤) •

المادة ١٣٤

اذا أُسر سيد ولا يوجد فى بيته أكل ، ثم ذهبت زوجته الى بيت ثان فان هذه المرأة لا ذنب لها •

المادة ١٣٥

اذا أُسر سيد ولم يكن فى بيته أكل ، ثم أن زوجته دخلت بيت سيد ثانٍ قبل عودته وولدت أولادا ثم بعدئذ عاد زوجها ووصل بلدته ، فيجب على هذه الزوجة ان ترجع الى زوجها ويذهب الاولاد الى والدهم •

المادة ١٣٦

اذا أهان سيد بلدته وولّى ، ومن بعده ذهبت زوجته الى بيت ثانٍ ، فاذا عاد هذا السيد وأراد استرجاع زوجته فيجب على زوجة الشارد ان لا ترجع الى زوجها لانه اهان بلدته وهرب •

المادة ١٣٧

اذا عزم سيد أن يطلق جارية(٩٥) ولدت له أولادا ، أو امرأة انجبت

---

(٩٢) اى انها تعيش هناك كزوجة لرجل آخر •

(٩٣) من المحتمل ان تكون هذه المادة مكملة للمادة ١٣٣ وقد اختلف الباحثون فيما اذا كانت مكملة أم مستقلة • والمرجح انها مكملة لانها تتدارك حالة تختلف عما ورد فى المادة ١٣٣ •

(٩٤) اى تغرق •

(٩٥) يترجمها Meek بانها نوع من الراهبات • ويترجمها Peiser, Kohler جارية أو زوجة ثانية Nebenfrau •

اطفالا ، فعليهم ان يدفعوا لهذه الامرأة حقهـــا المتأخر[٩٦] وان يعطوها ارثها[٩٧] من الحقل والبستان والاموال لتربى أولادها حتى يكبروا ، فبعد ان يكبروا ، عليهم ان يعطوها من كل ما اعطوا اولادها ، قسما بقدر ما اعطوا الابن[٩٨] ، وباستطاعتها ان تتزوج سيدا ان أرادت[٩٩] .

المادة ١٣٨

اذا أراد سيد أن يطلق زوجته التى لم تلد له أولادا فيجب عليه ان يعطيها دراهمها بقدر مبلغ المهر وكذلك يعطيها الاغراض التى جلبتها من بيت والدها بكاملها وعندئذ يطلقها .

المادة ١٣٩

اذا لا يوجد مهر فعليه أن يدفع لها من الصَدَاق مانا من الفضة .

المادة ١٤٠

أفأن كان مسكينا فيدفع لها ⅓ مانا من الفضة .

المادة ١٤١

اذا عزمت زوجة السيد التى تعيش فى بيت السيد على الخروج للبحث عن عمل[١٠٠] ، فتخرّب بيتها وتحط من سمعة زوجها ، فعليهم أن يثبّتوا ذلك عليها ، فاذا عزم زوجها على طلاقها ، فبامكانه طلاقها ولا يعطيها شيئا من حقها المتأخر عند تسريحها ، فاذا زوجها لا ينوى طلاقها ، « فبامكان زوجها أن يأخذ امرأة ثانية ، وتعيش هذه المرأة ، فى بيت زوجها أمة .

---

(٩٦) الترجمة تقول : « ان يعيدوا لها كل ما جلبته معها » وهذا هو الاصح .

(٩٧) يترجمها Meek : « نصف الحقل ونصف ... الخ » .

(٩٨) لأبن واحد .

(٩٩) « يختارها » .

(١٠٠) ويقصد به العمل المشين . فقد ورد فى الترجمة الالمانيـــة Kohler, Peiser : « وتقوم بعمل مشين وتخرب بيتها وتحط من سمعة زوجها ، وعندئذ يقول زوجها « أطلقها » ويريد ان يطلقها ... الخ » .

المادة ١٤٢

اذا كرهت امرأة زوجها بحيث قالت « لا تأخذنى[١٠١] » فيجب درس قضيتها فى مجلس بلدتها ، فان كانت محترسة[١٠٢] ولم ترتكب خطأ وان كان زوجها يخرج ويحط من قدرها[١٠٣] كثيرا ، فانّ هذه المرأة ليس لها ذنب ويجب عليها ان تأخذ حقها المتأخر وتذهب الى بيت ابيها •

المادة ١٤٣

اذا لم تكن متحفظة[١٠٤] وتخرج وتخرّب بيتها وتحط من شرف زوجها ، فيجب عليهم ان يلقوا تلك المرأة فى الماء •

المادة ١٤٤

اذا اخذ سيد زوجة[١٠٥] واعطت هذه الزوجة جارية لزوجها فولدت أولادا ، ثم أراد هـــذا الرجل ان يأخذ جارية[١٠٦] ، فيجب عليهم ان

---

(١٠١) أى بمعنى لا تلمسنى وتقصد المضاجعة •

(١٠٢) أى محافظة على نفسها وشرفها •

(١٠٣) الـكلمة البابلية : ushamtashi ، أى يعمل على الشماتة بها ويحط من قدرها وبمعنى آخر يجلب لها العار •

(١٠٤) اى تتاجر بجسمها خلسة •

(١٠٥) ان قوانين حمـــورابى فرقت بين النســـاء فسمت المـــرأة sinnishtum • وسمت الزوجة ashshatum وسمت نوعا آخر باسم ishippatum وهى التى يترجمها Meek بتحفظ الأردول hierodule اى بغية المعبد وهى المرأة التى وهبت نفسها للاله • وفى هذه المادة يسميها أيضا اردول ، بينما فى النص الاصلى ashshatum أى امرأة (متزوجة) • ومن المحتمل تعنى امرأة مطلقة أو أرملة والا فبامكان حمورابى ان يقـــول امـــرأة sinnishtum كما فى بقية المواد • ويستعمل البابليون أخـــازو akhazu ، أى أخذ بدلا من ، تزوج وهى من نفس المصطلح البابلى « اخذ وجهها » panisha ikhuz بانيشا (وجهها) ، ikhuz أخذ •

(١٠٦) وردت هذه الـكلمة فى المادة ١٣٧ ولا يعرف معناها بالضبط واشارتهـا SHU - GI ويعتقد العـــلامة Meissner أن معناها امرأة ثانية :ـ

راجع :ـ Meissner, Seltene Assyrische Ideogramme, No. 5124

والمعتقد أنهـا جارية اذ ترد أمامهـا كلمـة امرأة sinnishtum ولـــــكن Meek Goetze يترجمانها راهبة غير تابعة للمعبد •

لا يسمحوا لهذا الرجل لانه يجب ان يتزوج امرأة ثانية •

المادة ١٤٥

اذا تزوج سيد زوجة ولم تهد[١٠٧] له أولادا وقرر أن يأخذ جارية ، فلهذا الرجل أن يأخذ جارية ويأتى بها الى بيته ، انها امرأة ثانية ولا يجوز ان تتساوى مع الزوجة •

المادة ١٤٦

اذا سيد تزوج زوجة واعطت لزوجها جارية فولدت أولادا ، فان هذه الجارية تتساوى بعد ذلك مع سيدتها لانهـــا ولدت أولادا ولا يجوز لسيدتها ان تبيعها بالفضة أو تضعها فى السلاسل أو تعدها من الامات •

المادة ١٤٧

فاذا لا تلد أولادا فتستطيع سيدتها ان تبيعها بالفضة •

المادة ١٤٨

اذا سيد تزوج امرأة واصيبت بمرض وأراد ان يتزوج ثانية ، فله ان يتزوج ولا يجوز ان يطلق زوجته التى اصيبت بالمرض • انها تسكن فى البيت الذى بناه وعليه ان يعيلها طالما هى فى قيد الحياة •

المادة ١٤٩

اذا لا تريد هذه المرأة ان تعيش فى بيت زوجها فيجب عليه ان يعطيها كامل جهازها الذى جلبته من بيت والدها ولها ان تذهب •

المادة ١٥٠

اذا اهدى سيد زوجته حقلا أو بستانا أو بيتا أو أموالا وترك لها بذلك رقيما مختوما ، فلا يحق لاولادها من بعد موت زوجها ان يطالبوها بشىء من ذلك • وتستطيع ان تعطى تركتها لابنها الذى تحبه • ولا تستطيع ان تعطيها لأي شخص آخر •

المادة ١٥١

اذا امرأة ، كانت تعيش فى بيت سيد وعملت اتفاقية مع زوجها بان دائن زوجها لن يغتصبها وقدم له بذلك رقيما مكتوبا (وثيقة خطية) • فان

---

(١٠٧) ان الـكلمة أنجب ، ينجب : تعنى فى البابلية القديمة يهدى •

كان على ذلك السيد دين قبل زواجه بتلك المرأة ، فلا يحق لدائنه اغتصاب زوجته ، وكذلك ان كان دين على تلك المرأة قبل دخولها بيت الرجل ، فلا يجوز للدائن اغتصاب زوجته •

المادة ١٥٢

اذا تجمع بعد دخول هذه المرأة بيت زوجها ، دين عليهما ، فيجب على كليهما دفع الدين للتاجر (أو الصراف) •

المادة ١٥٣

اذا سببت امرأة موت زوجها بسبب رجل آخر ، فعليهم ان يوتّدوا هذه المرأة •

المادة ١٥٤

اذا جامَعَ بنته ، فعليهم ان يطردوا (ينفوا) ذلك السيد من المدينة •

المادة ١٥٥

اذا سيد اختار عروسة لأبنه ودخل بها ابنه ، ولـكن بعدئذ ينام هو بنفسه فى حجرها فيقبضون عليه • فيجب عليهم ان يوثقوا ذلك الرجل ويلقونه فى الماء[١٠٨] •

المادة ١٥٦

اذا اختار سيد عروسة لابنه ولم يدخل بها ابنه ، ولـكنه ينام هو بنفسه فى حجرها فيجب عليه ان يدفع لها نصف مانا من الفضة وعليه ان يعوضها كل ما جلبته من بيت والدها لـكى يمكن ان يتزوجها من يختارها •

المادة ١٥٧

اذا نام سيد فى حجر أمه بعد والده (بعد وفاة والده) ، فعليهم ان يحرقوا كليهما •

---

(١٠٨) ورد خطأ فى النص الاصلى حيث كتبها الـكاتب خطأً « هى » •

المادة ١٥٨

اذا قبض على سيد مضطجعا فى حجر مربيته[١٠٩] التى ولدت أولادا فيجب طرده من بيت ابيه •

المادة ١٥٩

اذا كان سيد قد جلب الى بيت عمه[١١٠] هدايا (النيشان) واعطى المهر ثم وجه نظره على امرأة اخرى (أى وقع فى غرامها) ، ثم يقول لعمه « لن آخذ ابنتك » فلوالد البنت ان يأخذ كل ما اهداه له •

المادة ١٦٠

اذا كان سيد قد جلب الى بيت عمه هدايا (النيشان) واعطى المهر ثم يقول والد البنت « لا أريد ان اعطيك ابنتى » فيجب عليه ان يعيد له كل ما اهداه له ، ضعفين •

المادة ١٦١

اذا كان سيد قد جلب الى بيت عمه هدايا (النيشان) واعطى المهر ثم نافق عليه رفيقه بحيث يقول عمه لبعل الزوجة[١١١] « لا يجب ان تتزوج ابنتى » فعليه ان يدفع كل ما اهداه له ضعفين ولا يجوز ان يتزوج زوجة صديقه •

المادة ١٦٢

اذا أخذ سيد زوجة واهدت له أولادا ثم ذهبت الى اجلها[١١٢] ، فلا يحق لوالدها ان يطالب بجهازها ، لان جهازها يخص أولادها •

---

(١٠٩) الكلمة البابلية هى rabitishu ' murabitishu بمعنى مربية ولكن الترجمة الانكليزية للعلامة گوتزه والترجمة الالمانية لكل من پايزر وكولر تنص ان المعنى هو امرأة الوالد أى زوجة الاب •

(١١٠) الكلمة البابلية emishu أى عمه ولكن المعنى المقصود هو والد العروس •

(١١١) الزوجة ashshatum المقصود بها العروس التى تصبح فى قوانين حمورابى زوجة عندما يدفع المهر وتحمل الهدايا الى بيت الوالد (النيشان) •

(١١٢) اى انها ماتت •

المادة ١٦٣

اذا أخذ سيد زوجة ولم تهدِ له أولادا وذهبت الى اجلها بدون ان تهدى له أولادا ، فاذا كان عمّه قد ارجع له المهر الذى كان هذا الرجل قد جلبه الى بيت عمه ، فلا يحق للزوج أن يدعى بالجهاز ، لان الجهاز يخص بيت والدها •

المادة ١٦٤

اذا لم يرجع عمه المهر ، فعليه ان يطرح من جهازها مبلغ المهر بكامله ، ويعطى بيت والدها جهازها(١١٣) •

المادة ١٦٥

اذا سيد اهدى لأبنه المحبب فى نظره ، عقارا أو بستانا أو بيتا وكتب له رقيما مختوما ثم ذهب الوالد الى اجله ، فعندما يقتسم الاخوة ، عليه ان يأخذ الهدية التى اعطاها له والده وما سوى ذلك ، عليهم ان يقتسموا أموال البيت قسمة متساوية •

المادة ١٦٦(١١٤)

اذا هيّأ سيد زوجات للاولاد الذين له ولم يهيىء زوجة لأبنه الصغير ومن ثم ذهب الاب الى اجله ، فعندما يقتسم الاخوة أموال بيت والدهم عليهم ان يضيفوا الى حصة اخيهم الذى لم تتهيأ له زوجة ، الدراهم للمهر ، تكفى حصوله على زوجة •

المادة ١٦٧

اذا أخذ سيد زوجة وولدت له أولادا ثم ذهبت تلك المرأة الى اجلها ،

---

(١١٣) ومعنى ذلك انه يعطى بيت والدها ما تبقى من جهازها •

(١١٤) وردت فى الترجمة الانكليزية لـ Meek ترجمة مغايرة بعض الشىء للاصل والترجمة الالمانية وندرجها هنا للمقارنة :ـ

المادة ١٦٦

اذا هيأ سيد زوجات للاولاد الذين حصل عليهم ولم يهيىء زوجة لابنه الاصغر ، فعندما يقتسم الاخوة بعد ذهاب الاب الى اجله ، عليهم ان يعينوا لاخيهم الصغير الذى لم يحصل على زوجة ، اضافة الى حصته ، دراهم للمهر من أموال (التركة) الاب وذلك ليمكنوه من الحصول على زوجة •

وبعد موتها أخذ امرأة ثانية وولدت له أولادا وبعدئذ ذهب الوالد الى اجله ، فان الاولاد لا يقتسمون على أساس الوالدتين ، وعليهم ان يأخذوا جهاز والدتيهما ومن ثم يقتسمون تركة بيت والدهم بالتساوى •

المادة ١٦٨

اذا أراد سيد ان يتبرأ من ابنه وقال للقضاة « أريد ان اتبرأ من ولدى » فعلى القضاة ان يدرسوا سلوكه ، فاذا كان الابن لم يقترف اثما كبيرا يستوجب حرمانه من البنوّة ، فلا يحـــق للأب أن يحرم ابنه من البنوّة •

المادة ١٦٩

فان كان قد اقترف اثما كبيرا نحو والده ، يكفى لحرمانه من البنوّة ، فعليهم ن يغفروا له للمرة الاولى ، فان اقترف اثما كبيرا للمرة الثانية فيحق للاب ان يحرمه من البنوّة •

المادة ١٧٠

اذا زوجة سيد ولدت له أولادا وأمته ولدت له أولادا ، وقال الاب أثناء حياته الى الاولاد الذين ولدتهم له الأمَةُ ، « يا أولادى » واعتبرهم كأولاد الزوجة[١١٥] ثم ذهب الاب الى اجله ، فان أولاد الزوجة وأولاد الامة يقتسمون تركة بيت الاب بالتساوى • والابن الاكبر هـو ابن الزوجة ويأخذ القسم الذى يريده •

المادة ١٧١

فاذا لم يقل الاب فى حياته للاولاد الذين ولدتهم له الامة « يا أولادى » وذهب الى اجله ، فان ابناء الامة لا يقتسمون تركة الاب مع ابناء الزوجة[١١٦] ويجب ان تمنح الحرية الى الامة وأولادهـــا ولا حقّ لاولاد الزوجة ان يطالبوا أولاد الامة بالخدمة وللزوجة ان تأخذ صداقها (جهازها) والعطاءات

---

(١١٥) و (١١٦) وردت الـكلمـة البابليـة للزوجـة باسـم خرتم khirtum من فعـــل خوار khawaru ، والخرتم تعنى الفتاة التى يتزوجها الرجل لاول مرة بالنسبة له أى زوجته الاولى ولعلها تشبه كثيرا الـكلمة العربية حورية •

التى كان زوجها قد اعطاها لها وكتبها لها على الرقيم وان تعيش فى بيت زوجها طوال حياتها وتستثمرها[١١٧] ولا يجوز لها ان تبيع[١١٨] بالفضة وان ما تخلّفه يخص أولادها •

المادة ١٧٢

اذا لم يكن زوجها قد اعطاها عطاءات[١١٩] فعليهم ان يسلموها صداقها (جهازها) كاملا ولها ان تأخذ من أموال بيت زوجها نصيبا مثل وارث واحد ، واذا أخـذ أولادها ينازعونها لـكى يخرجوها من البيت ، فعلى القضاة ان يخصموا امرها[١٢٠] ، ويضعوا اللوم على الاولاد فلا يجب على هذه المرأة ان تترك بيت زوجها • اما اذا كانت هذه المرأة قد صممت على ان لا تسكن[١٢١] ، فعليها ان تترك لاولادها العطاءات التى كان زوجها قد اعطاها لها ، وتذهب مع الجهاء الذى من أبيها وتأخذ رجل قلبها[١٢٢] •

المادة ١٧٣

اذا ولدت هذه المرأة لزوجها الاخير أولادا فى المـكان الذى دخلته وبعد حين تموت هـــذه المرأة فان جهازها يقســـم بين أولادها السابقين

---

(١١٧) أى انها تستثمر كل شىء تركه لها زوجها من أموال منقولة وغير منقولة لاعالة نفسها وأولادها ولا يحق لها ان تبيع شيئا وذلك مخافة ان تصرف ثمنه وتترك أولادها بلا معيل أو تحمل الثروة الى زوج جديد • واشتراط هذه المادة بعدم بيع شىء بالفضة معناه يجوز للام ان تستبدل الاموال والبيت والاملاك الاخرى بأملاك أحسن منها وهو يشبه تماما الوقف الذرى وعملية استبداله •

(١١٨) أى ان تبيع شيئا •

(١١٩) العطاءات وهى نفس الـكلمة التى وردت فى المادة ١٧١ وهى الـكلمة البابلية nudunu من فعل nadanu اعطى (ندانو) والمقصود هنا فى المادتين ١٧١ و١٧٢ هو ما يكتبه للزوجة من أموال وأملاك • على ان Meek يترجمها هدية الزواج أو النيشان •

(١٢٠) امرها ، أى قضيتها •

(١٢١) أى تخرج من بيتها •

(١٢٢) يترجم Meek فى الترجمة الانكليزية هذا النص : « ولـكن يأخذ الجهـــاز الذى جلبته من بيت والدها لـكى يتزوجها الرجل الذى يختارها • اما الترجمة الحرفية للنص الاصلى فهى الترجمة التى وردت فى المادة أعلاه •

والاخيرين •

المادة ١٧٤

فان لم تلد لزوجها الاخير أولادا فان أولادها من زوجها[١٢٣] يأخذون جهازها •

المادة ١٧٥

اذا رقيق القصر أو رقيق مسكين يتزوج بنت سيد ، فولدت له أولادا فلا يحق لصاحب الرقيق ان يطالب بأولاد بنت السيد بالعبودية •

المادة ١٧٦ (آ)

اذا رقيق القصر أو رقيق المسكين تزوج بنت سيد وعندما تزوجها أدخلت جهاز بيت والدها فى بيت رقيق القصر أو بيت رقيق المسكين ، وبعد ان كونا عائلة وشيدا دارا واقتنيا أثاثا وحاجيات ، ذهب الى اجله بعدئذ رقيق القصر أو رقيق المسكين ، فعلى بنت السيد ان تأخذ جهازها ولكن عليهم ان يقسموا الى نصفين كل ما اقتناه زوجها واقتنته هى بعد اتحادهما ، فيأخذ صاحب الرقيق نصفا وتأخذ بنت السيد نصفا لاولادها •

المادة ١٧٦(ب)[١٢٤]

اذا لم يكن لبنت السيد جهاز فعليهم ان يقسموا الى نصفين كل ما اقتناه زوجها واقتنته هى بعد اتحادهما ويأخذ صاحب الرقيق نصفا وبنت السيد نصفا لاولادها •

المادة ١٧٧

اذا رغبت ارملة لها أولاد صغار دخول بيت ثانٍ واستقر رأيها ، فلا تدخل بدون موافقة القاضى ، فاذا رغبت دخول بيت ثانٍ فعلى القاضى ان يتحرى وضعية بيت زوجها السابق ويستأمن زوجها الاخير وهذه المرأة على بيت زوجها السابق وعليهم ان يكتبوا بذلك رقيما بانهما يحافظان على البيت ويربيان الصغار وان لا يبيعان حاجيات البيت بالفضة •

---

(١٢٣) أى زوجها الاول •

(١٢٤) ان هذه تشبه من حيث وضعية الترقيم المادة ١٣٣ أ و ب من صفحة (٢٢٠) •

ان المشترى الذى يشترى أغراض أولاد أرملة يخسر دراهمه والاغراض ترجع الى أصحابها •

المادة ١٧٨

ان كانت التى اعطاها أبوها صداقا (جهازا)[١٢٥] ، بغية معبد أو راهبة أو زنّيشات زكرُم[١٢٦] وكتب لها رقيما ، فان لم يكتب لها على الرقيم الذى كتبه لها بأن تعطى ميراثها لمن تشاء ولم يهبها حق التصرف ، ثم مات ابوها فان اخوتها يأخذون حقلها وبستانها ويعطونها بقيمة حصتها حبوبا وسمنا ولباسا[١٢٧] حتى يرضوها • اذا لم يكن اخوتها قد اعطوها حبوبا وسمنا ولباسا بما يعادل ثمن حصتها ولم يرضوها فبأمكانها ان تعطى حقلها وبستانها الى مستأجر يرضيها وعلى مستأجرها ان يعيلها وعليها ان تعيش طول حياتها من فائدة الحقل والبستان وكلما اعطاه لها ابوها وليس لها ان تبيعها الى ثانٍ طالما ان حق الارض يخص اخوتها •

المادة ١٧٩

اما بغية المعبد أو الراهبة أو زنّيشات زكرم التى اعطاها ابوها جهازا وكتب لها رقيما مختوما ، فان كتب لها على الرقيم الذى كتبه لها ، باختيارها بأن تعطى ارثها لمن تشاء ، ووهبها حق التصرف • ثم مات ابوها فبامكانها ان تعطى ارثها لـكل من تريد ولا حق لاخوتها الاعتراض عليها •

المادة ١٨٠

اذا لم يقدم أبٌ صداقا (جهازا) لابنته بغية المعبد[١٢٨] اوزنّيشات

---

(١٢٥) جهازا أو هدية وتأتى بمعنى الصداق كذلك •

(١٢٦) زنّيشات زكـــرم sinnishat zikrum ، لا يعرف معناها بالضبط فقد وردت فى الترجمة الالمانية لـ Ungnad , Kohler , Peiser بمعنى بغية Hure وترجمها Meek بمعنى امرأة من نســـاء المعبد أو الدير ، على ان الترجمة الحرفية هى امرأة ذكر • ومن المعتقد ان تكون من النساء اللاتى ينذرن للآلهة ويوهبن للمعابد •

(١٢٧) مالا لبّيشا لا أسمزشى ma - la li - ib - bi - sha la ushamzishi اى يملأ قلبها ••• الخ • اما كلمة lubusham لبشم فتعنى اللباس وقد وردت فى الترجمة الالمانية بمعنى صوف •

(١٢٨) وردت فى الاصل باســم gâgîm وترجمت فى النص الالمانى بمعنى راهبة ، وفى النص الانكليزى باسم دير او مكان تابع للـكنيسة •

زكرم ، ثم مات الاب ، فعليها ان تقسم ممتلكات أبيها وتأخذ حصة بقدر حصة وارث واحد وتستفيد من الفائدة طوال حياتها ، ومن بعد ذلك تعود الى اخوتها •

المادة ١٨١

اذا نذر[١٢٩] أب للاله أمة أو بغيّة أو فتاة للمعبد ولم يقدم لها صداقا (جهازا) ثم مات ابوها فعليها أن تأخذ حصتها من تركة الاب وممتلكاته بما يعادل ثلث ارثها وتستفيد من الفائدة طوال حياتها ومن بعد ذلك تعود الى اخوتها •

المادة ١٨٢

اذا لم يقدم الاب لأبنته راهبة مردوك بابل صداقا (جهازا) ولم يكتب لها رقيما مختوما ثم مات الاب فعليها ان تقتسم مع اخوتها تركة بيت ابيها لحد ثلث حصة الارث الواحد ولا يجب عليها أن تقوم بخدمة الاراضى ، ولراهبة مردوك ان تعطى ارثها لمن تشاء •

المادة ١٨٣

اذا قدم أب الى ابنته التى هى زوجة ثانية جهازا وكتب لها عندما اعطاها الى زوج رقيما مختوما ، فبعد ان يموت الاب فلا يحق لها ان تتقاسم ثروة بيت الاب •

المادة ١٨٤

اذا لم يقدم السيد الى ابنته التى هى جارية جهازا[١٣٠] ولم يعطها الى زوج فبعد ان يذهب الى اجله فيجب على اخوتها أن يقدموا لها جهازا يتناسب مع ثمن حصتها من ابيها وعليهم ان يعطوها الى زوج •

---

(١٢٩) نذر او سمى للاله : أنا ايلم اشتّيما ana ilim ishshima والمقصود هنا انه اذا نذر ابنته للاله لان تكون امة أو خادمة للمعبد أو بغيّة أو فتاة للمعبد ، تدعى عذراء المعبد •

(١٣٠) المقصود بن هو الصداق او ما يخصصه الاب لابنته من مال وأثاث وملبس حين يحين وقت زواجها وتعرف فى العاميّة الموصلية بالحمالي •

المادة ١٨٥

اذا تبنىّ سيد ولدا باسمه ورباه فان ذلك الاب المربىّ لا يطالب به أبدا •

المادة ١٨٦

اذا شخص يبحث لغرض تبنىّ ولد عن أبيه وامه وذلك عند اخذه فان ذلك المربى يمكن ان يعود الى بيت أبيه •

المادة ١٨٧

لا يطالب بابن خادمة[١٣١] أو ابن خادم بلاط أو بابنٍ منذور •

المادة ١٨٨

اذا احد من طبقة الصناع تبنّى ولدا وعلمه مهنته فلا يُطالب به مطلقـــا •

المادة ١٨٩

فاذا لم يعلمه مهنته فان ذلك الولد المتبنّى يمكن ان يرجع الى بيت ابيـــه •

المادة ١٩٠

اذا سيد لم يعتبر ضمن ابنائه الولد الذى تبناه ورباه فان ذلك الولد المتبنىّ يمكن ان يعود الى بيت أبيه •

المادة ١٩١

اذا السيد الذى تبنى ولدا ورباه ، تزوج ثم رزق بعد حين أولادا وعزم التخلى عن الولد المتبنى فلا يجوز ان يذهب ذلك الولد خالى اليدين وعلى الاب المتبنى أن يعطيه من ماله ثلث ميراثه وعند ذلك يذهب لحاله ولا يعطيه من حقله وبستانه وبيته •

المادة ١٩٢

اذا الولد المتبنى من خادم أو الولد المتبنى كان ولداً منذوراً ، قال لابيه المتبنى أو أمه المتبنية « أنت لست أبى » « أنت لست أمّي » فعليهم ان يقطعوا لســـانه •

---

(١٣١) المقصود به ، ابن خادمة المتبنىّ •

المادة ١٩٣

اذا الولد المتبنى من خادم أو المتبنى من ولد منذور ، وجـــد اهله وأخذ يكره أباه المتبنى وامه المتبنية ، ثم راح الى بيت اهله فعليهم ان يقلعوا عينـــه •

المادة ١٩٤

اذا سيد اعطى ولده الى مربية ثم مات ذلك الولد فى يد المربية ، فاذا عملت اتفاقية لولد آخر بدون علم أبيه وامه ، فعليهم ان يثبتوا ذلك عليها ثم يجب عليهم ان يقطعوا ثديها لانها عملت اتفاقية لولد آخر بدون علم أبيه وأمه •

المادة ١٩٥

اذا ولد ضرب والده فعليهم أن يقطعوا يده •

المادة ١٩٦

اذا سيد فقأ عين ابن احد الاشراف فعليهم ان يفقأوا عينه •

المادة ١٩٧

اذا كسر عظم سيد آخر فعليهم أن يكسروا عظمه •

المادة ١٩٨

اذا فقأ عين سيد اعتيادى أو كسر عظم سيد اعتيادى فعليه ان يدفع مانا من الفضة •

المادة ١٩٩

فاذا فقأ عين رقيق سيد أو (كسر) عظم رقيق فعليه ان يدفع نصف قيمتـــه •

المادة ٢٠٠

اذا سيد قلع سن سيد من طبقته فعليهم ان يقلعوا سنه •

المادة ٢٠١

اذا اقلع سن سيد عادى فعليه ان يدفع ١/٣ مانا من الفضة •

المادة ٢٠٢

اذا سيد صفع خد سيد ارفع منه فيجب ان يضرب ستين جلدة بجلدة

من ذنب الثور فى المحكمة •

المادة ٢٠٣

اذا واحد من الاشراف ضرب آخرا من الاشراف بنفس درجته فعليه ان يدفع مانا من الفضة •

المادة ٢٠٤

اذا شخص اعتيادى صفع آخر اعتياديا على خده فعليه ان يدفع ١٠ شقلات من الفضة •

المادة ٢٠٥

اذا رقيق سيد صفع خد فرد من الاشراف فتقطع أذنه •

المادة ٢٠٦

اذا سيد ضرب سيدا آخر فى شجار وسبب له جرحا فعلى ذلك السيد ان يقسم « لم اضربه متعمدا » وعليه أيضا ان يدفع للطبيب •

المادة ٢٠٧

فاذا مات من ضربته فعليه ان يؤدى اليمين ، فان كان احد الاشراف فعليه ان يدفع نصف مانا من الفضة •

المادة ٢٠٨

فاذا كان من عامة الناس فعليه ان يدفع ⅓ مانا من الفضة •

المادة ٢٠٩

اذا سيد ضرب بنت سيد فسبب لها الاجهاض (اسقاط الجنين) فعليه ان يدفع عشرة شقلات من الفضة لاسقاط جنينها •

المادة ٢١٠

اذا تلك المرأة توفيت فيجب اعدام بنته •

المادة ٢١١

اذا برفسته ، سبب لفتاة من العوام ان تطرح فعليه ان يدفع خمسة شقلات من الفضة •

المادة ٢١٢

اذ تلك المرأة توفيت فعليه ان يدفع نصف مانا من الفضة •

المادة ٢١٣

اذا ضرب أمة سيد وسبب لها ان تطرح فعليه ان يدفع شقلين من الفضـــة •

المادة ٢١٤

اذا تلك الامة توفت فعليه ان يدفع ٣/١ مانا من الفضة •

المادة ٢١٥

اذا طبيب أجرى عملية رئيسية لسيد بحربة برونزية وانقذ حياة السيد وفتح محجر عين السيد بحربة برونزية وانقذ عين السيد فعليه ان يستلم عشرة شقلات من الفضة •

المادة ٢١٦

اذا كان من العامة فعليه ان يستلم خمسة شقلات •

المادة ٢١٧

اذا كان رقيق سيد فعلى مالك الرقيق ان يدفع شقلين للطبيب •

المادة ٢١٨

اذا طبيب اجرى عملية خطرة لسيد بحـــربة برونزية وسبب وفاة السيد ، او فتح محجر عين سيد وخرب عين السيد فعليهم ان يقطعوا يده •

المادة ٢١٩

اذا طبيب اجرى عملية رئيسية لرقيق احد العامة بحربة برونزية وسبب له الوفاة فعليه ان يعوض رقيقا برقيق •

المادة ٢٢٠

اذا فتح محجر عينه بحربة برونزية وقضى على عينه فعليه ان يدفع نصف ثمنه بالفضة •

المادة ٢٢١

اذا طبيب جبر عظم سيد مكسور أو أشفى ورما مؤلما • فعلى صاحب الالم أن يدفع للطبيب ٥ شقلات من الفضة •

المادة ٢٢٢

اذا كان ابن مسكين فعليه ان يدفع ٣ شقلات من الفضة •

المادة ٢٢٣

اذا كان رقيق سيد فعلى صاحب الرقيق ان يعطى شقلين من الفضة للطبيب •

المادة ٢٢٤

اذا طبيب عجل أو حمار يعمل جرحا ثقيلا(١٣٢) لعجل أو حمـــار فيحييه ، فعلى صاحب العجل أو الحمار أن يعطى للطبيب سدس الفضة(١٣٣) اجرة له •

المادة ٢٢٥

فاذا عمل لعجل أو حمار جرحا ثقيلا فأماته فعليه ان يدفع لصاحب العجل او الحمار خمس(١٣٤) ثمنه •

---

(١٣٢) يقصد بالجرح الثقيل ، العملية الجراحية الثقيلة وقد وردت فى قوانين حمورابى :ـ ssimmam kabtam صمام كبتم وكلمة صمام فى حالة المفعول به والاسم الفاعل هو ssimmum ومعناه الجرح • وكلمة كبتم معناها ثقيل •

(١٣٣) وردت جملة سدس الفضة فى البابلية القديمة كما يلى :ـ kaspim (?) shedushti فى حالة المضاف والمضاف اليه وهى تقرب من الـكلمة العربية السدس • والجملة فيها غموض فقد ذكر Kohler , Ungnad فى كتابهمـــا Gesetze Hammurabi ص ٦٣ ، سطر ٢٥ بانها تعنى سدس الشقل • ووردت نفس الترجمة فى كتاب Pritchard ، ص ١٧٦ ، غير انه لم يرد ذكر للشقل فى النص البابلى • ولما كان الشقل يعادل كما مر بنا ٨ غرام ، وهو كمية قليلة لتكون اجرة للطبيب فمن المحتمل ان قوانين حمورابى تعنى بهذه الاجرة سدس ثمن الحيوان فضة •

(١٣٤) وردت الترجمـــة الالمانية لـكلمة khamushti Shimishu التى تقارب المعنى العربى : خمس ثمنه وقد كتب Kohler , Ungnad فى الترجمة الالمانية لقوانين حمورابى فى المادة ٢٢٥ ص ٦٣ ، سطر ٣٣ ما ترجمته : ربع الثمن وقد نقل Meek فى الترجمـــة الانكليزية فى Pritchard فقرة ٢٢٥ ص ١٧٦ نفس الترجمة الالمانية بدون ان يرجع الى النص الاصلى ومعجم المفردات البابلية القديمة فى نهاية الترجمة الالمانية لقوانين حمورابى • ولذلك فقد ترجمتها خمس بدلا من ربع • راجع معجم المفردات فى قوانين حمورابى ، الترجمة الالمانية ص ١٣٦ :
khamshum , khamushti

المادة ٢٢٦

اذا الواسم ازال وسم(١٣٥) رقيق ليس له أو بلا معرفة سيده بحيث لا يرى فعليهم ان يقطعوا يديه(١٣٦) •

المادة ٢٢٧

اذا سيد خدع الواسم فازال وسم رقيق ليس له ، بحيث لا يرى فعليهم ان يقتلوا ذلك السيد ويقبروه فى بابه(١٣٧) وعلى الواسم ان يحلف أنه لم يقص عن علم(١٣٨) ، ثم يخلى سبيله •

المادة ٢٢٨

اذا بناء بنى لسيد بيتا فيدفع له شقلين من الفضة عن كل سر(١٣٩) واحد من البيت مكافأة •

المادة ٢٢٩

اذا بناء بنى لسيد بيتا ولم يكن شغله قويا بحيث انهار ذلك البيت الذى بناه وقتل صاحب البيت فيجب ان يقتل ذلك البناء •

---

(١٣٥) الكلمة الاصلية فى النص گلابم gallabum ومعناها الشخص الذى يقوم بوسم الرقيق حتى يعرفه أنه رقيقا فلا يضيع ولا يهرب • ويظهر ان للبابليين علامة فارقة للرقيق توسم فى جبينه وكذلك تكون بقص الجبين بالمقص • وقد كان الوسم من ضمن واجبات الحلاقين عند البابليين وكان يجرى بالكى أو بطريقة الوشم التى اتبعها العرب فى تعليم الرقيق •

(١٣٦) ورد فى ترجمة Meek : الترجمة الانكليزية ص ١٧٦ ، فعليهم ان يقطعوا يده بينما ورد فى الترجمة الالمانية ص ٦٣ فعليهم ان يقطعوا يديه (فى حالة الجمع) وهى الاصح : كلابم شواتى اناكسوا gallabum shuati ina - akkizu

وورد اختلاف فى ترجمة هذه المادة ، فان المترجم المشار اليه Meek لم يذكر ترجمة الجملة التالية :ـ « بحيث لا يرى ، أصبح لا اثر له » التى وردت فى النص الاصلى •

(١٣٧) ويقصد بهذه الجملة ، انه يدفن عند مدخل بيته وذلك ليكون عبرة للناس •

(١٣٨) اى ان الواسم قام بقص علامة الرقيق جاهلا انها وسم •

(١٣٩) ان sar سر يعادل ٣٥م٢ •

المادة ٢٣٠

فان قتل ابن صاحب البيت فعليهم ان يقتلوا ابن هذا البناء •

المادة ٢٣١

فان قتل رقيق صاحب البيت فعليه ان يعطى رقيقا كمثل رقيق صاحب البيت •

المادة ٢٣٣

فان سبب تلف امواله فعليه ان يعوض كل ما سبب اتلافه ، وبما ان البيت الذى بناه لم يبنه قويا بحيث انهار فعليه ان يبنى البيت الذى سقط من ماله الخاص •

المادة ٢٣٤

اذا ملاح بنى سفينة لسيد سعتها ٦٠ كور ، فعليه ان يعطيه شقلين من الفضة مكافأة •

المادة ٢٣٥

اذا الملاح بنى للسيد سفينة ولم يكن عمله متقنا وتشققت[١٤٠] هذه السفينة وتسبب عن ذلك ضرر فعلى الملاح ان[١٤١] ينقر السفينة ويقويها من ماله ، ويعطى السفينة المقواة الى صاحب السفينة •

المادة ٢٣٦

اذا سيد أعطى سفينة لملاح بالاجرة وكان الملاح مهملا فجعلها تغرق او تفقد ، فعلى الملاح أن يعوض سفينة لصاحب السفينة •

المادة ٢٣٧

اذا سيد استأجر ملاحا وسفينة وحملها غلالا وصوفا وسمنا وتمرا او حملا من أى شيء آخر وكان هذا الملاح مهملا فاغرق السفينة وسبب فقدان ما كان عليها • فعلى الملاح الذى أغرق السفينة وسبب فقدان كل ما كان

---

(١٤٠) اى اصابها عطب فجرى فيها الماء •

(١٤١) ان يكسر المكان الذى حصل فيه العطب والكلمة البابلية هى نقارو naqaru تطابق الكلمة العربية نقر •

فى داخلها ان يعوض[١٤٢] •

المادة ٢٣٨

اذا ملاح اغرق سفينة سيد ثم اطلعها فعليه ان يدفع نصف ثمنها بالفضة •

المادة ٢٣٩

اذا سيد [استأجر] ملاحا فعليه ان يعطيه ٦ كور من الحبوب فى السنة •

المادة ٢٤٠

اذا سفينة تمخر وحطمت[١٤٣] سفينة أخرى تسحب فعلى صاحب السفينة المغرقة الذى فقد كل ما فى السفينة ان يشتكى امام الاله وعلى صاحب السفينة التى تمخر والتى اغرقت السفينة التى كانت تسحب ان يعوض سفينته وكل ما ذهب منها ضياعا •

المادة ٢٤١

اذا سيد صادر عجلا مرهونا فعليه ان يدفع ⅓ مانا من الفضة[١٤٤] •

المادة ٢٤٢

اذا سيد يستأجر[١٤٥] لمدة سنة ، فعليه ان يدفع اجرة لثور شغل ٤ كور من الحبوب •

---

(١٤٢) أى عليه ان يعوض السفينة وما كانت تحتوى عليه من الاموال •

(١٤٣) اصلها فى البابلية أطبىّ utt - te - ib - bi ومعناها صدم فاغرق ، حطم وهى نفس الكلمة فى اللهجة الموصلية طبّ ، يطب أى يحطم ويضرب أو يلقى لدرجة التحطيم • وقد جاء فى الترجمة الالمانية بمعنى اغرق ولكن المترجم اضطر الى ان يضيف كلمة اخرى لتفسير المعنى البابلى فجاءت ترجمته للفعل أطبىّ ، حطم واغرق •

(١٤٤) وردت هذه الجملة فى النص البابلي كما يلى : ⅓ مانى كسيم ايشقل ، اى يشقل (يزن) ⅓ مانا من الفضة •

(١٤٥) يستأجر حيوانا ، عجلا أو ثورا ••• الخ •

المادة ٢٤٣[١٤٦]

ان اجرة ... عجل ٣ كور من الحبوب تدفع لصاحبه •

المادة ٢٤٤

اذا سيد استأجر عجلا أو حمارا وقتله فى الحقل اسد" ، تقع مسؤولية قتله على صاحبه •

المادة ٢٤٥

اذا سيد استأجر عجلا فأماته بالاهمال أو الضرب فعليه ان يدفع عجلا مثل العجل ، لصاحبْ العجل •

المادة ٢٤٦

اذا سيد استأجر عجلا وكسر قدمه أو قطع عصب رقبته فعليه ان يعوض عجلا مثل العجل لصاحب العجل •

المادة ٢٤٧

اذا سيد استأجر عجلا ففقأ عينه ، فعليه ان يدفع نصف ثمنه فضة لصاحب العجل •

المادة ٢٤٨

اذا سيد استأجر عجلا فكسر قرنه وقطع ذيله أو قص زبَّه[١٤٧] فان المستأجر مذنب وعليه ان يدفع خمس[١٤٨] ثمن الحيوان فضة •

المادة ٢٤٩

اذا سيد استأجر عجلا فضربه الاله فمات ، فعلى السيد الذى استأجر العمل ان يؤكد بالاله[١٤٩] ثم يخلى سبيله •

---

(١٤٦) ان الترجمة الانكليزية فى Pritchard ص ١٧٦ جمعت بين المادتين ٢٤٢ و٢٤٣ •

(١٤٧) وهى نفس الكلمة التى يستعملها العامة لذكر التناسل والكلمة فى البابلية زبو zibbu ووردت فى النص البابلى للمادة اعلاه زبه zibbatzu ◙

(١٤٨) وردت كذلك بنفس المعنى القريب من العربية وهى خاموشتى khamushti التى تعطى معنى الخمس وقد ترجمت كذلك بمعنى الربع فى كلتا الترجمتين الالمانية والانكليزية •

(١٤٩) اى انه يحلف بالاله أن مرضه من الاله ولم يكن هو المتسبب •

المادة ٢٥٠

اذا عجل هاج اثناء سيره[١٥٠] فنطح سيدا فأماته ، فان هذه الدعوى ليست دعوى حق[١٥١] .

المادة ٢٥١

اذا كان عجل سيد نطاحا واظهر له خطأه أنه نطاح ولم يقص[١٥٢] قرنيه او لم يربط عجله ، فاذا هذا العجل نطح سيدا فأماته فعليه ان يعطى نصف مانا من الفضة .

المادة ٢٥٢

فان كان رقيقا لسيد فعليه ان يعطى ثلث مانا من الفضة .

المادة ٢٥٣

اذا سيد استأجر سيدا وعينه على حقله وسلمه الطعام[١٥٣] واوكل اليه البقر وتعهد بزرع الحقل . فاذا هذا السيد سرق الزرع والاكل فمسكت فى يده فتقطع يده[١٥٤] .

المادة ٢٥٤

اذا كان قد تصرف بالطعام وجوع البقر فعليه ان يعوض الحبوب التى

---

(١٥٠) الترجمة الانكليزية تقول « أثناء سيره فى الطريق » . ولكن لا ذكر لكلمة طريق فى النص الاكدى ولا فى النص الالمانى ولذا فقد اعتمدت على النص الالمانى فى الترجمة .

(١٥١) أى لا يحق لاحد ان يعتبرها دعوى فيشتكى وبمعنى آخر قضاءً وقدراً .

(١٥٢) الكلمة البابلية هى u - shar - ri - im يشرم اى يقطع من الجذور ، يستأصل ، يقلع .

(١٥٣) al - da - a - am الطعام وتعنى البذور والعلف والكلمة البابلية أو الاكدية الداءم تشابه تماما كلمة الطعام التى يستعملها الفلاحون اليوم .

(١٥٤) rittashu يده : rittum يد وقد جاءت فى الترجمة الالمانية فى صيغة الجمع بينما وردت فى النص فى صيغة المفرد .

استلمها بضعفين[١٥٥] .

المادة ٢٥٥

اذا اعطى البقر لسيد بالايجار أو سرق البذور ولم ينبت شـــيئا فى الحقل فعندما يثبتون ذلك على هذا السيد فعليه ان يزن وقت الحصاد ستين كور من الحبوب لـكل ثمانية عشر ايكو .

المادة ٢٥٦

اذا عجز عن ايفاء الطلب فتسحله البقر على هذا الحقل .

المادة ٢٥٧

اذا سيد استأجر زراعا فعليه ان يعطيه ثمانية كور من الحبوب فى الســـنة .

المادة ٢٥٨

اذا سيد استأجر جوالا[١٥٦] فعليه ان يعطيه ستة كور من الحبوب فى السنة .

المادة ٢٥٩

اذا سيد سرق محراثا من الحقل فعليه ان يعطيه خمسة شقلات من الفضة لصاحب المحراث[١٥٧] .

---

(١٥٥) وردت فى الترجمة الالمانية : « اذا اخذ الطعام وجوّع البقر فعليه ان يدفع تعويضا للحبوب التى حصدها » . والترجمة الانكليزية التى اعتمدنا عليها هى الاصح لتصليح القراءة القديمة للنص الاكدى فقد أصبحت قراءة imkhuru , ta - [a] sh - na : TA - A - NA بـدل imriru يستلم ، يحصل على .

(١٥٦) وهى الـكلمة التى تطلق على رعاة البقر فى شمال العراق .

(١٥٧) وردت كلمة ناعور بدل المحراث فى النص الالمانى وقد جاءت الترجمة الانكليزية أصح من الالمانية لان كلمة ipinnu اپنّو الاكـــدية تعطى المعنى المضبوط للمحراث .

المادة ٢٦٠

فاذا سرق توك • كن TUK . TIN [١٥٨] او مقدم maqaddam [١٥٩] فعليه ان يعطيه ثلاثة شقلات من الفضة •

المادة ٢٦١

اذا سيد استأجر راعيا لرعى البقر والغنم فعليه ان يعطيه ثمانية كور من الحبوب فى السنة •

المادة ٢٦٢

اذا سيد ••• بقرا أو غنما ••• •

المادة ٢٦٣

اذا كان قد اضاع البقر أو الغنم التى سلمت اليه فعليه ان يعوض لصاحبها بقرا مكان البقر وشياها مكان الشياه •

المادة ٢٦٤

اذا راع اعطيت له بقرا أو غنما لرعيها واستلم اجرته الكاملة وكان راضيا [١٦٠] فاذا انقص عدد البقر وانقص عدد الغنم فادى الى نقصان معدل الولادة فعليه ان يعطى الزيادة والربح بحسب شروط عقده •

المادة ٢٦٥

اذا راع اعطيت له بقرا أو غنمـــا لرعيها ثم اصبح غـــدّارا وغير

---

(١٥٨) و (١٥٩) كش • آپن • توك • كن (او) تكنو GISH. APIN. TUK. KIN: tukkannu وهى احـدى الادوات الزراعيـة التى لها علاقة بالمحراث وقد وردت فى الترجمة الالمانية بمعنى غربال ومن المحتمل ان تعنى الـكلمة الاكدية المشار اليها كلمة سكة المحراث أما كلمة مقدّم البابلية فقد وردت فى الترجمة الالمانية بمعنى ساقية الناعور كما وردت ترجمة الـكلمة الاولى وهى توك • كن ، بمعنى الدلو ووردت كلمة مقدم فى الترجمة الانكليزية بكلمة harrow والـكلمة البابلية مقدّم هى الـكلمة العربية نفسها ويجب ان تكون ذات صلة بالفدان ولعل معناها النير ؟

(١٦٠) الجملة البابلية هى : لبّاشو طاب libbashu ttab طاب لبّه أى رضي بهذه الاجرة •

نعلامة[١٦١] وباعها بالفضة فيجب اثبات ذلك عليـــه ثم عليه ان يعوض لصاحبها عشرة امثال ما سرق •

المادة ٢٦٦

اذا القطيع حلت به زيارة الاله[١٦٢] او احدث فيه الاسد قتلا فعلى الراعى ان يبرأ نفسه امام الاله ، والتى اختنقت فى القطيع فعلى صاحب القطيع ان يتحمل الخسارة[١٦٣] •

المادة ٢٦٧

اذا كان الراعى مهملا وحدث فى القطيع نقصان فعلى الراعى ان يتحمل خسارة النقصان التى حدثت فى القطيع ويجعل البقر والغنم كاملة ويعطيها الى صاحبها •

المادة ٢٦٨

اذا سيد استأجر ثورا للدوس[١٦٤] فاجرته عشرون قا[١٦٥] •

المادة ٢٦٩

اذا استأجر حمارا للدوس فان اجرته عشرة قا من الحبوب •

---

(١٦١) الـكلمة البابلية هى : شمتم shimtum ومعناها الوسم ، العلامة • اما فى الترجمة الالمانية فقد وردت بمعنى القسمة ، الاجل ، النصيب • المصير • وهذه الترجمة لا تتفق مع مفهوم المادة ولذلك فان الترجمة الانكليزية هى الاصح ، ذلك لان المواشى كانت لها علامات فارقة وكان لـكل مالك مواشى واغنام علامة يختارها ليضعها على أغنامه كالطريقة التى لا تزال متبعة فى يومنا هذا •

ما سرق بعشرة امثال لصاحبها •

(١٦٢) أى ان الاله اصابها بمرض •

(١٦٣) جاء فى الترجمة الانكليزية ما يلى :ـ « ولـكن صاحب القطيع يستلم منه الحيوانات المختنقة فى القطيع » • وهى مغايرة للترجمة الالمانية ويظهر من المقارنة مع النص البابلى ان الترجمة الالمانية هى الاصح •

(١٦٤) الـكلمة البابلية diashum دياشم • وهى نفس الـكلمة العربية داس ، الدوس وتعنى سحق الحبوب •

(١٦٥) قا QA أو قو qu وهى علبة الـكيل (مكيال) وسعتها أربعة لترات •

المادة ٢٧٠

اذا استأجر ماعزا[١٦٦] للدوس فان اجرته قا واحد من الحبوب ٠

المادة ٢٧١

اذا سيد استأجر بقرا وعربة وسائقها فعليه ان يعطى فى اليوم ١٨٠ قا من الغلة ٠

المادة ٢٧٢

اذا سيد استأجر عربة لوحدها فعليه ان يعطى فى اليوم أربعين قا من الحبوب ٠

المادة ٢٧٣

اذا سيد استأجر عاملا فعليه ان يعطى ست حبات فضة فى اليوم من بداية السنة حتى الشهر الخامس ويعطى من الشهر السادس حتى نهاية السنة خمس حبات فضة فى اليوم ٠

المادة ٢٧٤[١٦٧]

اذا سيد استأجر صانعا فعليه ان يعطى كأجرة [للصانع] خمس حبات فضة ٠ واجرة ٠٠٠ خمس حبات فضة واجرة الخياط خمس حبات فضة واجرة ال ٠٠٠ حبات فضة واجرة ال ٠٠٠ حبات فضة واجرة ال ٠٠٠ حبات فضة واجرة النجار اربع حبات فضة واجرة ال ٠٠٠ حبات فضة واجرة البنّاء ٠٠٠ حبات فضة فى اليوم ٠

---

(١٦٦) ورد فى الترجمة الالمانية « كر٣ » وفى الترجمة الانكليزية عنزة أو تيساً أو ماعزاً ٠

(١٦٧) وردت ترجمة هذه المادة فى الترجمة الانكليزية مغايرة للترجمة الالمانية وهذا نصها :ـ

« اذا سيد أراد ان يستأجر حرفيا فعليه ان يدفع فى اليوم كأجرة للـ (حرفي) خمس حبات فضة ٠ واجرة صانع اللبن خمس حبات فضة واجرة حائك الكتان ٠٠٠٠ حبات فضة واجرة حفار الختم ٠٠٠٠ حبات فضة واجرة الجواهرى ٠٠٠٠ حبات فضة واجرة الحداد ٠٠٠٠ حبات فضة واجرة النجار اربع حبات فضة واجرة الاسكافى ٠٠٠٠ حبات فضة واجرة صانع السلال ٠٠٠٠ حبات فضة واجرة البناء ٠٠٠٠ حبات فضة ٠

المادة ٢٧٥

اذا استأجر سيد سفينة[١٦٨] ، فان اجرتها ، عليه فى اليوم ٣ حبات فضـــة •

المادة ٢٧٦

اذا سيد استأجر سفينة حمل ، فعليه ان يعطى اجرتها فى اليوم ٢١/٢ حبة فضة •

المادة ٢٧٧

اذا سيد استأجر سفينة من (حجم) ٦٠ كور فعليه ان يعطى اجرتها فى اليوم ، سدس الشقل فضة •

المادة ٢٧٨

اذا سيد اشترى رقيقا أو أمة واصابه مرض قبل اتمام شهره فعليه ان يعيده الى بائعه وعلى المشترى ان يسترجع الفضة التى وزنها •

المادة ٢٧٩[١٦٩]

اذا سيد اشترى رقيقا أو أمـــة وطولب بالمرجّع ، فعلى بائعـــه دفع المرجَّع •

المادة ٢٨٠

اذا سيد اشترى فى بلاد اجنبية رقيق أو أمة رجل ما ، ولما عاد الى بلده فان مالك الرقيق أو الامة اكتشف رقيقة وامته ، فاذا كان الرقيـــق والامة ، من ابناء البلاد فيطلق سراحهما بدون فضة •

المادة ٢٨١

اذا كان ابناء بلاد ثانية (أخرى) فعلى المشترى ان يقول امام الاله

---

(١٦٨) وردت فى الترجمة الانكليزية على انها سفينة طويلة •

(١٦٩) ليست ترجمة هذه المادة واضحة وضوحا كليا والمقصود منها ، انه اذا سيد اشترى رقيقا أو أمة ثم حدث اعتراض ، كأن صاحب الرقيق أو الأمة طالب بارجاعهما ، أو ان البائع غير فكره وعدل عن بيعهما ، أو ان المشترى اكتشف فيهما عيبا ، فان البائع يتحمل مسؤولية الترجيع أى أن عليه ان يعيد المبلغ الذى دفعه اليه المشترى • وقد وردت فى الترجمـــة الانكليزية Meek « ان على بائعه تحمل مسؤولية الاعتراض » •

« انه قد اشترى بالفضة » ، وعلى صاحب الرقيق أو الامة ان يعطى للتاجر الفضة التى وزنها ويذهب برقيقه أو أمته •

المادة ٢٨٢

اذا رقيق قال لسيده « انت لست سيدى » وثبت انه رقيقه فعلى سيده ان يقص اذنه •

★ ★ ★

الخاتمـــة :

ان قوانين العدالة التى وضعها حمورابى ، الملك الـكفء
والتى بها جعل البلاد تضمن القيادة الرشيدة والحـكومة الحسنة •
أنا حمورابى ، الملك الـكامل
لم أكن مهملا أو مزعجا لذوى الرؤوس السود
الذين قدمهم لى الاله انليل
واوكلنى مهمة رعيهم مردوك
لقد بحثت لهم عن اماكن أمينة
وتغلبت على مصاعب مخيفة
وجعلت النور يشرق عليهم
وبالسلاح الفتاك الذى قلدنى به زبابا واننا
وبالرأى الذى هدانى اليه انكى
وبالمقدرة التى منحنى اياها مردوك
استأصلت دابر العدو فى الشمال والجنوب
وانهيت الحرب
ووضعت نصب عينى خير البلاد
وجعلت الناس ينعمون بالصفاء والهناء
ولم ادع احداً يرهبهم
ونادتنى الآلهة العظام
فاصبحت الراعى المحسن الذى صولجانه العدالة
ونشرت ظلى الوراف على مدينتى

وفى فؤادى حملت شعب بلاد سومر واكد
وقد نعموا بحمايتى
وساسيتهم بسلام
وحميتهم بقوتى
لـكى لا يجور القوى على الضعيف
لـكى ترعى العدالة اليتيم والارمل
فى بابل ، المدينة التى رفع رأسها آنوم وانليل شامخا
وفى ايز اگيلا ، المعبد الذى اسسه راسخة كالسماء والارض ،
كتبت كلماتى الثمينة على مسلتى
وبحضور تمثالى بصفتى ملك العدالة
اقمتها لـكى اطبق قانون البلاد
ولـكى اوطد النظام فى البلاد
لـكى امنح العدالة للمظلوم
أنا الملك البارز بين الملوك
ان كلماتى هى المختارة وقدرتى ليس لها مثيل
فبارادة شماش ، قاضى السماء والارض العظيم
عسى ان تسود عدالتى البلاد
وبارادة مردوك ، ربى
عسى ان لا يجعل احدا يهين قوانينى
وعسى ان يلهج باسمى فى ايزاگيلا الذى احبه ، للذكرى الى الابد !
ودع كل شخص مظلوم وله شكوى ان يمتثل امام تمثالى بصفتى ملك العدالة
ومن ثم فليقرأ مسلتى المـكتوبة
وان يتدبر اقوالى الثمينة
فعسى ان توضح له مسلتى الشكوى
وعسى ان يفهم شكواه
وعسى ان يريح فكره
حمورابى ، السيد ،

الذى هو اشبه بالاب الحقيقى للشعب ،
الذى يصدع بكلام مردوك ، ربه
ويضمن انتصار مردوك فى كل مكان
وبذلك يسعد قلب مردوك ، ربه
ويضمن النجاح للشعب ، الى الابد
ويقود البلاد فى الصراط المستقيم
دعه يعلن هذا
ودعه يصلى لى بكل قلبه
امام مردوك ، ربى وسرپانيتم ربتى
عسى الارواح الحارسة والملائكة الحامية
والآلهة التى تدخل ايزاگيلا ولبيتم[١٧٠] البانية لايزاگيلا
انه تحقق رغباتى كل يوم ،
امام مردوك ، ربى وسرپانيتم ربتى !
وفى الايام المتتابعة بممر الزمن
ليكن الملك الذى يظهر فى البلاد ان يتأمل
كلمات العدالة التى كتبتها على مسلتى
فلا تدعه يغير قوانين البلاد التى شرعتها
وانظمة البلاد التى طبقتها
لا تدعه يهين قوانينى
فان كان ذلك الشخص يمتاز بالحصافة
وكان قادرا على قيادة بلاده فى الطريق المستقيم
فدعه يتدبر الكلمات التى دونتها على مسلتى
وعسى ان تريه هذه المسلة الطريق ، الصراط ،
ان قوانين البلاد التى شرعتها •
وانظمة البلاد التى طبقتها ،

---

(١٧٠) لبيتم lebettum وهى الآلة التى تصنع الآجر

دعه يقود ذوى الرؤوس السود فى الطريق الصحيح !
دعه يطبق لهم القوانين
دعه يؤمن النظام لهم
دعه يستأصل دابر الخبيث والشر من بلاده
دعه يعمل لخير شعبه
أنا ، حمورابى ، انا ملك العدالة
الذى اوحى لى شماش بالقوانين
ان أقوالى مصطفاة ، وأعمالى ليس لها مثيل
انها بالنسبة الى المجانين جوفاء •
اما بالنسبة الى الحـكيم فستظل مثار الاعجاب
فاذا تدبر ذلك الشخص كلماتى التى كتبتها على مسلتى ،
ولا يهين قوانينى ولا يغالط كلماتى
ولا يغير قوانينى
فعسى شماش ان يجعل ذلك الشخص يحكم
طالما كان ملـكا للعدالة ،
وعسى ان يرعى شعبه فى العدالة
اذا لم يتدبر ذلك الرجل كلماتى التى كتبتها على مسلتى
وتجاهل لعناتى
ولم يخش لعنات الآلهة
ومحا القوانين التى شرعتها
وخرب كلماتى
وغير شرائعى
ومحا اسمى المـكتوب
وكتب اسمه
او امر آخر (ليقوم بهذا العمل) بسبب اللعنات
فبالنسبة الى ذلك الرجل ، سواء أكان ملـكا أو عظيما
حاكما أو شخصا من اية منزلة (يحمل لقبا)

فعسى آنوم الجبار ، ابو الآلهة الذى اعلن حكمى
يجرده من ابهة الملك
وعسى ان يحطم صولجانه ويلعن طالعه
وعسى انليل ، الرب ، معيّن الاجال
الذى اوامره لا تتبدل
الذى وسع مملكتى
ان يضرم الثورات ضده فى عقر داره فلا يستطيع اخمادها
وان يقوده النحس الى الهلاك
وعسى ان يجعل نصيبه حكم الويل
وان يجعل ايامه قليلة العدد وسنوات قحط
كلها ظلام بدون ضياء وموت مفاجىء
عسى ن يأمر بكلامه القوي بتخريب مدينته
وتشتيت شمل شعبه وتحويل مملكته
واختفاء اسمه وذكراه من البلاد !
عسى الالهة ننليل الوالدة الجبارة
التى اوامرها رادعة فى ايكور ،
السيدة التى تحقق رغباتى
ان تلغى كلامه فى محكمة الديان
وقراره امام انليل
وعسى ان تحمل انليل ، الملك ، ان يصدر ارادته فى تخريب بلاده
وتحطيم شعبه وتفجّر روحه كما يفجّر الماء !
وعسى انكى الامير الجبار الذى لارادته اسبقية ،
احكم الآلهة ، الذى يعرف كل شىء
الذى يطيل ايام حياتى
ان يجرده من المعرفة والفهم
ويجعله ضالا الى الابد
وعسى ان يطمر انهاره وينابيعه

وعسى ان لا يجعل فى بلاده غلالا وينزع من السكان الحياة
عسى شماش ، قاضى السماء والارض الجبار
الذى يهدى الكائنات الحية الى الطريق المستقيم ،
الرب ، سندى ، ان يقوض اركان مملكته
ان لا يتقبل حسناته ،
وعساه ان يضل سُبله
وعساه ان يقوض اركان وطنه
وعساه ان يعمل له فأل شر يترآى له امام ناظريه
لينبأه بزوال اركان مملكته ،
وكذلك خراب بلاده !
عسى كلمة شماش المهلكة تأتى عليه عاجلا ،
من فوق ، فتقتلعه من بين الاحياء
ومن اسفل ، فى العالم السفلى ، عسى ان يجعل فيأه عطشانا الى الماء !
عسى سن ، رب السماء ، الهى الخالق
الذى بطشه واضح من دون الآلهة ،
يجرده من التاج وعرش الحكم
عسى ن يلقى عليه ذنبا ثقيلا وعقابا كبيرا
لا يفارقه مدى الحياة
وعسى ان ينهى ايام حكمه واشهره وسنواته
فى البؤس والشقاء
عسى ان يضاعف له اعباء الحكم
وعسى ان يحدد اجله فى حياة كلها صراع مع الموت
عسى أدد ، رب البركة ،
الذى يروى السماء والارض ، عونى
يحرمه من مطر السماء
ومن الماء المتدفق من الينابيع
عسى ان يخرب بلاده بالفاقة والقحط

عسى ان يرسل الرعد باستمرار الى مدينته
ويحول بلاده الى خراب نتيجة فيضان
عسى زبابا المحارب الجبار
الابن البكر لايكور(١٧١)
الذى يسير على يمينى
يحطم اسلحته فى ميدان المعركة
عسى ان يحول نهاره الى ليل
ويجعل عدوّه يطأ عليه
عسى اننّا سيدة المعارك والحروب ، التى تحمل اسلحتى ،
حاميتى الرحيمة الفذة ، الفخورة بحكمى
تلعن حكمه بغضبها الـكبير من قلبها الحانق
عسى ان تقلب حسناته سيئات •
عسى ان تحطم اسلحته فى ميدان المعركة والحروب
عسى ان تخلق الفوضى وتثير عليه الثورات
عسى ان تجندل محاربيه
وتسقى الارض بدمائهم
عسى ان تجعل من اجساد محاربيه كومة كبيرة فوق السهل
عسى ان لا ترى محاربيه رحمة
اما هو ، فعساها ان تسلمه ليد الاعداء
ليحملوه مكبلا الى بلد معادى له
عسى نركال(١٧٢) القوى بين الآلهة
المقاتل بدون رمح الذى يحرز لى النصر
ان يحرق شعبه بقوته الجبارة

---

(١٧١) ويقصد به الاله انليل لان ايكور هو معبد الاله انليل فى نيبور (نفّر) •
(١٧٢) اله العالم السفلى وكان مركز عبادته فى مدينة كوثا فى شمال بلاد بابل •

كما تلتهم النار الهشيم (قصب الهور)
عسى ان يقصه باسلحته القوية
ويجزأ جسمه قطعا كالدمية المهشَّمه !
عسى ننتو ، سيدة البلاد الرفيعة ،
الام التى ولدتنى ، ان تنكره وريثا
عسى ان لا تدعه يطلق على نفسه اسما
او ينجب ذكرا يقوم بين شعبه
عسى نن كراك ، ابنة آنوم
شفيعتى فى ايكور تبتلى جسمه بمرض عضال
ووباء قاتل وجرح ممض لا يشفى
ولا يعرف داءه طبيب
ولا تسكنه المراهم والـكمادات
كما لو كانت عضة مميتة لا يمكن استئصال دائها
وعسى ان يولول ابدا من اجل صحته
حتى تنتهى حياته
عسى آلهة السماء والارض العظام ،
الآلهة آنوناكى بمجموعها ،
الارواح الحامية للمعبد ولبيتم اي بار ،
ان تلعنه وتلعن نسله وبلاده ومحاربيه
وشعبه وقومه بلعنّه قبيحة !
عسى انليل بكلمته التى لا تتبدل
ان يلعنه مع هذه اللعنات
حتى تقضى عليه فى الحال .

القوانين البابلية المتأخرة :

عثر على هذه القوانين فى رقيم من الطين فى المتحف البريطانى وقد قام بايزر Peiser لاول مرة بترجمتها فنشرها فى SPAW :

Sitzungsberichte der preusischen Akademie der Wissenschaften, Berlin, 1889, pp. 823—8 Tf. VII.

ثم ترجمها مايسنر Meissner ونشرها فى المصدر ذاته سنة ١٩١٨ ص ٢٨٠ – ٢٩٧ •

وترجم القسم الواضح من الرقيم ، ايبلنك Ebeling ونشره فى :

Altorientalische Texte zum alten Testament, 2nd ed., edited by H. Gressmann (Berlin u. Leipzig), 1926.

ان هذا الرقيم الطينى يحتوى على حوالى ست عشرة مادة ، تسع منها واضحة القراءة •

وقد اعتقد بايزر الذى ترجمها لاول مرة بان تاريخها يعود الى زمن اشور بانيبال ولكن Meek الذى قام بترجمتها مؤخرا والذى نقوم بنقلها الى العربية ، يعتقد بانها تعود الى الزمن البابلى المتأخر بالنظر الى اسلوب الخط والتعبير •

الترجمة العربية

المادة ١

مخربة ولا يظهر فيها الا بضع كلمات •

المادة ٢

••• فاذا جلبوا لادانته ، فعليه ان يقدم [ايجارا] مبلغا واحدا عن الحقل لصاحب الحقل على أساس الملاصق [وللحقل الذى لم] يعتن به ، عليه ان يدفع غلالا على أساس تلاصقه •

المادة ٣

[ان الشخص الذى يفتح بئره لاغراض السقى ولكنه لم يقم بتقوية [سداده] ومن ثم احدث فيضانا واغرق [حقلا] ملاصقا له ، فعليه ان يعطى [لمالك الحقل غلالا على اساس] التى تلاصقه •

المادة ٤

مخربة ولم يبق منها الا بضع كلمات •

المادة ٥

فى حالة شخص ختم رقيما ووثيقة لمالك حقل [أو بيت] باسم آخر ولم ينجز اتفاقية بحسب الشروط التى عليها وكذلك ليس لديه نسخة ثانية من الرقيم ـ فان على الشخص الذى كتب الرقيم والوثيقة باسمه ان يأخذ ذلك الحقل أو البيت •

المادة ٦

فى حالة شخص باع أمة ، فان كانت هناك دعوة معلقة ضدها وكانت قد ذهبت ـ فان على البائع ان يعطى المشترى دراهم بحسب شروط الوثيقة بكامل المبلغ • فان كانت قد ولدت اطفالا فعليه ان يعطيها نصف شيكل من الفضة عن كل طفل •

المادة ٧

ان المرأة المذنبة لاستعمالها أو قطعها حطبا من حقل شخص ، أو التى قطعت (خشبا) من [قارب] او من تنور أو من أى شىء كان ، عليها ان تعطى لمالك الحقل ثلاثة امثال كمية الخشب التى قطعته من هناك • فاذا قطعت (خشبا) من قارب (او) قطعت حطبا من تنور أو من أى شىء كان فعليها ان تدفع ثلاثة امثال النقص الذى سببته فى الحقل •

فعندما فى شهر ••• ان قوانينها (المواد) غير منتهية ولذلك لم تكتب •

المادة ٨

غير واضحة •

المادة ٩

فى حالة شخص أعطى بنته (زوجها) لابن شخص (آخر) وسجل مبلغا معينا على وثيقة واعطاها لابنه وعين الشخص جهازا لابنته وكتبا عقدا مع بعضهما البعض فلا ينبغى لهما ان يختلفا على عقديهما ولا ينبغى للأب ان ينتقص من أى شىء سجله لابنه فى العقد وخصصه (لابن) حماه • فاذا

وافى الاجل زوجة الاب وتزوج زوجة اخرى وولدت له أولادا فان أولاد الاخيرة يأخذون ثلث ما تبقى من ثروته •

المادة ١٠

ان الشخص الذى وعد بنته بجهاز أو كتب لها وثيقة ولـكن ثروته قلّت بعدئذ فعليه ان يعطى لبنته جهازا يتناسب مع ثروته التى بقيت لديه فلا ينبغى للحَمي ّ وللختن أن يختلفا •

المادة ١١

فى حالة شخص ، اعطى بنته جهازا ولم يكن لها ابنا او بنتا عندما وافاها الاجل فان جهازها يرجع الى بيت ابيها ••• وتجاه الابن ••• فينبغى عليها ان تعطى جهازها لزوجها أو لأي ّ احد تختاره •

المادة ١٢

فى حالة زوجة اخذ جهازها زوجها الذى ليس له ولد (او) بنتا ، والتى زوجها وافاه الاجل ـ فيجب اعطاؤها جهازا من ثروة زوجها بقدر الجهاز الذى يجب ان يكون • اذا كان زوجها قد اهداها نيشانا[1] فعليها ان تأخذ نيشان زوجها مع جهازها ومن ثم تترك • اذ ليس لها جهاز فعلى القضاة ان يقدروا ثروة زوجها ويعطى لها شيئ ٌ يتناسب مع ثروة زوجها •

المادة ١٣

اذا اقتنى شخص زوجة وولدت له اطفالا فاذا وافى الاجل بعدئذ ذلك الشخص ثم قررت تلك المرأة ان تدخل بيت آخر فباستطاعتها ان تأخذ الجهاز الذى جلبت من بيت ابيها وكل ما اهداه لها زوجها وباستطاعة ذلك الزوج الذى اختارها ان يتزوجها • وعليها ان تتمتع به طول حياتها مع ••• فاذا ولدت اطفالا [لزوجها الاخير] فعلى الاطفال من الاول [ان يقتسموا] بالتساوى جهازها [ونيشانها] •

---

(١) وردت فى هذه القوانين كلمة ندونو nudunnu للجهاز • والـكلمة بحد ذاتها تعنى العطاء ، الهبة ، المنحة ومن المحتمل ان تعنى أيضا الدوطة • اما النيشان أو هدية العرس فقد وردت فى هذه القوانين بكلمة شرقتو Shereqtu •

المادة ١٤

محربة •

المادة ١٥

فى حالة شخص اقتنى زوجة وولدت له أطفالا ، فاذا وافى الاجل زوجته ، فأقتنى زوجة أخرى وولدت له اولادا ـ فبعد أن يكون قد ذهب الاب الى أجله ، فان على الاولاد من الزوجة السابقة ان يأخذوا الثلثين مما ترك الوالدان واولاد الزوجة الثانية الثلث ، اما اخواتهم اللاتى يعشن فى بيت الوالدين و •••

المادة ١٦

مخربة وقد ظهرت فى آخرها كلمة « بابل » •

تاريخ العلاقات البرتغالية مع الخليج العربى
١٦٣٠ ـ ١٧٦٠

الدكتور محمود على الداود

مقـــدمة :

يقول المؤرخ البرتغالى البوكرك عن عوامل انهيار النفوذ البرتغالى فى الخليج العربى ما نصه : « هنالك ثلاثة مراكز فى الهند تعتبر المفاتيح الرئيسية لتجارة الشـرق والسيادة على التجارة العالمية وهى ما لقا عنـد مخرج مضايق سنغافورة ، وعدن ، عند مدخل ومخرج البحر الاحمر • والمركز الثالث هو هرمز عند مدخل ومخرج مضايق الخليج الفارسى • وتعتبر مدينة هرمز ، حسب ما اعلم ، أهم هذه المراكز جميعها • ولو كتب لملك البرتغال السيطرة على عدن وتحصينها بقلعة قوية لاصبح سيد الموقف فى آسيا بدون منازع • ولو سيطر على هذه المراكز الثلاث فى الشرق لاصبح سيد العالم ، كما أصبح الاسكندر قبل ذلك عندما توغل الى قلب سهول الـكنج ، وأصبح بامكانه غلق جميع الابواب المؤدية الى الشرق بوجه كل طامع فى البحار الهندية »[١] • وحتى يعوض البرتغاليون عما حل بهم من انتكاسات جعلوا مسقط ، على الساحل المقابل ، مركزا لنشاطهم فى الخليج العربى وبنوا حصونا قوية فيها ، وهكذا أصبحت مسقط مرة أخرى مركزا تجاريا بالاضافة الى كونها مركزا للتبشير المسيحى هناك منذ أوائل أيام البرتغاليين فى هذه المنطقة • ولـكن مسقط لم تبرهن على كونها مركزا حصينا وذلك لان ضربات عرب عمان لم تنقطع عليها من الجبل الاخضر وسهل الباطنة • وقد حاول البرتغاليون كذلك الاحتفاظ ببعض نفوذهم فى البصرة وقد كتب الرحالة الذائع الصيت فارايا سوسة[٢] ان البرتغاليين

---

(1) Alblqurque, Affonode, ''The Commentaries of the Great Afonso Dalbo Qlerque''. Vol IV. Hakl. Soc. 1815. p. 185.

(2) Faria Y Sousa ''The Portugues Asia'' The History And Discovery of India. 1695. p. 2.

اوجدوا فى البصرة وكالة تجارية ومدرسة للعلوم الدينية المسيحية • وظل البرتغاليون الى سنة ١٦٤٠ فى منافسة دائمـة مع التجارة الانكليزية فى تلك المدينة •

ان المسؤول الاول عن توطيد النفوذ الهولندى فى الخليج العربى هو الرحالة (Jan Van Linsc Hoten) الذى قدم معلومات قيمة عن تجارة الهند الشرقية فى نهاية القرن السادس عشر • وظل الملك الاسبانى فيليب الثانى يحاول القضاء على التجارة الهولندية وذلك بوضعه قيودا صارمة بعرقلة جميع العلاقات التجارية بين هولندا والهند وكان الطريق التجارى الوحيد الذى تستطيع بواسطته البيوتات التجارية الهولندية الاتصال بالهند هو طريق ليشبونة غير المباشر • لقد كان هدف فيليب الثانى هو منع الهولنديين من أى اتصال مع المستعمرات البرتغالية فى الشرق • وقد ولدت هذه السياسة رد فعل قوى فى نفوس الهولنديين الذين أصبحوا الآن أكثر تشوقا للوصول الى البلاد لشرقية بصورة مباشرة • وقد ذهب لينشوتن الى الهند فى ١٥٨٣ مع رئيس اساقفة گوا وقد بقى هناك ما يقارب ١٣ سنة • وقد جمع معلومات هائلة عن المنتوجات الهندية وطرق المواصلات • وبعد ان رجع الى هولندا فى ١٥٩٢ قام بطبع المعلومات التى حصل عليها أثناء بحوثه والحقها بمعلومات بحرية مهمة عن الطريق البحرى من ليشبونه الى الهند مستعرضا حركة السفن والرياح والموانىء والجزر مع الخرائط المهمة(٣) • وبعد رجوع لينشوتن الى امستردام بمـــدة قصيرة أرسل تجـــار هذه المدينة المدعو (Cornelis Houtman) الذى سبق له ان سافر على ظهر السفن البرتغالية الى الهند ، الى ليشبونه لدراسة أحوال التجارة الشرقية ورفع تقرير مفصل عنها • وقد اقترح بعد رجوعه الى هولندا ان يسير اسطول هولندى الى الهند عبر رأس الرجاء الصالح تحت قيادته • وقد رجع الى هولندا فى ١٥٩٧ بعد ان خسر ٢/٣ ملاحيه وسفينة واحدة وقام بتجارة محدودة جدا • ولـكنه

---

(٣) لقد ظهرت ترجمة لـكتاب لينشوتن بالانكليزية فى عام ١٥٩٨ لا تزال محفوظة فى المتحف البريطانى بعنوان :
"The Voyage of John Van Linschoten to the East Lndies".

حقق انتصارا مهما بعقده أول اتفاق هولندى مع ملك بانتام وبذلك فتح ارخبيل جزر الهند الشرقية للتجارة الهولندية •

وازداد عدد الاساطيل الهولندية الذاهبة الى الشرق حتى بلغ عددها بين ١٥٩٨ ـ ١٦٠١ ما يقارب ١٥ اسطولا وقد قام الهولنديون بالاستيلاء فعلا على بعض المستعمرات البرتغالية فى الهند (خلال الوحدة البرتغالية الاسبانية ١٥٨٠ ـ ١٦٢٠) وارغموا البرتغاليين تسليم مراكزهم فى الهند نهائيا • ان نجاح هوتمان ادى الى ظهور مؤسسات هولندية تجارية والتى توحدت فى ١٥٩٧ تحت اسم « جمعية التجارة مع البـــلاد البعيدة » أو "The Society For Trade to Distant Countries."

ومنذ ذلك التاريخ سارت نشاطات الشركة الهولندية جنبا الى جنب مع النجاح الذى احرزه التجار الانكليز • وفى ١٦٠٢ اسست الدوليات الهولنـــدية مايعـــرف بشـــركة الهنـــد الشـــرقية الهولنـــدية أو "The Dutch East India" Company.

وقد أصبحت الشركة المذكورة قوة وطنية مهمة تتاجر بين هولندا والشرق قبل ان تدخل سفينة هولندية واحدة الى مياه الخليج العربى • وفى ١٥٩٩ رفع الهولنديون ، بصورة فجائية ، أسعار الفلفل ضد الانكليز من ٣ شلنات للباون الواحد الى ستة شلنات ثم الى ثمانية شلنات • وقد حدث هذا بعـــد التقرير الذى نشـــره الرحالة الانكليزى رالف فيتج "Ralph Fitch" (٤) • ولـكن مصلحة الانكليز والهولنديين اتفقت على مقاومة البرتغاليين وهذا ما حصل بالفعل فى معركة ١٦٢٥ عند هرمز •

« دور النشاط الهولندى »

ان زوال النفوذ البرتغالى فى الخليج العربى لم يترك الانكليز اسياد الموقف فى تلك المياه ولم تنعدم المنافسة التجارية والسياسية ، فبينما انهار مركز البرتغـال أخذت قوة هولنـدا تستمر على مر الزمن • لقد كانت

(4) Curzon, G. N. "Persia & the Persian Question. "Vol. II. p. 418.

السياسة الهولندية فى فارس تهدف الى احتلال مركز الانكليز الذى عملوا على تأسيسه منذ مدة طويلة وضحوا من أجل تركيزه الكثير من المال والرجال ، وقد استعمل الهولنديون الرشوة ودفعوا أسعارا عالية للبضائع الفارسية لتحقيق هذا الهدف • ولم يتقدم رجال شركة الهند الشرقية فى ١٦٣٣ بأى طلب لاجل عقد اتفاق جديد مع الشاه حول احتكارات تجارة الحرير خوفا من ان يتقدم الهولنديون بمطاليب مماثلة • وقد امتازت وكالة شركة الهند الشرقية فى فارس خلال هذه الفترة بالفساد ووجود شخصيات انكليزية أخذت تهمل مصلحة الشركة وتركز على جيوبها الخاصة • وكان الوكيل البريطانى فى اصفهان ، بعد وفاة كيبسون ''Gibson'' ، لا يتردد فى استعمال أموال الشركة لتقديم القروض الى التجار الهولنديين ، وبذلك ساعدهم على شراء الحرير وعلى مزاحمة التجارة الانكليزية • وكان التجار الهولنديون ، فى هذه الفترة ، فى حالة مالية مزرية حتى بلغ ما استقرضوه من تجار الارمن فى فارس ما يزيد على ١٠٠٫٠٠٠ باون انكليزى • وقد ذكر لنا الرحالة « ماندیلسو »[٥] Mandelso الذى زار بندر عباس فى ١٦٣٨ عن وجود وكالتين تجاريتين فى تلك المدينة احدهما انكليزية والاخرى هولندية كما ذكر لنا كذلك بان تجارة التوابل كانت احتكارا للانكليز والهولنديين الذين تمكنوا من الحصول على فرمان يعفيهم من ضريبة الاستيراد • وكانت هولندا تملك فى الفترة ١٦٣٩ – ١٦٤٠ أكثرية البواخر والبضائع فى ميناء بندر عباس ، ولكن التجار الانكليز ، رغبة منهم فى عدم السماح للوكالة الهولندية بالانتصار عليهم أجلوا اطاعة الاوامر التى كانت قد صدرت اليهم حول غلق مؤسسات شركة الهند الشرقية فى اصفهان • وفى ١٦٤١ كان الهولنديون ، رغبة منهم فى مقاومة الاحتكارات الانكليزية ، يبيعون البضائع الاوربية بأسعار أقل من الكلفة • وفى ١٦٤٥ أخذ الهولنديون ، الذين كانوا يعملون على تركيز نفوذهم فى

---

(5) Mandelso, J. A, ''The Voyages and Travels into East Indies, From 1638—40'' Enclish Translation By. John Davies. 1662.

فارس ومستعملين لذلك مختلف الوسائل بما فى ذلك القوة العسكرية ، وقد أرسلوا اسطولا ضخما الى الخليج العربى تحت قيادة الكومادور بلوك[٦] "Commodore Block" • وكان الغرض من وراء هذه الحملة هو اشاعة الخوف والهلع فى قلوب السلطات الفارسية واظهار قوة الاسطول الهولندية ، وبالفعل طالب الكومادور السابق الذكر من السلطات الفارسية وجوب اعادة مبلغ ٤٩٠٠ تومان الى الوكيل الهولندى بحجة ان الامتيازات التى منحهم اياه الشاه قد اعفتهم من الضرائب • وقد زادت الحملة العسكرية من شقة الخلاف الفارسى ـ الهولندى وغدا احتمال اصطدام مسلح بين الطرفين وشيك الوقوع حتى ان شركة الهند الشركة الانكليزية اسرعت بنقل بضائعها من ميناء بندر عباس الى ميناء البصرة وقد اكملت هذه العملية الشاقة فعلا فى تموز ١٦٤٥ • وقد فشلت جميع المفاوضات بين فارس وهولندا وفى أيلول من تلك السنة هاجم الاسطول الهولندى جزيرة قشم ، وبالرغم من فشلهم فى الاستيلاء على الجزيرة وفقدهم عددا كبيرا من الرجال الذين لاقوا حتفهم نتيجة لارتفاع درجات الحرارة الهائل ، ولكن الشاه الفارسى طلب الهدنة وكان على استعداد لتقبل جميع مطاليب التجار الهولنديين • وقد توفى الكومادور بلوك فى اصفهان التى كان قد سافر اليها بترخيص من الشاه ، ولكن قبل وفاته كان قد قابل الشاه وكان من نتيجة تلك المقابلة المرضية ان حصل الهولنديون على اجازة بتصدير الحرير من أى بقعة من بلاد فارس وبدون ضريبة •

وقد وسع الهولنديون نطاق حربهم التجارية مع الانكليز الى العراق وأرسلوا بالفعل اسطولا مؤلفا من ثمانى سفن الى البصرة ، وقد نجحت هذه الحملة فى تحطيم الوكالة الانكليزية التى كانت قد تأسست هناك حديثا • وقد وصل النفوذ الهولندى فى الخليج العربى قمته فى ١٦٤٩ وأصبح من المحتمل حصولهم على امتيازات جديدة من الحكومة الفارسية التى أصبحت تخشى بأسهم • وقد استمرت القوة الهولندية فى الزيادة وقد

(6) Bruce, C. LE, "Annals of the Honourable East India Company" 1810. Vcl i. p. 411.

شجعها على ذلك طرد البرتغاليين من ميناء مسقط ، وقد ذكرت لنا التقارير الرسمية ان عدد سفن الاسطول الهولندى الذى زار بندر عباس فى ١٦٥٠ بلغت عشرة وقد انزلت حمولة هائلة من البضائع • وقد ذكر لنا الرحالة الشهير تافيرنيه "Tavernier" (٧) الذى كان يزور فارس فى تلك السنة ان الهولنديين استوردوا كمية من الفلفل والبهارات الاخرى تقدر بـ ١ر٥ مليون باون الى فارس اعطوها ثمنا لـكميات كبيرة من الحرير • وفى ١٦٥١ بلغت كمية البضائع التى نقلتها احدى عشرة سفينة تجارية هولندية الى ميناء بندر عباس ما يقارب ١٠٠ر٠٠٠ باون انكليزى ، وقـد انتج ذلك انتكاسة فظيعة بالنسبة الى التجارة الانكليزية فى تلك البلاد • وقد أرسل الهولنديون فى الفترة ١٦٥٢ ـ ١٦٥٣ خمسة عشرة سفينة تجارية الى ميناء بندر عباس محملة بضائع قيمتها ١٢٠ر٠٠٠ باون انكليزى ، مما زاد فى اضعاف تجـارة الانكليز • وبالرغم من الانتصارات التى حققتهـا التجارة الهولندية فى تلك الحقبة من الزمن فى فارس والخليج العربى ، ولـكن الشاه لا يزال يمانع فى منح الوكالة الهولندية نفس الامتيازات التى كان قد منحها الى منافسيهم من التجار الانكليز وذلك لان الانكليز ـ حسب اعتقاد الشاه ـ قدموا خدمات فعلية الى فارس وخاصة فى حروبها الاخيرة مع البرتغاليين • وعلى هذا فقد فشل المبعوث الهولندى الذى سافر الى اصفهان فى مهمة تتعلق فى اقناع الشاه بمنع الانكليز من الحصول على كميات لا بأس بها من الحرير ، هذا بالرغم من الاستقبال الذى لقيه هذا المبعوث على يد الشاه وحاشيته وبالرغم من الاموال التى صرفهـا كرشوة فى بلاط الشاه وبالرغم من العوامل المساعدة التى كانت الى جانب الهولنديين •

وفى نفس الوقت كان الحرب قد اشتعلت بين هولندا وانكلترا فى القـارة الاوربية فى ١٦٥٢ ولـكن دون ان تصل انبـاء اشتعالها الى فارس والخليج العربى والشرق قاطبة الى بعد مدة • والواقع ان جذور الحروب

---

(7) Six Voyages de Jean Bapt. Tavernier ... Through Turquie En Perse, En Aux Indes. 3 Vds.

الانكليزية ـ الهولندية فى القارة الاوربية ترجع بعضها الى الحملات العدائية التى شنها الاسطول الهولندى فى مياه الخليج العربى على النفوذ البريطانى والاحتكارات البريطانية فى فارس ، بالاضـــافة الى الاضرار المباشرة التى الحقها الهولنديون بمصالح شركة الهند الشرقية الانكليزية • وكان البرلمان الانكليزى قد وافق فى ١٦٥١ على « لائحة الملاحة » "Navigation Act" لاجل تحطيم اسطول هولندا التجارى ، وفى ١٦٥٢ اعلن كرومويل الحرب على هولندا • وقد استمرت حرب المنافسة حول السيادة البحرية بين هولندا وانكلترا مدة سنتين • والواقع ان العمليات البحرية والعسكرية فى تلك الحرب لم تكن فى صالح احد الـكفتين المتنازعتين • ولم تسفر الاستراتيجية الهولندية التى رسمها القادة تروم Tromp ورتيـــه "Ruyter" وكـذلك الاستراتيجية الانكليزية التى رسمها كل من مونك Monk وبلاك Black عن أى نتائج حاسمة(٨) • وقد قررت اللجنة الانكليزية ـ الهولندية التى اجتمعت بعد الحرب اعطاء تعويض مقداره ٨٥٫٠٠٠ باون انكليزى الى شركة الهند الشرقية كما اجبر الهولنديون على اعطاء تعويضات أخرى • ان الحرب الهولندية ـ الانكليزية لم تؤثر تأثيرا مباشرا على الاوضاع العامة فى الخليج العربى ، ولـكن نظرا لخلو تاريخ الخليج من حوادث مهمة بين سقوط هرمز ونهاية القرن السابع عشر يمكن اعتبار الحرب المذكورة حدا فاصلا يظهر بدأ تركيز النفوذ البريطانى فى تلك الجهات من جهة واعتبار الخليج العربى نقطة انطلاق مهمة توسع منها البريطانيون الى الهند •

وفى ١٦٦٤ منح لويس الرابع عشر (بناءً على نصيحة قدمها اليه وزير ماليته الشهير كولبرت "Colbert") حق تأسيس شركة الهنـــد الشرقية الفرنسية ، وفى السنة التالية ، أى فى ١٦٦٥ ، اصدر البرلمان الانكليزى لائحة ملاحة جديدة وبدأت بذلك حرب انكليزية ـ هولندية جديدة • وقد اعقب الانتصارات الانكليزية التى حققها الاسطول عنـــد "Lowestoft"

---

(8) The Persian Gulf Gazetteer. Secret. Vol. I. Part. I. Historical. p. 65.

انتصارات هولندية مشكوك فيها فى القنال الانكليزى فى ١٦٦٦ ، وعلى كل حال فقد اجبر الهولنديون على التقهقر الى موانيهم ووضع صلح بريدا "Breda" حدا للاصطدامات المسلحة • وكانت هذه الحرب قد احدثت ، فى الخليج العربى ، رد فعل أقل مما احدثه الحرب الانكليزية ـ الهولندية الاولى فى ١٦٥٢ ـ ١٦٥٤ • وقد حصل رد الفعل هذا فى الهند حيث قامت قطعات الاسطول الهندى بمحاصرة اسطول شركة الهند الشرقية عند سورات •

وبعد فترة وجيزة من هذه الاحداث التاريخية مهدت مطامع لويس الرابع عشر الى اصطدامه بكل من هولندا واسبانيا ، وقد اعلن الحرب على هولندا فعلا فى ١٦٧٢ وتمكن فى ١٦٧٦ من تحطيم حلف من الاساطيل الاسبانية والهولندية فى مياه البحر المتوسط • وقد وقف ملك انكلترا « شارل الثانى » الى جانب فرنسا فى أول الامر وضد هولندا ، وقد حدثت معركة غير حاسمة بين السفن الانكليزية والهولندية فى ١٦٧٢ عند سولبى "Solebay" • ولكن الرأى العام الانكليزى الذى كان معاديا لفرنسا اجبر الملك شارل الثانى على عقد الصلح مع هولندا فى ١٦٧٤ ، وفى نهاية السنين الستة من الصراع انضمت انكلترا مع دول اوربية أخرى الى جانب هولندا التى اعترف باستقلالها رسميا فى ١٦٧٨ وذلك فى صلح نيموجن "Nimwegen" • وفى الدور الثانى من المنافسة الدولية التى بدأت فى ١٦٨٨ تحالفت انكلترا مع هولندا لمعارضة السيادة الفرنسية فى اوربا ، ولكن المصالح الهولندية أتت دوما بالدرجة الثانية فى هذا التحالف بالنسبة للمصالح الانكليزية • وفى ١٦٩٠ هزم الفرنسيون اسطولا انكليزيا ـ هولنديا عند رأس بيجى "Beachy Head" كما تحطمت قطع مهمة من الاسطول الفرنسى فى معركة لاهاى فى ١٦٩٢ • ولكن الحوادث البحرية السابقة لم تمنع الاساطيل الانكليزية المتحالفة من دحر الاساطيل التركية فى الخليج العربى فى ١٦٩٣ • وفى ١٦٩٧ بدت القوة الفرنسية منهارة وبدأ تفكير لويس الرابع عشر الجدى يتجه نحو مشكلة الوراثة الاسبانية وانتهت الحروب التى

انهكت فرنسا بالتوقيع على معاهدة ريزويك ''Ryswick'' وفى ١٧٠٢ انضمت انكلترا الى جانب التحالف الاكبر ''Grand Alliance'' ضد فرنسا فى حرب أوربية كبيرة نتجت عن تسوية الوراثة الاسبانية من وجهة نظر لويس الرابع عشر • وقد انتهت هذه الحروب بعد انتصارات مارلبورد فى بلنهايم وبعد سقوط معقـــل جبل طارق بيـــد الانكليز بمعـــاهدة اترخت Utrecht فى ١٧١٢[٩] • والحروب الاخيرة لم تؤثر مباشرة على الاوضاع العامة فى الخليج العربى •

لقد وصلت انباء الحرب الانكليزية الهولندية الاولى الى الهند فسارع الهولنديون الى تشكيل تحالف مع البرتغاليين وذلك لغرض تحطيم التجارة الانكليزية ، ولـكن السلطات البرتغالية رفضت قبول الاقتراح الهولندى وذلك لان اقتراحا مماثلا كانت السلطات قد تلقته من الانكليز • ورســـم الهولنديون خطة الهجوم البحرى وتمكنوا من الاستيلاء على سفن شركة الهند الشرقية وهى ''Roebuck'' و ''Lanneret'' وذلك بالقرب من جسك ثم أسروا سفينة ثالثة هى ''Blessing'' وحطموا سفينة رابعة هى ''Supply'' وفى نهـاية كانون الثانى ١٦٥٤ تمكنت خمس سفن هولندية من حرق السفينة الانكليزية ''indenvour'' وذلك عند شاطىء بندر عباس وأسروا ســـفينة ''Falcon'' على حين غرة حين كان جميع بحارتها فى حفلة سكر صاخبة • وهكذا سيطر الهولنديون على مناطق الخليج بصورة كلية وقد أمرت شركة الهند الشرقية وكالاتها فى البصرة بترك المدينة وأخذت الشركة تفكر بضرورة ارسال الحرير الفارسى الى اوربا عن طريق اصفهان وتبريز • وقد اعادت انباء معاهدة السلم بعض الاستقرار فى المصالح التجارية الانكليزية فى شط العرب وفارس •

وفى خلال هذه الفترة كانت قوة الهولنديين البحرية فى مياه الخليج العربى تبعث الهـــزع والخوف فى قلوب رجال شركة الهنـــد الشرقية

---

(9) Mahan, A. T, ''The Influence of sea Power Upon History''. 1889.

الانكليزية ، وكان الاقتراح الذى قدم بشأن تأسيس محطة انكليزية فى مستوى يهدف بالدرجة الاولى الىمقاومة النفوذ الهولندى • ويظهر انالتجارة الهولندية اينعت فى ميناء بندر عباس خلال ١٦٦٤ وأصبح باستطاعة التجار الهولنديين ارسال ثلاث الى أربع سفن محملة بالبضائع سنويا الى ذلك الميناء • وقد وجد الدكتور جون فراير "Dr. John Fryer" (١٠) الذى زار بندر عباس فى ١٦٧٧ بان الهولنديين يسيطرون سيطرة تامة على تجارة النوابلفىفارس وقد ذكرالرحالةالاخير انالتجارة الهولنديةمتضخمة الىدرجة ان الهولنديين احرقوا أربع سفن كانت محملة بالتوابل أمام بندر عباس وذلك حتى يحافظوا على أسعار التوابل من جهة وحتى يرغموا التجار الفرس على قبول تلك الاسعار • وكانت التجارة الهولندية فى الخليج العربى وفارس تتعامل كذلك بالسكر والنحاس • وقد قدر الدكتور جون فراير قيمة الصادرات الهولندية من الحرير والذهب والفضة والسجاد النفيس بمبلغ ٥٠ر٠٠٠ تومان • وكان الهولنديون لا يزالان فى ١٦٨٢ يرسلون سفينتين تجاريتين سنويا الى ميناء بندر عباس(١١) •

وقد حدثت منازعات بين الفرس والوكالة التجارية الهولندية بين والحين وقد قام الاسطول الهولندى فعلا بضرب الحصار على ميناء بندر عباس فى ١٦٨٤ وقد لامت شركة الهند الشرقية فى لندن وكالاتها فى فارس وذلك لعدم اعلامها بهذه المنازعات التى قد تعرض سفن الشركة للخطر • وكان رجال الوكالة الهولندية فى اصفهان خلال ١٦٨٦ مشغولين بشأن احداث شقة بين البلاط الفارسى والوكالة الانكليزية ولكن هذه الاعمال أصابها الفشل وذلك للدور الذى قام به مترجم الشركة الانكليزية الارمنى فى اصفهان وفى تشرين الثانى ١٦٨٥ غادر الرحالة الالمانى الدكتور "E. Kaempfer"، الذى كان قد أتى الى فارس فى ١٦٨٤ كسكرتير للسفارة

---

(10) The Persian Gulf Gazetteer Secret. Historical. Vol. I. Part. I p. 66.

(11) Fayer, J. "A New Account of East - India And Persia, in Eight Letters. Being Nine Years of Travels." 1698.

السويدية فى البلاط الفارسى ، اصفهان الى بندر عباس حيث التحق بوظيفته الجديدة كرئيس لشركة الهند الشرقية الهولندية فى الخليج العربى وقد مكث فى بندر عباس حتى حزيران ١٦٨٨ ثم ابحر الى باتافيا حيث استعد لرحلته الشهيرة الى اليابان • وقد قام الدكتور Kaempfer [١٢] خلال اقامته فى ربوع الخليج العربى ، وبالرغم من اعتلال صحته ، بدراسات قيمة حول التاريخ الطبيعى لمنطقة بندر عباس • وقد صدر بحوثا حول هذا الموضوع نشره فى "Amoenitatum Exoticarrum Fasciculi" وقد ترجم هذا الكتاب الى الانكليزية ومن أمتع فصوله فصلين الاول عن زراعة النخيل فى الخليج العربى والثانى عن الاسماك فى مياه بندر عباس •

وقد أخذ النفوذ الهولندى فى اوربا يقل تدريجيا اعتبارا من ١٦٨٨ بالنسبة لانكلترا ، وكانت الدولتان فى تحالف وفى حرب ضد فرنسا وفى نفس الوقت أخذت هولندا تفقد بعض مركزها فى الخليج العربى لصالح انكلترا • وكان الصراع على اشده بين التجار الانكليز والهولنديين حول احتكار تجارة الصناعات الهندية ولكن الانكليز تمكنوا من التغلب على منافسيهم وحصلوا على احتكار تجارة صوف كرمان الشهير[١٣] •

وفى ١٦٩٠ زار سفير هولندى العاصمة الفارسية ، اصفهان ، وعقبه بعثة دبلوماسية وهدايا ثمينة الى الشاه وكان هدفه هو الحصول على فرمان من الشاه يمنح التجار الهولنديين حق احتكار تجارة صوف كرمان ، ولكنه فشل فى مهمته • وفى أثناء رجوعه الى بندر عباس فى ١٦٩١ اتفق مع الشاه بندر ، ممثل الشاه ، ضد الوكالة البريطانية الى درجة تعذر فيها على الانكليز انزال بضائع فى ذلك الميناء مما اضطره الى ارسالها الى اصفهان مباشرة •

وفى ١٦٩٥ حدثت منازعات بين الفرس والعرب فى الخليج العربى

---

(12) The Persian Gulf Gazetteer. Secret. Historical. Vol. I. Part. I. p. 67.

(13) Raynal, T. G. F. "A Philosophical and Political History of the Settlements and Trade of Europeans in the East and West." Translated By J. Ustamonol. 3 Vols. 1782.

وقد هاجم العرب السفن الفارسية فى الخليج بدون انقطاع ولـكنهم كانوا يخافون من تحالف الاسطول الهولندى مع الفرس ، ذلك التحالف الذى لم يكتب له الولود • ولـكن الهولنديين كانوا يملـكون الحق لاستيراد بضائع تبلغ قيمتها ٢٠ر٠٠٠ تومان كل سنة الى اصفهان بدون ضرائب ، مقابل كميـــة تبلغ قيمتها ٥٠٠٠ تومان الى الانكليز • وفى ١٦٩٧ حاول الانكليز جذب الشاه الى جانبهم فعوضوا عليه السفينة « شارل الثانى » لاجل حمل سفير فارسى وحاشيته الى بلاط امبراطور المغول فى الهند • وكما ذكرنا سابقا فان التجار الهولنويين ، الذين كانوا فى السابق قد حصلوا على حق احتكار تصدير الحرير من فارس بطريق البحر ، احتجوا بقوة فى ١٦٩٩ ضد قيام الفرس بتسديد مدفوعاتهـــم من حصتهم مع الانكليز فى مكوس بندر عباس • ولا نعرف عما اذا كان هذا الاجتماع قد انتج بعض التوفيق ولـكن الهولنديين نجحوا فى جلب الشاه بندر الى جانبهم وربطوا مصيره بمصالحهم وقد تلاعب الاخير بمكوس ميناء بندر عباس ودفع مبلغ ١ر٣٠٠ تومان الى الوكالة الهولندية على حساب الوكالة الانكليزية دون ان يكون له حق فى ذلك •

ويمكن اعتبار زيارة الشـــاه فى تموز ١٦٩٩ الى الوكالة التجارية الانكليزية فى اصفهان ضربة قاضية فى ظهر النفوذ الهولندى ، وقد انتجت تلك الزيارة تبدل سريع فى موقف الشاه بندر الذى قام باعطاء تعليمـــات مشددة بعدم السماح للسلطات الهولندية ببناء قلعة عسكرية فى بندر عباس • وبالرغم من التماس الوكالة الهولندية بان يشملها عطف الشاه بزيارة مماثلة ولـكن الشاه رفض القيام بهذه الزيارة • وقد اعلم الشاه الوكالة الهولندية بان انضمام هولندا تحت عرش وليم اورنج يعنى ان هولندا لم تعد دولة لانها ليست لها سيادة • وكان العامل الاخير من أهم العوامل التى دفعت الشاه الى تغيير اهتمامه من الوكالة الهولندية الى الوكالة الانكليزية • وقد قدم الهولنديون آخر عروضهم الى الشاه فى ١٧٠٥ عندما ازدادت غارات القراصنة العرب ضد السفن الفارسية ولـكن هذا العرض رفض من قبل الشاه الذى فضل التعارف مع الاسطول الانكليزى •

كان الهولنديون فى بداية الربع الثانى من القرن الثامن عشر يملكون وكالات فى بندر عباس والبصرة • وقد امتازت العلاقات الهولندية مع الامارات الفارسية بالتوتر المستمر نتيجة لسوء المعاملة التى كان الامراء ورعاياهم يلاقونها على أيدى الهولنديين • وهؤلاء كانوا يميلون دوما الى الانكليز • والهولنديون من التجار والمستعمرين كانوا يحترمون ويخافون قبائل الافغان لمقدرتها العسكرية وهذا ما حدث فعلا فى ١٧٢٨ عندما طلب أمير كابل من الوكالة الهولندية غلق وكالاتها فى مدة لا تتجاوز اسبوعا واحدا •

وكان لميناء بندر عباس الفارسى أهمية خاصة فى اعين الهولنديين • وفى ١٧٣٠ وبوساطة السلطات الانكليزية وافق الهولنديون على الانسحاب من ذلك الميناء الذى كانوا قد اعتبروه منطقة مهمة فى نفوذهم فى الخليج العربى • ومن ذلك الميناء كان الهولنديون يهبون لمساعدة الحملات الفارسية على البحرين وساحل قطر وعمان وفى ١٧٤٠ قام الاسطول الهولندى بمظاهرات عسكرية على اثر الثورات التى قام بها الملاحون الحرب فى بعض قطع الاسطول الفارسى • وفى ١٧٤٤ انضم الهولنديون الى حملة عسكرية أرسلها الشاه تهدف الى القاء القبض على حاكم بندر عباس ولكن هذا التدخل السافر فى الامور الداخلية كان له رد فعل شديد بالنسبة الى السلطات الانكليزية التى أمرت اسطولها فى الخليج بوجوب التوجه الى بندر عباس وتقديم العون الى الحاكم الفارسى الثائر • وقد اعاد الهولنديون تأسيس وكالة لهم فى بوشهر فى ١٧٤٧ وذلك بدعوة من السردار حاكم المدينة وقد سافر Mynheeer Belvelt (١٤) ، احد رجال شركة الهند الشرقية الهولندية فى البصرة ، الى بوشير ومعه توصيات من المقيم الهولندى فى الميناء العراقى • وقد اشتهرت الوكالة الهولندية فى بوشير بتجارة السكر والكشمير والتوابل •

---

(14) The Persian Gulf Gazetteer. Secret. Historical. Vol. I. Part. I. pp. 128 - 138.

وقد أخذ الهولنديون خلال سنة ١٧٤٨ يبحثون احتمال ترك وكالاتهم في بندرعباس لوصول معلومات الى السفارة الانكليزية في اصفهان مفادها ان الهولنديين يفكرون بارسال حملة بحرية الى جزيرة الخرج ، الواقعة الى الجنوب من الساحل الفارسي ، لغرض الاستيلاء على الجزيرة ونقل الوكالة التجارية في بندر عباس اليها • وحاول الشيخ ، ناصر خان ، زعيم قبائل اللار ، والذي زار بندر عباس في ١٧٥٢ اضعاف مركز الوكالة الهولندية ورعاياها فطلب منهم دفع الضرائب اليه باعتبارها حاكما لفارسستان • وفي نيسان من تلك السنة بذل رجال الوكالة الانكليزية في البصرة جهودا كبيرة لمحاربة التجارة الهولندية وقد تلقوا تعليمات من حلب بوجوب قيام المقيم الانكليزي بكل الوسائل المادية والمعنـــوية لاجل ضرب السوق الهولندية وخاصة بعد استلام الوكالة الهولندية بضائع هائلة من الاطوف من حلب وطرابلس ، وقد حاول الهولنديون استعادة مركزهم التجاري في الخليج العربي وقد وصل الـكومادور الهولندي Mynheer Scondiwoert بندر عباس في ١٠ تشرين الثاني ١٧٥٢ آتيا من باتافيـــا عاصمة جزر الهند الشرقية الهولندية ومعه سفينة اوربية كبيرة وعدد من المساعدين وحرس عسكري واعاد تأسيس الوكالة الهولندية في نفس المـكان الذي كانت عليه • وقد زادت مقاومة العرب على الساحل الشرقي للخليج العربي ضد النفوذ الهولندي وبالفعل هاجم الشيخ عبدالله أمير جزيرة قشم السفينة التجارية الهولندية "Nancey" في ٢٣ نيسان ١٧٥٣ بينمـا كانت تسير بين الجزيرة والساحل الرئيسي ونهب جميع بضاعتها ثم احرقها •

ويعتبر البارون "Kniphausen" (١٥) مسؤولا الى درجة كبيرة عن السياسة الهولندية في الخليج في تلك الفترة • وكان البارون المذكور من النبلاء البروسيين الذين أبلوا بلاءً حسنا في الجيش البروسي وقد انحدر من عائلة بروسية شهيرة في الشجاعة العسكرية وخدم في الجيش الفرسي ثم حط به الرحال في شركة الهند الشرقية الهولندية حبا في المغامرة وأصبح

---

(15) Saldanah, M. A. "Selections From State Papers" Bombay. No. LXXVI.

معتمدا عاما للشركة فى الخليج العربى واتخذ البصرة مقرا له وظل فيها يشرف على المصالح الهولندية فى العراق وجنوب فارس والبحرين منذ ١٧٣٠ حتى ١٧٥٣ عندما طرده الاتراك فتوجه الى جزيرة « ريج » وهناك اقنع شيخها العربى ناصر بالتوقيع على امتياز لتأسيس وكالة هولندية فى الجزيرة • وما أن استلم ذلك الامتياز حتى ابحر الى باتافيا وهناك تمكن من اقناع رجال شركة الهند الشرقية الهولندية بأهمية احتلال « الخرج » • وفى ٢١ ايلول ١٧٥٣ رست سفينة هولندية وهى « الحظ » فى ميناء بندر عباس بانتظار البارون الذى كان متوقعا من اندنوسيا • وقد وصل البارون فى ٦ تشرين الاول على سفينة هولندية واسعة "Getrouwt" وبقى فى الميناء المذكور يستعد للحملة حتى ١١ من الشهر نفسه وأشاع بانه متوجه الى بوشهر • وقد ابحرت السفينتان الهولنديتان المذكورتنان وعليهما الكثير من الرجال والاخشاب وتحف بهما عشرات من السفن الهولندية الصغيرة • وقد بعث الوكيل الانكليزى فى بندر عباس بتعليمات حول الاستعدادات الهولندية السابقة الى السفير الانكليزى فى اصفهان ، وقد ذكر فيها بانه يعتقد ان الهولنديين يزمعون غزو البحرين أو البصرة • ولكن الحملة الهولندية رست عند جزيرة « الخرج » وهنالك بنوا قلعة ، لا تزال اثارها بادية للعيان ، الى الزاوية الشمالية الشرقية من الجزيرة • وقد انضم الى القلعة الهولندية الجديدة الوكيل الهولندى فى بوشهر الذى كان قد تنازع مع الشيخ ناصر حاكم الميناء • ومنذ ان دخل البارون "Kniphausen" جزيرة « الخرج » ظلت علاقاته مع حاكمها الشيخ ناصر متوترة وسبب هذه الخلافات يرجع الى التنازع حول الاجور التى كان على الهولنديين تقديمها الى حاكم الجزيرة مقابل الاحتلال ، وبقى هذا النزاع عدة سنوات • وقد زار الوكيل الانكليزى فى « ريج » "Mr. Wood" جزيرة الخرج فى ١٧٥٦ حيث مكث اسبوعا – من ٧ – ١٥ نيسان – ومن هناك أرسل وصفا دقيقا عن أحوال الجزيرة وعن وضع الهولنديين ، وكذلك خارطة للقلعة الهولندية الى الوكالة الانكليزية فى بندر عباس • وكانت القوة الهولندية فى الجزيرة المذكورة مؤلفة من ٦٠ من الجنود الهولنديين النظاميين و ١٠٠ من العبيد الافريقيين ،

مسلحين بالسيوف والخناجر ، وسفينة كبيرة مجهزة بـ ١٦ مدفعا • اما البضائع فى المخزن الرئيسى فكانت تحتوى على السكر ، وقصب السكر ، والفلفل ، والجلود ، والتوابل من مختلف الانواع ، القصدير والحديد ومنسوجات من مختلف الانواع • وقد ذكر التقرير السابق ان الهولنديين يستعملون ثمانية سفن صغيرة فى صيد اللؤلؤ وهم يقومون برحلات الصيد بسرية تامة وذلك خوفا من غارات العرب • وكان الهولنديون يفكرون بترحيل القبائل العربية من الجزيرة وجلب ٨٠ عائلة من المستعمرات الهولندية فى الصين • وقد تفائل التقرير بأهمية جزيرة « الخرج » فى مستقبل الخليج العربى من الناحية التجارية • وقد ذكر المستر وود فى معرض تقريره الاخير ان طرده من « ريج » كان بتأثير المؤامرات الهولندية فى جزيرة « الخرج » الذين كانوا يطمعون فى الاستيلاء على جزيرة « ريج » أيضا •

ومن المهم ان نذكر ان الدكتور "Ives" (١٦) زار جزيرة الخرج فى طريق عودته من الهند الى اوربا فى ١٧٥٨ وقد رحب به الهولنديون فى الفترة بين ٣١ آذار – ١٩ نيسان • وكانت الهيئة المشرفة على الوكالة الهولندية فى تلك الفترة تتكون من البارون "Kniphausen" ، رئيس الوكالة ، والمستر "Bosman" الذى كانت ترافقه زوجته الهولندية والمستر "Robingen" ضابط المدفعية (وهو من أصل انكليزى) والمحاسب "Nicoli" والمستر "Binkey" سكرتير البارون • وكانت القلعة على هيئة دائرية الشكل تحتوى على ٣٢ مدفعا وعلى بابها المواجه للبحر ١٢ مدفعا • وكانت الحامية تحتوى على ١٠٠ من الجنود الاوربيين(١٧) •

وكان البارون مولعا بالرحالة الانكليز على وجه الخصوص وذلك رغبة منه فى اقناعهم بالسفر الى حلب عن طريق الكويت ، وكان شيخها على صلة بالبارون • كما كان معجبا بالاختراعات الانكليزية البحرية وقد طلب من الدكتور "Ives" شراء مكتبة له وكذلك بعض الادوات والآلات

---

(16) Dr. Ives' Journeys' From Persia to England. 1773.
(17) The Island of Kharak. Asiatic Joural. Sept. 1838.

العلمية • وقد ظل البارون فى جزيرة « الخرج » حتى سنة ١٧٥٩ عندما غادرها الى « باتافيا » وخلفه المستر "Van der Hulset" الوكيل الهولندى فى البصرة • وفى خلال فترة حكم الاخير البالغة سنتان ونصف استمرت الحرب بين الهولنديين وشيخ جزيرة « ريج » العربية ، وكان يحكمها الشيخ مهنا • وقد قام الشيخ العربى الاخير بغارة على جزيرة الخرج فى ١٧٦٠ ومعه ١٠٠ من الرجال المسلحين بالسيوف ولكن مدافع القلعة اجبرته على الانسحاب متقهقر متخفيا بين صخور الساحل الى قواربه بعد ان اجبرته على الانسحاب متقهقراً متخفياً بين صخور الساحل الى قواربه بعد ان نهب واحرق سفينتين هولنديتين تجاريتين وصلتا حديثا من اندنوسيا • وقد وصلت انباء الحملة الاخيرة الى اسماع السلطات الهولندية فى باتافيا فاصدر الحاكم الهولندى العام مرا الى "Van Der Hulset" بوجوب السفر تواً الى اندنوسيا لاجل تفسير الظروف التى ادت الى الغارات العربية المتكررة ولكن الاخير ترك سفينته فى بندر عباس وطلب من الانكليز اعتباره لاجئا سياسيا ورجع الى اوربا عن طريق بمباى • وقد خلفه فى حكم جزيرة « الخرج » المستر "Buschman" الذى كان احد أعضاء الوكالة فى الجزيرة سابقا وقد اشتهر فى كتابات الرحالة الهولندى الشهير نيبور "Niebuhr"[١٩] ويمتاز حكمه بعلاقات طيبة مع العرب وخاصة مع الشيخ مهنا شيخ جزيرة « ريج » • وقد أرسل الشيخ مهنا وفدا بحريا للتفاوض حول بعض الامور مع تعليمات بالاستيلاء على القاعدة الهولندية اذا ما سمحت الظروف بذلك ، ولكن الحاكم الهولندى كان أكثر نباهة من الشيخ العربى فاصدر أوامره الى جميع القطعات الهولندية البحرية بلزوم استقبال الوفد العربى بمظاهرة حربية ، وهكذا خرج الاسطول الهولندى بكامل عدته وفاتت على الشيخ مهنا الفرحة التى كان يحلم بها •

وقد استمرت الوكالة الهولندية فى بندر عباس بعد خمس سنوات من

---

(18) Niebuhrs' Five Letters From A Free Merchant in Bengal. 1777. pp: 146—52.

(١٩) كذلك

Niebuhrs' Description de L' Arabie, 1774.

تأسيس الوكالة فى جزيرة « الخرج » وكانت قد دخلت فى منافسة جديدة مع الوكالة الانكليزية فى تجارة أصواف كرمان وكانت الوكالة الهولندية تدفع ١٠ شاهات أكثر مما تدفعه الوكالة الانكليزية للبالة الواحدة • ولكن الانكليز أخذوا يقلدون المنسوجات الهولندية بأخرى تصنع فى انكلترا فقلت أثمان المنسوجات الهولندية فى اوربا نفسها • وهكذا غادر آخر رجال الوكالة الهولندية ميناء بندر عباس الى جزيرة « الخرج » فى شباط ١٧٥٩ تاركين الميناء الفارسى بيد الاحتكارات الانكليزية التى بدأت تلاقى منافسة جديدة ممثلة بالاسطول الفرنسى ابتداءً من ١٧٦٠ •

وكانت المقاومة العنيفة التى ابدتها التجارة الانكليزية وابداها الاسطول الانكليزى فى الخليج العربى وفارس من العوامل المهمة التى اخضعت النفوذ الهولندى فى تلك الاصقاع • أضف الى ذلك ظهور منافس قوى وهو فرنسا • وهكذا كان على النفوذ الهولندى ان يزول بعد ١٣٠ سنة من النشاط التجارى والعسكرى • وفى نفس الوقت زاد اهتمام الانكليز بالهند وأخذ الهولنديون يفكرون بلزوم الانسحاب من الهند والخليج العربى الى قاعدتهم الرئيسية فى جنوب شرق آسيا وهى اندنوسيا التى بقيت فى ايديهم الى منتصف القرن العشرين كما بقيت القارة الهندية بيد الانكليز نفس المدة تقريبا •

وقد انسحب الهولنديون من البصرة فى ١٧٥٢ ومن بوشهر فى ١٧٥٣ ومن بندر عباس فى ١٧٥٩ ولم تبق الا جزيرة « الخرج » تحت حكمهم المباشر حتى ١٧٦٥ بالرغم من الاموال الهائلة التى صرفتها شركة الهند الشرقية الهولندية على بناء القلاع والتحصينات • وقد تمكن الشيخ العربى مهنا حاكم جزيرة « ريج » من الاستيلاء على قلعة الخرج فى ١٧٦٥ وطرد الهولنديون وضم الجزيرة الى حكمه وبذلك حقق الآمال التى كان يهدف اليه من عشرين سنة خلت • وفى الوقت الذى ركز فيه الاستعمار الهولندى على جزر اندنوسيا كان الانكليز قد وضعوا أقدامهم فى الهند واعتزموا السيطرة على الخليج العربى مفتاح الهند •
